اخترنا لك
٤

آفاق إسلاميّة

السيد محمد حسين فضل الله

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

عروج Pdf

بسم الله الرحمن الرحيم

يُهدى ثواب تصوير الكتاب إلى شهداء الثورة المظلومة المنسيّة (ثورة 14 فبراير) في البحرين المنكوبة التي كشفت خواء الضمير العالمي الإمبريالي والعربي الطائفي المقيت، وفضحت زيف الشعارات ونفاقها.

ثم إلى المرابطين الصابرين في ميادين صناعة الحرية والكرامة والذين يخطّون بعذاباتهم ومعاناتهم سبيل الحياة الكريمة في طريق الله(تعالى)..

آفاق إسلاميّة

أحاديثنا الكتب
٤

آفاق إسلاميّة

السيّد محمد حسين فضل الله

دار الزهراء (ع)
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

مزيدة منقحة ومصححة

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

نبذة عن حياة المؤلف

ولادته وأسرته :

ولـد سماحـة السيد محمـد حسين فضـل الله في النجف الأشـرف سنة ١٣٥٤ هـ في ١٩ شعبان .

إنـه من عـائلة آل فضـل الله التي تنتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) ، وترتبط بأشراف مكة الحسنيين .

والده :

والده المغفور له آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله (قده) .

والدته ابنة المرحوم الحاج حسن بزي من بنت جبيل .

نشأته :

نشـأ في النجف الأشـرف ودرس فيهـا المقـدمـات والسـطوح في الفقـه والاصـول على والـده ، ودرس الخـارج على السيـد ابـو القـاسم الخـوئي والسيـد محسن الحكيم والسيـد محمـود الشـاهـردوي والشيـخ

حسين الحلي وحضر درس الفلسفة في الأسفار لدى الشيخ ملا صدر البادكوبي .

شارك في النشاطات الأدبية والشعرية في الأوساط الثقافية في النجف الأشرف ، وقد بدأ نظم الشعر وعمره عشر سنوات .

شارك في تأسيس الحركة الإسلامية في العراق .

شارك مع مجموعة من العلماء في الإشراف على مجلة الأضواء التي كانت تصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف ابتداءً من ١٣٨٠ هـ ، وكان يكتب افتتاحيتها بعنوان « كلمتنا » .

هجرته الى لبنان :

هاجر من النجف الأشرف إلى لبنان في سنة ١٣٨٧ هـ وسكن في محلة النبعة ـ برج حمود من ضواحي بيروت وقام بتأسيس مشاريع خيرية واجتماعية وثقافية . . وكان من بين تلك المؤسسات « المعهد الشرعي الإسلامي » وهو الحوزة الدينية التي تخرج منها العديد من علماء لبنان من المسلمين الشيعة .

بعد سقوط النبعة على يد القوى المسيحية انتقل إلى الضاحية الجنوبية في بيروت وواصل نشاطه الديني والثقافي والسياسي وانطلق بالحالة الإسلامية في لبنان في حركتها الجهادية والسياسية في مواجهة القوى المستكبرة في المنطقة والعالم ، ووقف مع الثورة الإسلامية في ايران بكل قوةٍ وانفتح على الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي ، في أكثر من موقع وتعرّض لأكثر من محاولة اغتيال من قبل المخابرات اللبنانية والصهيونية والامريكية . كان بينها المؤامرة التي قامت بها المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مع أجهزة عربية وصهيونية في تفجير سيارة مفخخة قرب منزله في بئر العبد في الضاحية الجنوبية

وسقط فيها ما يقارب من ثمانين قتيلاً ومائتي جريح ونجا منها بأعجوبة ولا يزال في مواقعه الجهادية والرسالية يدير معركة الإسلام في أكثر من موقع .

وقد انفتحت عليه كل وسائل الاعلام في العالم فتحدث إلى وسائل الاعلام الامريكية والاوروبية والعربية والسوفياتية والصينية واليابانية وغيرها ، حول مختلف القضايا الإسلامية والسياسية .

مؤلفاته :

صدر له من المؤلفات أسلوب الدعوة في القرآن ، قضايانا على ضوء الإسلام ، الحوار في القرآن ، الإسلام ومنطق القوة ، خطوات على طريق الإسلام ، مع الحكمة في خط الإسلام ، مفاهيم اسلامية عامة «عشر حلقات» ، رسالة التآخي «أربع حلقات» ، من أجل الإسلام ، في خطى كربلاء ، دور المرأة الرسالي ، مقالات في الوحدة الإسلامية ، من وحي القرآن «وهو تفسير للقرآن في ٢٥ جزءً ، يا ظلال الإسلام «ديوان شعر رباعيات ، قصائد للإسلام والحياة «ديوان شعر» ، على شاطىء الوجدان «ديوان شعر» الحركة الإسلامية هموم وقضايا (صدر مؤخراً) تأملات في خط الإسلام الحركي ، آفاق إسلامية وهو هذا الكتاب . وهناك مؤلفات أخرى مخطوطة .

نشاطه الإجتماعي :

قام بتأسيس عدة مشاريع خيرية اجتماعية وثقافية : مبرة الإمام الخوئي للأيتام في بيروت ، مبرة الإمام زين العابدين للأيتام في الهرمل ، معهد الإمام الهادي للمكفوفين في بيروت ، مدرسة نموذجية في رياق ـ البقاع ، مدرسة الإمام الباقر النموذجية في الهرمل ، المسجد الكبير في حارة حريك ـ الضاحية الجنوبية ، الحوزات العلمية في صور وبعلبك وبيروت ، وهناك مشاريع أخرى قيد الأنجاز في بيروت وجبل عامل .

لا يزال يواصل نشاطه العلمي في الفقه والأصول باعطاء درسين في الفقه والأصول على مستوى بحث الخارج ، كما لا يزال يواصل نشاطه الثقافي في المحاضرات وخطب الجمعة وكتابة المقالات الإسلامية واجراء الاحاديث السياسية والفكرية مع مختلف الصحف والمجلات العربية والعالمية ، وحضور المؤتمرات الإسلامية .

بيروت في ١٢ / ١٢ / ١٩٨٩

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع

مقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . . .

وبعد

فهذه كلمات متناثرة في اكثر من موضوع ، وفي أكثر من تاريخ ، وفي أكثر من مناسبة ، ولكن يجمعها عنوان واحد ، وهو العنوان الإسلامي الذي يحرّك القضايا الإسلامية المنطلقة في أكثر من أفق ، ليثير أمامها علامات الاستفهام التي تطرح المشكلة لتبحث عن الحلّ ، وتعالج الواقع في الحاضر لتتطلع إلى المستقبل . . وربما ابتعد بعضها كثيراً في تاريخه عندما كتبته ، أو عندما ألقيته على الناس ولكني أشعر انها لا تزال حيّةً في حركة الإسلام في المرحلة الحركية التي نعيش فيها ، لأن أفكارها لم تنطلق من خلال مناسباتٍ محدودةٍ في حجم الزمن الذي انطلقت فيه ، بل كانت مستمدة من فكر الإسلام في اطلالته على الحياة ، فيما هي القضايا العامة وفيما هي القضايا الخاصة المرتبطة في حركتها بالقضايا المصيرية ولهذا فهي لا تزال في حجم الحاجة الملحة إلى بعض ما فيها من أفكار ومن ايحاءات ومن تطلعات .

ان ما أريد اثارته ـ في تقديم الطبعة الثانية لهذه المختارات ـ هو أن على المفكر الاسلامي أن يبقىٰ في حركة دائمة تستنطق الاحداث ليكتشف ما فيها من جذور عميقةً في طبيعة الواقع الإسلامي المتحرك نحو المستقبل وأن يثير الأفكار الإسلامية في مواجهة الأفكار الكافرة والضالة ، ليؤكد القاعدة الفكرية للمجتمع الإسلامي حتى لا يضيع في غمار الشبهات والاشكالات القادمة من هنا وهناك وحتى لا يختلط الحق بالباطل ، فيشعر المسلمون بأن لكل سؤال جواباً ، ولكل مشكلة حلاً على أساس الغنى الفكري الذي تملكه العقيدة الإسلامية في أصولها وفروعها فلا يعيش الفراغ الذي يفترس إيمانه ويضيّع منهجه مما يمكن أن يدفع الآخرين من الكافرين والضالين إلى القيام بعملية ملء الفراغ من خلال مفاهيم الكفر والضلال .

وفي ضوء ذلك ، ينبغي للمفكرين المسلمين أن لا يحصروا الإسلام في دائرةٍ ضيقةٍ ، لتبقى الدوائر الأخرى بعيدة عن المعالجة الإسلامية ، كما فعل الكثيرون الذين عاشوا في فترات التخلف حيث أبعدوا الإسلام عن حركة الحياة وعن مفردات التطور ، وعن مشاكل الواقع ، فتركوا الانسان المسلم حائراً امام التحديات السياسية والاجتماعية والثقافية التي فرضتها تطورات المناهج والحركات والأحداث فأقبل على مبادىء الكفر التي استجابت لحاجاته وترك الإسلام حتى اختنق الإسلام لدى المسلم في دائرة العبادة وفي آفاق الأخلاقيات الضبابية .

ان الحياة لا تحتمل الفراغ فإذا لم تملأ ـ أنت ـ فراغها فلا بد أن يملأها الآخرون .

وهذه الكلمات التي بين يديك هي محاولة للانطلاق في الآفاق الإسلامية لتثير علامات الاستفهام التي تحرك الفكر والحياة في دائرة

الحاضر والمستقبل راجياً أن ينتفع القراء بها ـ في طبعتها الثانية المشتملة على زيادات كثيرة ـ كما انتفعوا بها في طبعتها الأولىٰ .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

٢٠ جمادى الثانية
١٤٠٩ هـ

محمد حسين فضل الله

آفاق إسلامية

- الايجابية طريقنا .
- الايجابية وواقعنا التربوي .
- الايجابية وواقعنا الطائفي .
- الايجابية والشعور بالمسؤولية .

الايجابية طريقنا

١ ـ السلبية والايجابية :

في حياتنا العامة ، طريقتان في العمل والسلوك ، واسلوبان للتفكير ، يلونان شخصية الانسان وحياته ، ويحددان موقفه وخطواته من القضايا التي تحيط به وتجري أمامه، ومن الطبيعي ، لذلك أن يختلف الناس ، تبعا لاختلافهما ، بل ربما يختلف الانسان الواحد فيهما اذا اجتمعا في شخصيته ، فيؤثر واحد منهما في جانب معين من حياته ، بينما يؤثر الآخر في الجانب الآخر منها . .

أمّا هذان الاسلوبان : فهما الايجابية والسلبية .

ولا نعني بالسلبية . . هنا . . أن يختار جانب السلب من القضية لتكون الايجابية متمثلة في اختيار جانب الايجاب . . .

وانما نعني بها ، أن لا يكون له موقف من القضية ، واذا شئنا الوضوح في التعبير ، فلنا أن نعبرعنها بـ ـ اللاّمبالاة ـ فلا يشعر معها بوجود

---

(١) مجلة الأضواء العدد الأول السنة الثالثة سنة ١٣٨٢ هـ .

قضية أمامه ولا يهتم بوجودها . ان شعر بها، فان من طبيعة هـذا الشعور وهذا الاهتمام اتخاذ الموقف المحدد ، واذا كان ذلـك هو معنى السلبيـة ـ فيما نعني ـ فمن البديهي ان تكون الايجابية تعبيراً عن تحـديد الانسـان مـوقفه من القضيـة . ولا حاجـة ـ بعد ذلـك ـ لأن يكـون ذلـك المـوقف إيجابياً، فبإمكاننا اعطائه صفة الايجابية ، في الوقت الذي يكون الجانب المحدد من القضية هـو السلب . ولعل التعبيـر الصحيح الـذي يمثل لنـا هذا الموقف هو بتعبير (الـرفض) فمعنى أنك لا تـوافق على الشيء أنك ترفضه ، او أنك تختار عدمه وبالآخرة . . انك تحدد موقفك منه . . ولن نحتاج الى جهد فكري لنعرف ان الـرفض والاختيار وتحـديد المـوقف ، صفات ايجابية لا أثر للسلبية واللاّمبالاة فيها .

ذلـك هو معنى السلبيـة والايجابيـة ـ فيما نعني ـ وذلـك هو الفـرق بينهما . انه الفـرق بين ان تعيش حياتـك وتنفتح عليهـا وعلى تطورهـا ، وبين ان لا تعيشها ولا تحس بها ، وانما تسير معها في غيبوبـة وخدر . . انه الفرق بين ان تحيا وبين ان تعيش .

٢ ـ طريقتـان للعمل واسلوبان للتفكير :

قلنا : إن السلبية والايجابية طـريقتان للعمـل والسلوك ، واسلوبان للتفكير . فهما اسلوبان للحياة بكل ما يتصـل بها ومـا يحدث فيهـا ، فلا يختصان بجانب منها دون آخر .

فــاذا كنت سلبيـا في السلوك ، فمعنى ذلــك : انــك لن تختــار طريقك ، او توجه مصيرك وانما تستسلم للظروف ، وللرياح ، تلعب بك ذات اليمين وذات الشمال دون ان تحس بالطريق اين ينتهي ، وبالخـطى أين تسير تماماً كالخشبة المندفعة مع التيار .

أما اذا كان سلوكك إيجابيـاً ، فانـه يتمثل في أنـك تختار طـريقك بوعي وقوة وتحـدد غايتـك على هداه ، وتحـاول ان تتغلب على الظروف التي تحول بينك وبينه ، لتخضعها لإرادتك وغايتك .

أما كيف يتصف التفكير بالإيجابيـة والسلبية ، فنستـطيع أن نعـرف ذلك بملاحظة موقف الفـكر من القضايا الفكرية والتيارات العالمية التي تعيش في حيـاتنا العـامة والحـوادث الـطارئة المنـطلقـة من مـوقف معين واتجاه معين .

فـان انطلق الفكـر في عملية محـاكمة وتحـديـد لمـوقفـه من هـذه القضايا ، واعطاء رأيه في تفاصيلها بالرفض والقبول ، فهو إيجـابي . أمّا اذا لم يحاول ذلك بل أخلد للراحة قانعاً بما عنده مستسلماً لأفكاره وأرائه لا يـرضى لها أن تـزعجها فكـرة طارئـة أو حدث جـديد ، ولا يبـالي بما يحدث حوله وبما يرتأي الآخرون فهو سلبي .

٣ ـ الإنسان الإيجابي والسلبي :

وقد عرفنا ـ ونحن نعرض مـفهـوم السلبية والايجـابية ، وشمـولهما واتسـاعهما لجميـع جوانب الحيـاة ـ طبيعة الانسـان الايجـابي والانسـان السلبي .

فـالأول : يعيش حياتـه ويحس بها ويحـركها ويتحـرك بهـا ، فهـو حركة دائمة وقوة مستمرة تحاول ان تجدد الحياة من حولها ، وتبعث فيهـا اليقـظة والنشاط وتـدفع خـطواتها نحـو الكمال . أمّـا الثـاني فهـو انسـان ضائع ، مهزوم ، ضعيف لا يعيش حياته الا كما تعيشها الحيوانـات فهي عنده رتيبة مملة جامدة ، لا أثـر فيها لحقيقـة الحياة وروحهـا ، بالإضـافة الى انها تجمد الحياة في مجتمعها وتتجمد معه .

٤ ـ ايجابيتنا من صميم الاسلام :

بقي علينا أن نختار الأسلوب الذي نسير عليه في دعوتنـا وقضيتنا ، ولن نملك إلا اختيار الايجابية طريقاً لنا في العمل والتفكير ، واسلوبا في الحياة . لاننا في الطريق إلى دعوةٍ انسانية شـاملة ، تهدم القيم الفـاسدة في سبيل بناء قيم جديدة صالحة او بالأحرى ، في سبيل اثارة الحيـاة من حـولنا وتنقيتهـا من الرواسب المتعفِّنـة والسيـر بهـا في طـريق الله والحق

والخير والجمال ، ولا بد لهذه الدعوة ، ولمثل هذه الإثارة ان تعيش الصراع باعمق صوره ، لأن الفكرة اية فكرة ، لن تتبلور وتتركز في اذهان الامّة إلا اذا اصبحت هدفا للصراع ، ومجالا للأخذ والرد ، وليس الصراع إلّا أحد المظاهر الحيَّة للاسلوب الايجابي في العمل والتفكير .

وليس هذا الموقف الذي اخترناه ، بالموقف الجديد على هذه الدعوة وليس بالموقف الغريب عن موقف الاسلام ، بل هو مستمد منه ومنطلق من واقعه وهداه .

فقد جاء الاسلام دعوةً ايجابيةً للفكر والحياة ، فبدأ بالدعوة إلى العودة إلى الفطرة ـ والانطلاق منها نحو العمل والتفكير في سبيل بناء شخصية جديدة تنظر إلى الحياة من خلال حريتها واستقلالها وفطرتها . لا من خلال تبعيتها لغيرها ، ورواسبها العفنة ، . فندد كثيراً بأولئك الذين لا يسمحون لافكارهم أن تنطلق ، ولارواحهم أن تتسامى ، لمجرد أن طريقة آبائهم تمنعهم عن هذا الإنطلاق وهذا التسامي : ودعاهم الى أن ينطلقوا من هذا الافق الضيق ويحرروا تفكيرهم من عبودية الآباء والاجداد ، ليفكروا تفكيرا مستقلا نابعا من طبيعة ذواتهم ، وصراحة فطرتهم ليضعوا ايديهم على الينبوع الخالد .

ثم انطلق بعد ذلك ليدعونا إلى أن نقف من حقائق الكون والحياة موقف المتأمل الذي يحاول أن يعرف موقفه ومركزه في هذا الوجود بين هذه الموجودات الكثيرة ، ليضع يديه بكل حرية واستقلال ووعي على الحقيقة الكلية ويشعر بارتباطه بالكون وارتباط الكون به ومسؤوليته تجاهه في عملية البناء والابداع .

وقبل ذلك كله دعاه إلى ان يقف من نفسه هذا الموقف الايجابي ، فلا يدعها تندفع مع شهواتها ولذائذها في غيبوبة اللذة والخدر ، وانما

ألزمه ان يقف منها موقف المراقب الحذر ، الـذي يكبح جماحها عنـدما تحاول الجموح ، وينطلق بها عندما تميل إلى الجمود .

وهنـاك مثل آخـر من الامثلة الكثيرة التي نتعـرف منهـا كيف يـريـد الاسلام منا ان نكـون ايجابيين في حيـاتنا العـامة ، وهـو فريضـة (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) فان هذه الفريضة عبارة عن الزام كل فـرد مسلم بأن يترك اسلوب اللامبالاة في حياته تجاه الآخرين ، والذي يدفعـه الى أن لا ينظر الى الحياة من نـطاق ذاته ، فـلا يهتم بما يفعـل الآخرون ومـا يجرمـون ، وما يـرتكبون من مـوبقات ، ومـا يتركـون من واجبات ويدفعه الى الشعور بمسؤوليته الفكـرية والعمليـة تجاه الآخـرين ، ويعتبر ذلك فريضـة عليه يتـرتب عليها مـا يترتب على سـائر الفـرائض من ثواب وعقـاب فلم تعد الجـريمة الصـادرة من المجـرم ، ممـا يحـاسب عليهـا المجـرم فحسب وانما يشـاركه في الحسـاب سائـر المسلمين الذين كـان بامكانهم الحيلولة دون وقوع الجريمة ، أما طبيعة هذه الفريضة ، وطبيعة المـوقف الايجابي الـذي ينطلق منهـا ، فتختلف حسب اختلاف ظـروف القضيـة فقـد يكـون المـوقف الايجـابي في التنبيـه والتحـذيـر والارشـاد والموعظة الحسنة ، وتعريفه ما ربما يجهله من امور المعـروف والمنكر ، وقـد يقتضى ذلـك المـوقف القـوة والشـدة ، التي تختلف ايضـا حسب اختلاف مراتبها تبعاً لاختلاف ظروف القضية ، وربما لا تقتضي الايجابية إلا عملية استنكار داخلية وهو اضعف الايمان .

هـذا هـو احـد الأمثلة التي تبين لنـا بجـلاء ووضـوح طبيعـة دعـوة الاسلام الى الإيجابية ، ومدى ما تحمله هذه الإيجـابية من حلول عمليـة لمشاكل الإنسان .

وسنعود الى الموضوع مرة أخرى في عدد قادم ان شاء الله تعالى .

الايجابية وواقعنا التربوي

[١]

اذا تطلعنا الى واقعنا العام الذي عشناه ونعيشه ـ كمسلمين ـ بشكل عام فسنجد واقعا تعصف به السلبيـة وتطغى على آفـاقه وجهـاته وتسيـطر على جميع مصادره وموارده .

ونعني بذلك السلبية العملية والفكرية تجاه تكوين مجتمـع اسلامي حي نتنفس في جوّه الإيمان ، ونحيا في أُفقه الطمأنينة والسلام .

ومن الطبيعي لهذه السلبيـة أن تنطلق عن هـذه النتائـج والآثار التي نعيشها الآن فان من الواضح لدينا ان مثل هذا الواقع الذي نريده ونهدف اليه لا يمكن أن ينشأ وينمو ما لم تتوفر له الإمكانيات اللازمة لوجوده وفي مقدمتها العمل على تهيئة الأجواء التربوية والاجتماعية العامة ضمن نطاق اسلامي خالص ، كطريق أولي من طرق اعـطاء الانسان المسلم المنـاعة الفكرية والنفسية ضد التيـارات المعاديـة للإسـلام التي تهدف الى إقـامة واقع اجتماعي لا يتصل بالاسلام من قريب او بعيد .

(*) عن مجلة الأضواء العدد الثاني للسنة الثالثة ١٣٨٢ هـ .

ومن ثم ننتقل الى مرحلة الصـراع الفكري والاجتمـاعي في سبيل اختبار النتائج التي حصلنا عليها ، والافكار التي وصلنـا إليها ، وامتحان قوتنا وقدرتنا على البناء ومدى ما نملكه من قـوى فكريـة واجتماعيـة تقف بنا في طريق العمل .

تلك هي أُولى المراحل التي يلزمنـا ان نقطعهـا في سبيل الـوصول الى هدفنا من انشاء المجتمع الاسلامي الافضل . . فلننظر ماذا قـطعنا ، وأين وصلنا ؟ .

ولنقف اوَّلاً امام الجانب التربوي من حياتنا المعاصرة ـ كمسلمين ـ ففي هذا المجال . . نجد ان واقعنا يتكشف عن سياسة تـربويـة ، إن لم تهدف الى فصل الإنسان المسلم عن اسلامه وابعاده عنه فلا اقـل من أن لا يكون هدفهـا تقريبـه الى دينه ، وهـذا أمر طبيعي جـداً بالنـظر الى أنَّ المناهج التربوية عندنا ترتكز على قاعدة التفكير الغـربي الذي لا يعتـرف بالدين قاعدة للفكر والحياة وإنما يعترف بـه كصلة فرديـة بين العبد وربـه يمـارس الفرد طقـوسها في المسجـد أو الكنيسة ، وكنتيجـة حتميـة لهـذا التفكير . . لا بد من إبعـاد الدين عن المـدرسة لأن المفـروض فيها أنهـا تهيىء الإنسان للحياة لا للمعبد .

وقد تجد في بعض المناهج الدراسية عندنا منهجاً يطلق عليـه اسم (الـدين) فرضتـه بعض الظروف الـزمنية والسيـاسيـة الخـاصـة ، ولكنـه يستطيع أن يعطيك أي شيء تريده من المفـاهيم العامـة إلا مفهوم الـدين بحقيقته وواقعه .

ذلـك واقع نعيشـه ونحياه ، ويعيشـه ابنـاؤنـا وبنـاتنـا بكـل تبعـاتـه ومـلابساتـه ونحس آثـاره ونتـائجـه في حيـاتنـا العـامـة بكـل ارتبـاكـاتهـا وانحرافاتها .

فما هو الموقف الذي وقفناه بالأمس في بدء نشوئه وتكوينه ، وماذا

صنعنا وما الذي يجب ان نعمله الآن وهو يواجهنا بكل عنفه وقوته ؟ .

لو رجعنا إلى الماضي لرأينا أن الموقف الذي وقفناه في تلك المرحلة هو موقف الرفض لمثل هذه المعاهد ، استناداً الى عدم انسجامها مع التربية الدينية الصالحة التي نريدها لأبنائنا ، وارتكازها ـ في واقعها ـ على قاعدة استعمارية ، تحاول تمهيد الطريق للاستعمار بخلق جيل خانع ضعيف ينقاد للمستعمر ويعمل له .

وكان هذا المَوقف ايجابيا في طبيعته واسلوبه . فقد امتنعنا عن المشاركة فيها فلم يدخل ابناؤنا فيها ولم نستجب لكل ما قدمته لنا من اغراء . وبقيت علينا الخطوة التالية التي تركز هذا الموقف الايجابي على اساس متين ، وتجعله عمليا وهي فتح معاهد حديثة ـ على غرار هذه المعاهد ـ تستهدف تقديم الثقافة الحديثة للطالب ضمن اطار اسلامي رائع ووفق تربية اسلامية ناضجة لا سيما وان مثل هذا الاسلوب قد بدأ يفرض نفسه في حياتنا المعاصرة ، ومضى الناس يتطلعون الى آفاق جديدة تفتح لهم باب العلم وتسهل لهم سبله وتأخذ بأيديهم اليه ، ليشاركوا العالم اكتشافاته واختراعاته بعد أن اصبح ذلك هو مقياس رقيِّ الامة وتقدمها الحياتي .

ولكننا وقفنا عند خطوتنا الأولى وتمسكنا بالرفض ، فلم نخط الخطوة التالية ، وهنا انقلب الموقف الى طبيعة سلبية تترقب المواكب السائرة في حيرة وانتظار للمعجزة التي تنقذ الموقف ، دون ان تشارك في العمل على فتح الطريق امام هذه المعجزة .

وبدأت هذه المعاهد تدفع الينا بجيل جديد علمه الغرب وثقفه بثقافة شوهت له دينه وصورته له في صورة الاساطير والخرافات وربطت بينه وبين الواقع الحاضر للمجتمع الاسلامي الذي يمثل التأخر والانحطاط بأفظع الوانه ، وحشدت ذهنه بافكار وفلسفات بعيدة عن واقعه الديني والفكري ، وبدأنا نجني ثمار ذلك كله (كفراً وجحوداً

والحاداً) بعد ان اصبحت النخبة ـ وهي التي تمثل الفئة المثقفة وتتولى قيادته الفكرية والتربوية والسياسية ـ من هذه الفئات التي عاشت الفكر الغربي فأخلصت له وتنكرت لكل ما يخالفه من افكار ونظم ، واذا نحن امام المشكلة بكل عنفها وقوتها .

[٢]

واننا إذ نقرر هذا الواقع لا نستطيع ان ننكر وجود بعض الجهود الفردية والجماعية هنا وهناك ، فقد شاركت مشاركة لا بأس بها في سبيل سد هذا الفراغ في سبيل الوصول إلى موقف ايجابي ، تجاه هذه المعاهد ، ولكنها ـ الا القليل منها ـ لم يستطع الصمود فقد انحرف بعضها عن هدفه بعد ان غابت عنه القيادة الموجهة التي كانت ترعاه وتوجهه ، وفقد بعضها الآخر حيويته وقوته بسبب الجمود الذي سيطر على اعماله ومناهجه ، وبقي قسم ثالث يواجه التيار بمفرده .

ومن الطريف ونحن نتحدث عن بعض هذه المعاهد التي نشأت باسم الاسلام ووصفت بصفة « الاسلامية » في لافتاتها ، من الطريف لنا ان نذكر اتفاق بعض هذه المعاهد مع بعض المثقفين الملحدين الذين يعتنقون الالحاد فكرةً وفلسفة ليحاضر طلاب الفلسفة في موضوع انكار وجود الله والتأكيد على هذا الانكار والاستهانة بفكرة الله اساساً ، ومع ذلك فهي مدرسة اسلامية يجتذب اسمها انظار المسلمين ليدفعوا اليها بابنائهم أملا ان تضمن لهم جوا اسلاميا وتربية اسلامية خالصة .

وما دمنا في مجال الحديث عن هذه المعاهد ، فلا بد لنا من ان نعلق على البعض الذي لا يزال محافظا على منهجه الديني فنرى ان المنهج المتبع فيها في دراسة الدين لا يخرج عن المنهج المألوف في بيان العقيدة الأساسية بشكل ساذج وبيان الفروع العملية بنصوصها

الحرفية دون تفسير وايضاح ، ولذا فان من المـألوف جـداً ان تجد بعض خـرِّيجي هذه المـدارس يتجه إلى مختلف المبـادىء الحـديثـة ليعتنقهـا ويتخذ منها نظاما لحياته ، ومنهجـا لتفكيره ، مـع التزامـه بدينـه وصلاتـه وصيامه وغير ذلك من دون ان يحس باي تعارض بين هذين المسلكين ، وقـد ابتلينا في غمـرة الصـراع مع الكفـر والضـلال بـأمثال هؤلاء الـذين اتخذهم دعاة الكفر والضلال واجهـةً يعرضـونها امـام الساذجين من ابنـاء أمتنـا ، ليبرروا بهـا دعواهم الكـاذبة بعـدم اصطدام مبادئهم بالـدين من قريب او بعيـد ، وليغرروا بهم فيسيرون معهم في طريقهم المظلم .

ذلـك هو مـوقفنا العـام سابقـا تجاه هـذه القضيـة ، وسـواء كـانت الظروف المحيطة بتلك المرحلة هي التي فرضت هـذا الموقف أم كـانت هناك أشياء أخرى لا مجال لذكرها الآن ، فإننا وجدنا أنفسنا فجأة نواجـه المشكلة ، مشكلة المعاهد التي تخضع لسياسـة تربـوية إن لم تبعـد عن الإسلام فلا تقرِّب إليه ، ابتداء من رياض الأطفال إلى الجامعة .

ومما يعمِّق المشكلة ويزيدها تعقيـداً هو ان القضيـة لم تعد قضيـة معاهد تربوية وانما عادت قضية الجيل الذي يتخـرج من هذه المعـاهد ، ليتسلم ادارة شؤون البـلاد في كافـة نـواحيهـا ليـوجههـا كيف اراد حسب الخطة المرسومة ، ولن تكون الخطة خطة إسلامية على كل حال ، ولهذا قلنا في اول حديثنا ان في مقدمة الأعمال التي يلزمنا القيام بهـا في سبيل انشاء المجتمع الإسلامي الافضل هو تهيئة الأجواء التربـوية ضمن نـطاق اسلامي خالص .

[٣]

هذه هي المشكلة ، فما هو موقفنا منها الآن ، وما هو العمل الذي يمكننا القيام به في هذه المرحلة . ؟؟

انا ندرك جيداً ان الظروف التي حدثت بفعل التطور الذي قدمناه ، قد خلقت أمامنا الكثير من المصاعب والعقبات تجاه العمل الذي نهدف اليه ، وفي مقدمتها القوانين التي تحدد صلاحية المعاهد الخاصة ، وطريقة الاشراف عليها ونوعية المناهج التي يتحتم علينا ـ قانونا ـ السير عليها ، وقلة المعلمين الذين يفكرون تفكيراً اسلاميا إلّا ان ذلك لن يوقفنا اذا شئنا العمل عن السير قدما في هذا الطريق الوعر الشائك ، فان من السذاجة ان نحسب الدرب أمامنا مفروشا بالورود والرياحين ونحن نعيش هذا الظرف العالميَّ المعقد .

وفي الوقت الذي ندرك طبيعة هذا الموقف نجد أن من الاخلاص لعملنا هذا أن نكون واقعيين في طريقة معالجة المشكلة . فنضع أمامنا جميع الظروف والعقبات التي تحيط بنا ثم نتحرك نحو العمل ، فنبدأ بالمعاهد الإسلامية المتزنة فنحاول ان نبعث فيها الحركة والحياة والمرونة في مناهجها وأساليبها الدراسية ، وقاعدتها التي ترتكز عليها ، وفي الوقت نفسه نعمل على تقوية جهازها الاداري والثقافي لتستطيع الوقوف بقوة في مجال المنافسة امام المعاهد الأخرى فإن طبيعة الامتياز في المناهج والادارة والأساتذة تخلق للمعهد قوة علمية كبيرة ، وإذا تم لنا ذلك فبإمكاننا البدء في عمل جديد يتطلب كثيراً من الجهد والدراسة والعمل وهو فتح معاهد جديدة انطلاقا من رياض الأطفال الى الجامعة الإسلامية .

ومن الطبيعي ان نصطدم بالناحية المالية أمامنا . . ولكننا نجد ان من الممكن معالجتها إذا احسنّا تهيئة الجو الإجتماعي لها ، وإثارة الإحساس الديني نحوها وبعث المشكلة في نفس الإنسان المسلم ليعيشها في اعماقه وليقف امامها وجهاً لوجه ويشعر بانها تتعلق بمصيره ومصير ابنائه الديني .

ولن نجد صعوبةً كبيرة في ايجاد مثل هـذا الجو فـإن الواقـع الذي نعيشه قد خلق بعض هذا التحسس نحو المشكلة بطبيعة وجود فئات دينية كبيـرة تعيش الدين في اعمـاقها بصـدق واخلاص ، وتنفتـح على الواقـع الذي يحيط بها وعلى موقفها منه ، وقد عشنـا بعض هذا الجـو في بعض المنـاطق الإسلاميـة التي تزداد فيهـا حدَّة الشعـور الـديني تبعـاً للتـركيب الاجتمـاعي العقائـدي المتناقض لهـذه المناطق ، فتـرى الإنسان المسلم يتألم ويعيش ألمه بعمق لاضطراره الى ان يضع أولاده في روضةٍ او معهد غير اسلامي لفقدان المعاهد الإسلامية التي تتكفل له التربية الصالحـة ، لا سيما وانه يجد الثقافة والتربية غير الإسلامية التي ينشأ طفله عليها دون ان يملك له شيئاً ما دام لا يمكنه ، في ظل هذا الواقع ، أن يتركه للأزقة والشوارع .

إننا نجد الكثير من هذه الخمائر للعمـل في طريقنـا إلى تهيئه هـذا الجـو ولن يصعب علينا بعـد ذلـك ايجـاد المـال الـلازم لهـذا المشـروع الجبار ، ولن نحتاج إلى امثلة بعيدة عن واقعنا لندلل على امكـان تخطي صعوبة الناحية المالية فان أمامنـا الكثير من هـذه المشاريـع الدينيـة (من مدارس ومساجد وحسينيات) فقد نشأت واستقامت دون حاجـة الى جهد كبير مع أن نفقاتها قـد بلغت الألوف ، وقـد يكون بعض هـذه المشاريـع نتيجة عمل فرد ، او تبرع فرد قام بها دون احداث ايـة جلبة او ضـوضاء ودون ان يكون هناك جو عام يدفعه للعمل .

وأخيراً إن علينا أن نثير المشكلة في اعماق ابنـاء أمتنا الإسـلامية ، ونضـع ايديهم على الاخـطار المحدقـة بكياننـا الإسـلامي اذا نحن بقينـا نعيش هـذا الـواقـع السلبي المهلهـل ونجعلهـا تؤمن بـأن المـدرسـة هي الـطريق العملي الوحيـد نحو اثـارة الـوعي الإسـلامي وايجـاد المجتمـع الإسلامي ، فمن المدرسة ينطلق الفكر ومنها تنطلق الحياة وفي احضانها ينبغ القادة والمفكرون .

فلنبدأ من المدرسة ليكون عملنا واقعيا ، وليكون موقفنا ايجابيا تجاه ديننا وأمتنا ومصيرنا فإن ذلك هو طريق البناء .

وقد يحسبنا بعض الناس الذين اعتادوا التفكير المجّرد ، وهم قابعون في بيوتهم ، قد يحسبنا هذا البعض خياليين ، ولكننا لن نحتاج الى دحض هذه الفكرة لأن امثال هؤلاء الذين منيت بهم أمتنا في لحظة من لحظات ضعفها . إن امثال هؤلاء الذين لا يطيقون العمل إلا اذا جاء لخدمتهم ، إنهم لا يقنعون إلا إذا وضعت ايديهم على العمل .

إننا لن نحتاج الى دحض هذه الفكرة وهذه التهمة ، وإنما نود أن نقرر حقيقة واحدة . . هي ان صاحب الرسالة يستطيع ان يعمل المستحيل في سبيل الوصول الى هدفه إذا سار في طريق العمل بإخلاص وجد ولم يطلب النتيجة السريعة ، وانما يحاول تركيز العمل وتوسيعه وتعميقه .

ذلك هو واقعنا الذي نريد ، وطريقنا الذي نسير فيه والله من قبل ذلك ومن بعد من وراء القصد وهو ولي التوفيق .

الايجابية وواقعنا الطائفي

بسم الله الرحمن الرحيم

للطائفية في حياتنا أكثر من موقف ، ولها في واقعنا أكثر من تأثير وأكثر من مشكلة . . فهي واقع نعيشه ونحس به ، ونتحرك في إطاره ونتأثر به في حياتنا العامة . . .

ولهذا فلن نستطيع انكاره والتغاضي عنه ، وتجاهل فاعليته في داخل كياننا وخارجه ، وبالآخرة في مجتمعنا بشكل عام .

[١]

فما هي الطائفية ؟ . .

الواقع إننا لا نملك تفسيراً علمياً للطائفية ، وانما نتمثلها في معناها الذي يعطيه لفظ «الطائفة» من الناس الذي يعبر عن جماعة معينة من البشر تلتقي عند جامع معين ، او هدف خاص ، وبذلك كون الطائفية تعبيرا عن « الشيء » الذي يجعل لفئة من الناس سمة معينة . . في مقابل فئة أخرى منهم . . فيختص كل منها بصفة « الطائفة » فيقال إن لدينا طائفتين ، او طوائف .

(*) عن مجلة الأضواء العدد الثالث للسنة الثالثة ١٣٨٢ هـ .

وعلى ضوء هذا التفسير . . فلا تختص الطائفية بدين معين ، كما لا تختص بفكرة معينة . . فالأديان والمبادىء العامة تشترك جميعاً في هذه الظاهرة وفي هذه الصفة ، فكما نجد الإسلام يحتضن طوائف مختلفة . . كطائفة « السنة » وطائفة « الشيعة » نجد المسيحية تعيش هذا الواقع ، فترى طائفة الكاثوليك في مقابل طائفة الأرثوذكس ، وغيرهما . .

وفي الوقت الذي نلمح ذلك في الاسلام والمسيحية . . نجد أمامنا المبادى العامة الحديثة فنجد الديمقراطية تحتضن تفسيرات متعددة ، وكذلك الاشتراكية والقومية . . .

ومع ذلك فقد جرى الاصطلاح الحديث على اطلاق كلمة « الطائفية » على الانقسامات الدينية العامة . . والمذهبية في اطارها الديني . . ويلوح لنا ـ في بادي النظر ـ أن منشأ هذا الاصطلاح هو عمق التأثير الديني في نفس الانسان ، وقوة فاعليته في حياة البشر . . الامر الذي يعمِّق الاحساس بالفكرة وبالفروق التي تفصلها عن الفكرة الاخرى . . بالنظر لروح القداسة التي تسيطر على التفكير الديني والشعور المذهبي مما يساعد على الاندفاع العفوي بحماس وقوة وأيّاً ما كان منشأ هذا الاصطلاح ومرجعه فلسنا بصدد البحث عن ذلك . . وانما نريد أن نشير إلى أنَّ مجال حديثنا هو الطائفية كمشكلة دينية .

ولا نريد في حديثنا أن نؤرخ للطائفية كظاهرة تاريخية . . فنرجع الى التاريخ في احداثه وأحاديثه ، كيف نشأت الطائفية في الاسلام ، وكيف نشأت في المسيحية فلن يجدينا ذلك شيئاً . . لان الحوادث المعينة التي انطلقت منها هذه الانقسامات لا تعطينا شيئاً كثيراً في حل المشكلة . . فهي متشابهة في دوافعها واشكالها وان كانت مختلفة في اشخاصها وظروفها . .

وانما نريد أن ندرسها كظاهرة اجتماعية حياتية نعيشها . .

وعلى ضوء هذا نجد أن وجود الطائفية أمر طبيعي جداً ، ينطلق من واقع الانسان الفكري والنفسي ، وظروفه الثقافية والمعاشية ، فمن المألوف لدينا أن نختلف فيما بيننا في القضايا التي تمر بنا في حياتنا في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . . دون ان نجد في هذا الاختلاف امرا خارجاً عن الطبيعة . او عن المألوف . . لسبب واضح جداً . . وهو ادراكنا اختلاف الاطار والاسلوب الفكري لكل انسان . . وتنوِّع الاهداف والاغراض الشخصية والعامة لدى البشر فقد يعارض انسان في قضية لانها تصطدم بمصالِحِه واغراضه أو لانها لا تلتقي بالاطار العام لذهنيته وهكذا نجد الحال في جانب التأييد الفكري والعملي للافكار والقضايا ولن تعدم لكل من اسلوب الرفض والتأييد لهذه القضية او لهذه الفكرة ، أَنصاراً يدافعون عنه ويتحمسون له . . وقد يصل الامر الى حد التضحية .

[٢]

وما دمنا نجد في هذا الاختلاف في قضايانا العامة أمراً طبيعياً ومألوفا ، فلا نستطيع إلا ان نجد الامر كذلك في الاختلاف في القضايا الدينية . . فقد عاشت الاديان كما عاشت اية قضية من قضايا الظروف التي تهيىء لهذا الانقسام في الرأي والعمل . فكانت الاطماع الشخصية والعداوات الفردية والقبلية ، والاختلاف في فهم النصوص والاحكام وطريقة استخراجها وفهمها ومعالجتها ، وكانت الى جانبها السلطات الحاكمة التي وقفت الى جانب الكثير من هذه الانقسامات . . كل ذلك مما ساعد على تعميق هذا الاختلاف وتوسيعه حتى اصبح سمة من سمات الدين والعقيدة . . فتعددت المذاهب ، وتعددت الطوائف التي يرى كل منها في منهجه وطريقته المثال الوحيد لمنهج الدين وطريقته . .

وانطلقت ـ من وراء ذلك ـ الاتهامات بالكفر والخروج عن الدين ، وبدأ كل فريق يتهم الفريق الآخر بشتى التهم الفظيعة . . التي قد يمليها الخيال ويوحي بها الحقد الدفين وتعدى الامر الى التراث التشريعي للاديان ، فبدأت عملية الوضع تغزو الاحاديث النبوية فبدأنا نشاهد فيها اختلافاً يختلف حسب اختلاف الطوائف ، فتجد امامك الحديث الذي يسند دعوى هذه الطائفة ، وبازائه حديث لآخر يناقض ذلك . . ليسند الطائفة الأخرى .

ومن الطبيعي ان ينال التاريخ نصيبه الكبير من هذه الظاهرة ، فتؤرخ الواقعة الواحدة بطريقتين تختلفان كل الاختلافات حتى لا يكادان يلتقيان . . إذاً نحن أمام تركةٍ هائلة من الأكاذيب والمتناقضات ، التي صنعتها الطائفية وغذتها أطماعها وأحقادها . .

[٣]

وانتقلت هذه التركة الهائلة الى حياتنا العامة فبدأت الطائفية تطبع سلوكنا ومشاعرنا وتاريخنا وثقافتنا بطابعها ، فاذا بالحذر والخوف وعدم الثقة ، تطبع تصرفات كل طائفة تجاه الأخرى . . وإذا بالضحايا تتساقط نتيجة تصرفات غوغائية همجية لا تمت الى العقيدة بصلة ، وإذا بنا نجد لكل طائفة من هذه الطوائف مصالح خاصة وتقاليد معينة ، تحافظ عليها اكثر مما تحافظ على عقائدها الخاصة ، ومصالحها الدينية العليا . . وهكذا أصبحت مستغلاً للاستعمار الكافر وللأحزاب المعادية للدين وقد شهدنا في الأونة الأخيرة في العراق أناساً كثيرين يتبعون بعض المبادىء الكافرة ، لا لشيء إلّا لأنَّ الطائفة الأخرى تتبع بعض المبادىء الأخرى التي تصطدم بذلك المبدأ ، دون أن يلتفتوا الى أن كلا الطرفين عدوان للدين والعقيدة .

وهكذا أصبح اسم « الطائفية » يمثل السرطان في حياة الشعب

وأصبحت الامة تستعيذ من الطائفية كما تستعيذ من الشيطان الرجيم فقد عادت منطلقاً لأعداء الله من المستعمرين وغيرهم ينطلقون منها الى مصالحهم وأطماعهم ومشاريعهم التخريبية . فيستثيرون الأحقاد ويوغرون الصدور . . .

والأمّة لاهية بخلافاتها ومنازعاتها التي لا تجديها شيئا .

[٤]

ذلك واقع نعيشه ونحس به ولا نستطيع تجاهله وانكاره . . ولكننا نريد ان نلقي الضوء على بعض جوانبه نحاول أوّلاً أن نتساءل عما اذا كانت هذه المشاكل والأحداث التي نعيشها ، نتيجة الانقسام المذهبي فحسب . . او انها نتيجة عدم تفهمنا لحقيقة ديننا الذي يحتفظ بقواعد عامة لم يستطع الخلاف والإنقسام أن يغزوها ، ثم نتساءل ثانيا . . عن الطريقة العملية الإيجابية التي نستطيع أن نعالج بها مشكلة الطائفية في واقعنا المعاصر . .

أمّا السؤال الاول . . فنستطيع أن نجيب عنه بالقول بأن المشاكل التي حدثت والضحايا التي سقطت ، والاستغلال الذي حصل لهذا الانقسام لم ينشأ إلا من سوء فهم هذه الطوائف لعقيدتها ودينها . . ففي النطاق الاسلامي لا نجد ان طبيعة الخلاف الذي نشأ بين المسلمين يسوّغ لاحدهم الاعتداء على الآخر لمجرد انتمائه الى الطائفة الاخرى فحسب . . دون بغي او عدوّان ، كما لا نلمح في ذلك ايضاً . . ما يبرر الاستعانة بالكفرة على المسلمين . . فإن أيَّ مذهب من المذاهب الاسلامية لا يسوّغ ـ حسب مفاهيمه واجتهاداته ـ فسح المجال للكافرين امام المسلمين أيّاً كانوا .

إذن . . فلم يكن الانقسام المذهبي هو المتهم في هذه المشكلة .

وانما هو فقدان المسلمين للوعي الديني والسياسي الذي يجعلهم يلتفتون بـدقة وحـذر الى الاعيب الكفار المستعمـرين واحابيلهم ومكـائـدهم في سبيل الايقاع بالمسلمين وتدمير كيانهم الديني والاجتماعي والسياسي .

فليست القضية قضية مذاهب متعددة ، وإنما هي قضية الغـوغائيـة التي تعيش في حياتنا وتتصرف في مقدراتنا ، وتنطلق في عملها التخريبي تاركةً وراءها كل القيم والمقدسات . . ولست أقصد بالغـوغائيـة هي هذه الفوضى الجماهيرية التي تسود اتباع الطوائف من عامة الناس وإنما أقصد بها الأسلوب الغـوغائي في العمل الذي ينطلق بـوحي الحقد والـرواسب القديمة والعاطفة دون التفات الى واقع القضيـة التي يؤيدهـا أو يعارضهـا ودون القيام بهذه الخطوة أو تلك . .

انه اسلوب العاطفة فما دامت العاطفة تملي التـدمير . . فليـدمروا ولا يدعوا شيئـا امامهم ولا مـانع بعـد ذلك أن يصفقـوا لمن دمـروه ، أو يهللوا لمن حطموه .

ذلـك هـو سـر المشكلة ، الـذي بـدأ يـطغى على كـل مجـال من مجـالات الحياة ، فليس المهم أن نعثـر على الحقيقة عنـدمـا نبحث . . وليس من المهم ان نصل الى الحل عندما نفكـر ، وإنّما المهم ان يفحم كل منا خصمه ، أن يفتش عن أساليب جـدلية يسكت بهـا صاحبـه . أمّا العقيدة وأمّا الفكرة التي يتنازعون حولهـا فليس من المهم اثباتهـا أو نفيها لأن كل طرف مقتنع بما لديه ، مطمئن لما يعتقده ، وما دام الأمر كذلـك فأيُّ حاجةٍ به الى أن يفتش وأيُّ أمر يدعوه الى أن يبحث وهكذا لا ينتهي البحث إلّا ليعود ، في حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها .

ذلك هو سـر المشكلة ، وهو متصـل بطبيعـة الاسلوب الذي تتبعـه هذه الطوائف في معـالجة قضـاياهـا ، وليس متصلا بـالمذاهب نفسهـا . فالقضية ليست قضية فكرة وانما هي قضية الاشخاص الذي يحملون هذه

الفكرة فيسيئون اليها من حيث لا يقصدون ، انها قضية روح التدمير التي تسيطر على الفرقاء ، بدلا من روح التفاهم والتعاون بينهم . تماما كما هي الحال في المبادىء المتعددة التي تعيش في عالمنا اليوم دون أن نجد أحداً يتهم هذا التعدد بالخطر الداهم ونحو ذلك من الصفات التي يسبغونها على التعدد المذهبي ، وانما نجد الامر بالعكس فهناك من يحاول اعتبارها ضرورةً من ضرورات الحياة الديمقراطية التي يجب ان تفسح المجال لكل فئةٍ من فئات الشعب في إبداء رأيها ، وهنا نحاول أن نتفهم السر في الفرق بين هذا الذي يعتبرونه ضرورة من ضرورات الحياة الديمقراطية . وبين هذا الانقسام المذهبي الذي يعتبرونه خطراً على الحياة وسرطانا يعيش في قلب الامة .

لماذا يكون ذلك الانقسام دليلا على رقي المجتمع وحضارته بينما يكون التعدد في المذاهب دليلا على انحطاطه وتأخره اننا نحاول ان نتساءل عن الفرق بينهما وان نتفهم طبيعة الفارق .

الذي يبدو لنا ، أن القضية تتصل بفهم هؤلاء للدين ويخطأ هذا الفهم . فهم يعتبرون العقيدة الدينية مجرد قضية شخصية لا تتصل بحياة الانسان ولا بواقعه وانما تتصل بعلاقته بربه وببعض المعاني الروحية العامة التي لا تتصل بواقع الحياة ونظامها العملي في قليل او كثير .

تلك هي نظرتهم الى العقيدة الدينية . وانطلاقاً من هذه النظرة لا بد لهم من ان يعتبروا هذا الانقسام خطرا على الحياة . لانه يشبه اقحام قضايا الانسان الشخصية في قضايا المجتمع العامة ونظامه العملي في السياسة والثقافة والاقتصاد ، أمّا المبادىء العامة ، فهي تمثل محاولة الانسان لتنظيم حياته على الوجه الاكمل . ولذا فمن الطبيعي لديهم ان يفسح المجال لكل انسان في إبداء رأيه كمحاولة عملية للوصول الى الحل الأفضل ، ذلك هو الفارق بين الانقسام الدينى والانقسام المذهبي في

مفهـومهم ، وربما يجد البعض لهم العذر في هـذا المفهوم بعـد أن كـان الواقع العملي للمسلمين يؤكد ذلك . فمن المألوف جـداً أن تجد الكثيـر ممن يـدافع عن طـائفيته بحـرارة وقـوة ، في الـوقت الـذي لا تجـد أثـرا لعقيدته في حياته وفي وجدانه ، بل ربما نجده يعتنق فكرة أُخرى وعقيدة معينة تتناقض مـع عقيدتـه في المفاهيم العـامة والخـاصة ، الأمـر الذي يعطينا أن الطائفية والمذهبية لم تعـد تمثل لـديه شيئـا إلا قضية شخصيـة تقليدية فحسب .

أمَّا نحن ، الذين يجدون في الدين نظام الحياة الأفضل الذي جـاء ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وليخرجهم من الظلمات الى النور ، وليحرر وجداناتهم من عبودية الوهم والخرافة الى حرية العقل والمنطق ، أمَّا نحن فلا نجد في هذا التعدد المذهبي الا مظهرا من مـظاهر الخـلاف العقائدي الذي قدَّمنا اختلاف دوافعه واسبابـه والذي لا يعيش في داخـل الانسان فحسب وإنما ينطلق الى حياته بكل عمقها وشمولهـا ، ولذا فـانه لا يختلف عن اي خلاف عقائدي يتعلق بقضية مصير البشرية ، بل ربمـا يفوقه في الاهمية والعمق ، من حيث ارتباطه بمصير الانسـان في الدنيـا والاخرة .

وخـلاصة القـول : اننا لا نجـد في مجرد الانقسـام المذهبي خـطراً على المجتمع كما يرون ، وانما نجد الخطر في الاسـاليب التي تتبع في استغلال هذا الانقسام وفي معالجتـه تمامـاً كما يحـدث في الانقسامـات الفكرية الاخرى في الانظمة الاجتماعيـة من ألوان الإستغـلال ولا نهدف من ذلـك الى اعتبار الـطائفية ظـاهرة طيبـة في حياتنـا المعـاصـرة كبقيـة الظواهر الطيبة التي نعطف عليها ونشجعها فذلك أمر أبعد ما يكـون عن أهدافنا الرامية الى توحيد المسلمين في فكرة إسلامية واحدة وإنما نهدف إلى واقع الطائفية كمظهر من مظاهر الخلاف العقائدي المجـرد ومقارنتـه

بواقعها كمظهر من مظاهر استغلال العقائد والأفكار لمصالح وأطماع شخصية أو نوعية مع الاحتفاظ بالفروق الأساسية التي تميز كل عقيدة عن الأخرى في طبيعة الخلاف وفي الاستغلال .

اما الجواب عن السؤال الثاني : فسنحاول معالجته في العدد المقبل ان شاء الله تعالى .

[٥]

اما الجواب عن السؤال الثاني ، فنحسب ان من المفيد لنا عرض بعض الالوان التي تطغى على الواقع الطائفي الذي يعيشه المسلمون بالنظر الى ان ذلك قد يعيننا على الوصول الى حل ايجابي للمشكلة . .

ومن هذه الالوان نجد أن المذهب الامامي الاثني عشري لا يزال يعاني من الاضطهاد الفكري والاجتماعي والعملي ، بشكل مزعج .

ففي المجال الفكري ، . نجد الأساليب المختلفة التي تستخدم في تشويه الخطوط الأساسية للمبادىء العامة التي يرتكز عليها ، وعرض القضايا العامة والخاصة التي تتصل به بطريقة استفزازيةرخيصة لا تشرف باحثا ولا كاتباً ، واذا حاولت أن ترجع الى السبب الذي دعا هؤلاء الى ان يكتبوا او يؤلفوا هذا اللون من الكتابة والتأليف لم تجد أمامك الا المصادر التي أرخت لهذا المذهب بوحي الخيال والحدس والتخمين والعصبية ، وإلّا بعض الكتب التي تحوي الغث والسمين ولذا فهي لا تعتبر مصدراً صحيحاً من مصادر هذا المذهب ، لانها لا تمثل الوجه الصحيح له ، انك لن تجد امامهم الا هذا اللون من المصادر التي اعتمدها هؤلاء فيما كتبوا وفيما ألّفوا وماذا تنتظر من انسان لا يكلف نفسه عناء البحث والرجوع الى مصادر هذا المذهب الصحيحة لتأخذ بيده فتضعها على الواقع العقائدي الصحيح ؟ . وماذا تنتظر بعد ذلك من هذه

الظاهرة ، الواقع اننا لا ننتظر سوى الواقع الذي عشناه ، والذي نـرى فيه الاتهامات الفظيعة التي تنسب لهذا المذهب أفظع ألوان التهم والتجـريح وبأزاءه نلمح ردة الفعل القوي عند اتباعه شعوراً بالظلم والاضطهـاد وكتباً تؤلف ، وردوداً تنشر لتحل وتنقض دون اي فائدة او نتيجـة . . ولن تعدم بعـد ذلك الصـوت الذي يـدعـو الى عـدم الـرد تجنبـا لإثـارة المشـاكـل الـطائفية ، ولكن مـا تصنع اذا كنت لا تملك الا ان تدافع عن عقيـدتك وتحفظها من التشويه والتهويش ، وتبرز للناس وجهها الصحيح الناصع ، وهكذا يقف المسلم الواعي بين محذورين ، ففي جانب يجد أن عليه أن يكسر قلمه ويحطمه ، ويلجم فمـه ويخرسـه خوفـاً من أن يستغل اعـداء الاسلام هذا الواقع ـ كمـا استغلوا ـ في ضرب الكيـان الاسلامي بشكـل عام . .

وفي جـانب آخر . . يجـد أن هناك تشـويها للحقـائق ، وان هنـاك إثـارةً للمشاعـر واستفـزازاً للعـواطف . . لا يمكن التغـاضي عنـه . لأنـه سيكـون منطلقـاً للضلال ، ومبعثـاً لتركيـز روح الفرقـة بين المسلمين بما يفعله من تعميق الخلاف فيما بينهم وتـوسيعه حتى بـات كل فـريق يعتقد كفر الآخر ومروقه .

وفي الـوقت نفسه ، لم يكن الصـراع في مثـل هـذا مقتصـراً على النخبة المفكرة التي يمكن أن تمسك اعصابها ، وانما هناك الطبقة العامة من الناس التي لا تملك الا اعصابهـا ، في مثل هـذه الظروف وفي مثـل هذه الميادين .

وهكـذا تبقى المشكلة معلقة ، وهكـذا تلمـح في كـل يـوم كتـابـا جديداً تلفظه المطابع وتتلاقفه الايدي فاذا بتشويه الحقائق وتزوير التاريخ والاسلوب الرخيص في الاثارة يمثل الطابـع العام لهـذا الكتاب الـذي لو كلف مؤلفه نفسه عناء البحث والتحقيق في الموضوع الذي عالجه ورجع

إلى المنابع الأصيلة ليتجنّب المجتمع الإسلامي كثيراً من الهزات التي هو في غنى عنها وإراحته من كثير من أساليب التهويش والتهريش التي يندفع فيها العامة دون روية وتفكير .

وفي الامس القريب كانت فتوى شيخ الازهر الاستاذ « الشيخ محمود شلتوت » مبعثا للأمل في ان تكون منطلقاً لعهد جديد تصحح فيه الاوضاع وتسود الثقة بدل الشك ، والبحث العلمي الدقيق بدل السطحية والارتجال . ، نظراً إلى المركز الذي يمثله ، وإلى طبيعة الفتوى التي جاءت لتصحح مفهوماً خاطئاً كان يعيشه بعض المسلمين فيما يتعلق بالمذهب الامامي ، فأثبتت ان المذهب الامامي ليس إلا مذهباً اسلاميا يعتمد الكتاب والسنة في استنتاجه واستنباطه لاحكام الشريعة فيجوز اتباعه ويجوز العمل به ، وكانت هذه البادرة بادرة خير رجونا ان نجد لها الأثر الحسن ، والوقع الطيب ، لا لأنا راينا فيها كسباً جديداً للمذهب الامامي ، وانما لانا رجونا من وراء ايضاح هذه الحقيقة ان نحصل على نتيجة عملية فيما يتعلق بالتقارب الفكري بين المسلمين . .

ولكن بعض الكتّاب ممن لا يعيشون مسؤوليه الكلمة ، ولا يحترمون قداسة الحقيقة لم يلتقوا بالجانب الخيرِّ من هذه الدعوة ، وانما انطلقوا يجترون احقادهم وضغائنهم التي خلفتها القرون المظلمه ، ليحولوها الى كلمات لن نجد في قاموس اللغة ما يشرفها من النعوت والاوصاف، وهكذا عاش المسلمون في هذه الأونة فتنة كادت ان تتسع وتتعاظم لو لا رغبة المخلصين وعملهم في ان تضيق وتتضاءل حذراً من استغلال الأعداء التقليديين للاسلام من الاستعمار واعوانه في الوقت الذي لا نزال نعيش الصراع بأقوى أشكاله معه وهكذا لن تلتقي بدعوة خيرة في الطريق إلاَّ وتجد أمامك دعوة شريرة تحاول ان تنفث فيك سمومها ، وتنشر أحقادها ذات اليمين والشمال .

ومن بين هـذا وذاك بـرزت بعض المفـاهيم الأسـاسيــة ، وبعض الحقائق العامة فكشفت بعض الزيف الذي خدع الناس مدة من الـزمن ، ولكن لا يزال الكثير من المفـاهيم يعيش في قلق في نفوس الكثيـرين من المسلمين تجـاه هذا المـذهب من جرَّاء الخط الفكـري المنحرف الـذي ساروا عليه في معرفته وفهمه .

وفي المجال الاجتماعي والعملي نجد الواقع الفكري ينعكس على الجـانب الاجتمـاعي والجـانب العملي فنجـد الـرمي بـالكفـر والاشـراك والخـروج عن الاسلام ونحـوها من السمـات التي يـرمى بهـا اتبـاع هـذا المذهب دون ان يفسح لهم مجـال الدفـاع عن انفسهم ، لاظهار واقعهم الاسلامي الأصيل .

وبازاء ذلك نجد الغبن الفاحش الذي يحيق بـاتباع المـذهب في مراكز بعض الدول ، مما يعمق في انفسهم روح الاضطهاد والظلم .

ذلك واقع نعيشـه ونحس به ، ونحسب انـه شارك ولا يـزال يشارك في تعميق وتـوسيـع الهـوة الهـائلة التي فصلت بين الـطوائف الاسـلاميـة بالنظر الى ان طبيعة الاضطهاد تخلق عند المضطهدين شعوراً عميقاً أشبه ما يكون بالشعور بـالاستشهاد وتجعـل الطائفـة الأخرى في مـوقف الظالم والمعتدي مما يركز روح العداوة في نفوس الطرفين ويضعف امكانية قيام حـل صحيح لمشكلة الانقسـام الطائفي ونستـطيع أن نلمـح جيـدا مـدى العمق الـذي وصل إليـه هذا الانقسـام إذا شاهـدنا كيف يمكن لنـا (في بعض البلدان الاسلامية) أن نأمل قيام علاقة يسودها الصفاء والـوئام بين المسلم وبين شخص آخـر لا يدين بدينة ، ـ كمـا هو الـواقع العـام ـ ولا نأمل ان تقوم مثل هذه العلاقة أو بعضها بين طـائفة إسـلامية وبين طـائفة إسلامية أخرى .

وفي بعض البلدان الاسـلاميـة نجـد ان بـإمكـان غيـر المسلم ان

يمارس عباداته وتقاليده الخاصة في جو هادىء من الحرية والطمأنينة بينما لا يجد المسلم الامامي أي حرية فيما يرى وفيما يعتقد ، بل يصل الأمر بها أن تمنع من قبول شهادته في المحاكم المختصة مما يسهل كثيراً امر الإستيلاء على حقوقه العامة والخاصة .

وما لنا نبعد كثيرا ونغرق انفسنا بالرمز وامامنا موسم الحج الذي فرض ليكون منطلقاً للتفاهم والتعاون بين المسلمين كطريقة عملية من طرق توحيد كلمتهم وجمع صفوفهم إنّ هذا الموسم اصبح بفضل العناصر التي تهيمن على السلطة هناك . . منطلقاً لتشويه وتزوير المذهب الامامي كأن ليس للمبلغين او « الوعاظ » هناك من هدف إلا الدس والإفتراء على هذا المذهب ، دون ان تسمح لاتباعه مهما بلغوا من الفضل ومن الهدوء العلمي الرصين ، أن يقفوا وقفة هادئة ليناقشوا هؤلاء الكتّاب حول ما يدعون وما يكذبون في سبيل تركيز الروح العدائية لدى البسطاء من المسلمين ضد هذا المذهب وهذه الطائفة .

[٦]

هذا عرض موجز رأينا أن نعرضه هنا . كصورة حية للواقع الذي نعيشه في ظل هذه المشكلة ، وكشاهد محسوس على حاجتنا الملحة الى الوقوف امام الحلول الايجابية البناءة لهذه المشكلة . فما هو هذا الحل ؟

الواقع اننا لا نزال نجد ـ كما قدمنا في العدد السابق ـ في قضية الطائفية مجرد خلاف في قضية فكرية واحدة او قضايا متعددة ، فهذه هي الصورة البارزة لهذا الخلاف وهذا الانقسام ، وفي الوقت نفسه نجد ان كثيرا من القضايا الاساسية التي تتصل باصل العقيدة تمثل الرابطة الوثيقة التي تشد الجميع في وحدة فكرية رائعة .

وما دامت القضية قضية فكر وعلم . فلا بد لنا أن ندرسها من هذا

الجانب فنلاحظ ان هناك بعض القضايا التي تتصل بالواقع التاريخي ، كما ان البعض الآخر يتصل بالواقع التشريعي ، ولن نعدم بعضا ثالثا ، يتصل بمصادر التشريع واصوله .

وعلى ضوء ذلك . فلا بد أن نعالج الخلاف على أساس الواقع التاريخي كما نعالج اية قضية اخرى تتصل بالتاريخ . بهدوء علمي تحليلي ، يلاحظ المصادر التاريخية . ومدى ما تعطيه من سند ودلالة لأحد طرفي القصة ثم يقارن بين هذه المصادر في عملية استنتاج وتحليل ومناقشة ليصل بعد ذلك الى الحقيقة الأصلية . كل ذلك بروح علمية هادئة متزنة لا تسمح للعاطفة ولا للرأي المسبّق أن يطغى عليها . .

اما القضايا التي تتصل بالواقع التشريعي ومصادره ، فلن نحتاج الى كثير من الجهد لنعرف طبيعة معالجتها . وذلك لاننا عشنا في دراساتنا الفقهية العامة هذه القضايا وهذا الواقع ، دون أن نجد فيما عشناه اثراً للعاطفة او للتهريج .

هذا من ناحية عامة ، ولا بد لنا لكي نصل الى ذلك أن تكون الصراحة رائدنا وهدفنا واسلوبنا فيما نعرض من افكار وفيما نثير من مناقشات ، فلا مجال للف والدوران ، ولا مسرح للتهويش والتهريج وانما هناك نصوص وحقائق يعرضها كل طرف للطرف الآخر بكل نزاهة وإخلاص ، ليدرسها كل منهما بعمق ودقة . فليس هناك شيء يبعد الانسان عن الوصول الى الواقع ، والى الحقيقة العلمية البحتة كاتباع المجاملة وملاحظة العواطف والمشاعر الخاصة ، في مجال البحث العلمي ، والمناقشة الفكرية .

إن مجال النقاش العلمي . هو التقاء فكرتين على صعيد البحث دون أن يكون لكل منهما شخص يمثلها أو يدافع عنها . وبتعبير اصح دون ان نسمح لظل صاحب الفكرة ان يقف حائلا وحاجزا بين الفكرتين

بمشـاعره وعـواطفه ورواسبـه وإذا اردنا الاصـطلاح الحديث ، فيجب ان يكون البحث يجري بروح رياضية .

ومن الطبيعي أن يبقى البحث في هذه القضايا مقتصـراً على النخبة المفكرة من الطرفين ، لانهـا هي التي تستطيـع أن تعيش الصراع بعقلهـا وروحها العلمي الرصين لا بـاعصابهـا وعواطفهـا ، أمَّا العـامة فيجب ان تبتعد عن هذا المجال لانها لن تستـطيع شيئـاً الا اثارة الغبـار والضوضـاء في وجـوه العاملين على وحـدة الفكرة ، دون جـدوى الا الضـرر الكبيـر وفقدان الهدف . .

وخلاصة ما نريد ان نقولـه في هذه المشكلة : . ان علينـا ان ننظر إلى اراء المذاهب كما ننـظر إلى اي قضية فكـرية أخـرى ، ، فكما نقف في بقية القضايا المجردة على الحياد ، دون ان يكون لنا هدف من بحثنـا الا الوصول إلى الحقيقة ، ودون ان تؤثر عـواطفنا ومشـاعرنـا على طبيعة البحث ونتائجه ، وعلى الجهـد الفكري الـذي نبذلـه في سبيل استيعـاب حقائق الموضوع ودقائقه دون ان تفوتنا منه شاردة او واردة فكذلك الأمر في القضايا الفكرية التي تتصل بالطائفية فكرة واسلوباً .

وأحسب اننـا اذا استطعنـا ان نصـل إلى هـذه المـرحلة والى هـذا المستوى الفكري فان المشكلة ستنحل تلقائياً دون جهد او عناء . .

[٧]

ومـا دام الحديث يجـري في مجال البحث عن الحـل الايجابي للطائفية ، نجد ان علينا ان نشير في هذه الزاوية الى ان علينا ـ ونحن في طريق الوصول الى الحل ـ ان ندرك ان هناك مصلحة اسلامية عليا واحدة تنتظر جهودنـا وجهادنـا في سبيل انـطلاقة المجتمـع الاسلامي العـظيم ، الذي تلتقي فيه المبادىء الاسلامية الأصيلة والقيم الايمانية الروحية التي لم تستطع بواعث الخلاف والإنقسام ان تؤثر عليها في قليل او كثير . .

إن علينا أن نقف صفا واحداً في المجال الاجتماعي ، أمام العدو المشترك المتمثل في الغزو الاستعماري البشري والفكري وفي الدعوات الضالة التي تحاول أن تحرف اسلامنا عن هدفه وتبعد به عن طريقه .

إن علينا ان نلتقي ونتحد في المجال الاجتماعي العملي الذي يستهدف خدمة الإسلام وبعث كيانه ، وفي الوقت نفسه ، لا بد لنا من الاحتفاظ بصفاء العقيدة في سيرنا وفي عملنا . ولا يضيرنا ان نكون مختلفين في الطريق . فان هذا الاختلاف سوف يتوارى عندما تنطلق الروح العلمية المجردة هادئة وديعة في اعماقنا وافكارنا وهكذا نصل الى الحقيقة الأصيلة الواحدة في الوقت الذي نصل فيه الى اهدافنا الاسلامية الكبرى التي تنطلق في عملية انشاء المجتمع الاسلامي الافضل الذي يؤمن بالله وبرسوله وبما انزل عليه من دين يركز الحياة على اسس متينة ثابتة في جميع مجالات السمو والارتقاء والله ـ من قبل ذلك ومن بعد ـ من وراء القصد .

الايجابية والشعور بالمسؤولية

المسؤولية : تمثل ـ فيما نفهم ـ الحالة التي يشعر معها الإنسان بأن عليه ان يقدم حساباً عن أعماله أمام جهة ما ، ويحس ـ بعمق ـ بأن تلك الجهة تلاحق خطواته وتدقق في افعاله وحركاته ، لتحكم عليها ـ من زاويتها الخاصة بما يتفق والخطوط العامة التي رسمتها ، والاهداف التي استهدفتها .

وهي ـ بهذه الملاحظة ـ تعتبر موقفا إيجابياً للإنسان ، لأنها تتولى مهمة تحديد موقفه من القضايا التي يشعر بمسؤوليته تجاهها ، ولذا فإن الإنسان الذي يحس بها ، انسان ايجابي بكل ما تعطي هذه الكلمة من معنى . .

وفي « كلمتنا » هذه نحاول جلاء هذا المفهوم وتوضيح الاثار والنتائج الايجابية التي يحصل عليها الفرد والمجتمع ، من خلال تمرسه وقيامه وشعوره به . . ومن ثم نحاول التعرف على موقف الإسلام من

(*) عن مجلة الأضواء العدد الخامس للسنة الثالثة ١٣٨٢ هـ .

المسؤولية وخطواته العملية في سبيل تركيزها وتعميقها في الحياة الاجتماعية العامة .

[١]

أن تحس بمسؤوليتك . . معناه انك تحيا وتحس بالحياة . . بجدواها . . بقيمتها في ميزان العمل بارتباطك بالمجتمع الذي تعيش فيه والكون الذي يحيط بك إنه يبعدك عن فرديتك وانانيتك ونطاق ذاتك ليجري بك في مجال ارحب واوسع حيث تنطلق طاقاتك وامكانياتك نحو البناء والعمل جنبا الى جنب مع اخيك الإنسان بدلا من الانطواء في إطار الذات الضيق الذي لا يلبث ان يتعفن ويتعقد في حدوده المظلمة .

وهو بالاضافة الى ذلك يعطيك الشعور بوجودك في واقعه العملي والحياتي فهو يمنحك الاحساس بانك لست كمية مهملة في الحياة ووجودا ضائعا في الكون كذرة في الرمال . وانما أنت انسان حي تعطي الحياة وتشارك في عملية بنائها ، في اطار انسانيتك النابضة بالخير والمحبة وانت في سبيل ذلك تجهد في الوصول الى الكمال فتدقق في الاخطاء لتتفاداها ، وتنظر إلى النجاحات نظر رضا يتطلب المزيد ، ولا يقف عند حد .

تلك هي المسؤولية حين تعيش في النفس وتنطلق في الذات . وذلك هو الشعور بالمسؤولية حين يمتد في داخل الإنسان ، ليحول حياته إلى منطلق للعمل وقاعدة للابداع .

[٢]

والمسؤولية تختلف في الانسان حسب اختلاف دوافعها واهدافها فعند ما ننطلق من خلال الافكار التي نعتنقها ، والدعوات التي نبشر بها

تكون تعبيراً عن رغبتنا وارادتنا في تجسيد هذه الأفكار وهذه الدعوات الى واقع نعيشه ونحياه وندفع حياتنا في طريقه ، ونقرر مصيرنا على هداه ، إنها تمثل في حياتنا ـ من هذه الزاوية ـ معنى الحيوية والحركة والاحساس بالحياة النابضة المتدفقة ، وتخلق في اعماقنا الشعور بمعنى لوجودنا في هذا الكوكب الهائج .

ذلك هو واقع المسؤولية في وعينا وحياتنا وادراكنا عند ما تنطلق من ايمان الانسان برسالته ، ووعيه لقضيته ، واخلاصه وحبه لمفاهيمها واهدافها ، انها تنطلق ـ عند ذلك ـ بعفوية محببة في داخل الإنسان لتحركه ، ولتدفع خطاه في طريق العمل ، بشكل تلقائي طبيعي لا اثر للتكلف فيه ، ولا مجال للتذمر وهي ـ في الوقت نفسه ـ تبدل نظرته الى الأشياء فيفقد كل شيء معناه في نظره من خلال ذاته وفرديته ووجوده الخاص ليتخذ معنى جديداً يختلف في بعده من نفسه وقربه بقدر علاقته برسالته وقضيته .

فالكون في نظره لا يمثل الا المجال الخصب الذي تنمو فيه الرسالة لتشيع في ارجائه الخصب والعافية والرخاء .

أمّا الناس فانهم الاداة التنفيذية لاداء هذه الرسالة ولتركيزها على اسس عملية ثابتة ، وهم في الوقت ذاته الهدف الذي يهدف اليه ، بالنظر الى أن غاية هذه الرسالة هي اسعادهم واصلاحهم .

أمّا العقبات التي تعترض طريقه فلا تمثل إلا الامتحان الذي تمتحن به رسالته ويختبر فيه مدى قوته وكفاحه وصموده ، وهي بالتالي ذخيرة حية من التجارب التي تمده بالخبرة والمران ، وتقوده بطريقه واقعية محسوسة الى نقاط الضعف والقوة في عمله ، تلك هي المسؤولية في شكلها ومضمونها عندما تنطلق فكرة ، ودعوة ، ورسالة ، وبالتالي عن قاعدة تعيش في اعماق الانسان وروحه وفكره ، أمّا عند ما تنطلق

المسؤولية من خلال المفاهيم والافكار التي تطفو على سطح النفس ، ولا تلامس الأغوار .

امّا عند ما تنطلق من القوة التي تلّوح بالسوط وتنذر بالعقاب .

وذلك حينما تكون القوة هي المنطلق الذي ينطلق منه العمل . . وتنبعث منه الخطى .

أمّا عند ذلك ، فالمسؤولية شيء بغيض تنفر منه النفس وتعافه وتحاول أن تتفاداه او تهرب منه بالبحث عن منفذ للهرب ، او عذر للتخلص ، او وسيلة للفرار ، لانها تمثل ضعف الإنسان وانخذاله وانهزامه امام منطق القوة ، واسلوب الشدة .

ان مثل هذه المسؤولية . تكون عبئاً يثقل عاتق الانسان لانه مكره على حمله ، مضطر الى احتماله . ويثقل ضميره عندما يحاول أن يوفق بين هذه المسؤولية التي تدفعه الى العمل من خلال القوة ، وبين مسؤوليته التى تفرضها عليه مثله وقيمه .

انها المسؤولية القسرية ـ ان صح التعبير ـ التي تمثل الخوف والقلق والرهبة والفزع الى غير ذلك من هذه الالفاظ التي تعبر عن المعاني المزعجة التي تشيع في النفس عدم الاستقرار وتشعر الإنسان بالضياع والحرمان .

هذان وجهان للمسؤولية نلتقي بكل منهما في صورة من صور حياتنا المعاصرة فهما يعيشان معنا في دعواتنا التي ندعو اليها ، وفي اعمالنا التي نعمل لها .

فقد تجد « البعض » ، منا يعملون في المجال الفكري والعملي ، اعمالا شديدة مرهقة ، ربما تكلفهم حياتهم ، لا لأنهم يؤمنون بما يعملون ، ومقتنعون بجدارته وبصلاحيته بل لأن هناك خوفاً يلاحقهم ،

ورهبة تفزعهم ان هم تركوا العمل ولذا فانهم يستبشرون كثيراً إذا اعترضتهم العقبات في الطريق او وقفت الظروف بينهم وبين المضي في العمل

وقد تجد مثل هذا البعض ، يدعون لبعض الأفكار ، ويبشرون بها للمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاهها ولكنها المسؤولية التي تنطلق من « فرض » هذه الدعوات عليهم بالقوة من قبل سلطة معينة .

إن عليهم أن يهللوا ويكبروا ويتحمسوا لان هناك عقابا ينتظرهم ان بدرت عنهم بادرة برودة أو تأفف أو تعثر في الطريق .

وقد تجد بعضاً آخر ، من الناس يندفعون في العمل ويضحُّون بكل شيء ، بكل حرارة وقوة واندفاع في سبيل نجاح الفكرة والدعوة دون ان ينتظروا جزاءً ولا شكوراً من اي سلطة كانت ، وانما هو الحب للدعوة وللفكرة والفناء فيها والاخلاص لها .

فهم لا يبصرون الا فكرتهم وعقيدتهم ، ولا يتصورون الا الواقع الذي تتجسد فيه هذه الفكرة ، وتنطلق فيه العقيدة لتتحول الى واقع حي يعيش الناس في ظله ويحيون في خصبه ورخائه .

ولذا فهم لا يرتاحون للعقبات التي تعترض طريقهم ولا يعبأون بالاعذار والمثبطات التي تثقل خطاهم ، وتمنعهم عن التقدم والانطلاق .

ان المسؤلية تمثل لدى الفئة الاولى السجن المعنوي الذي يقيد حريتها ويمنعها عن الانطلاق بينما تمثل لدى الفئة الثانية ، المنطلق الذي تنطلق فيه والمتنفس الذي تتنفس فيه ارواحهم الهواء في ظل القيم والمثل الكبيرة التي تعيش في ذواتهم .

إنها تمثل في الجانب الاول انهزامية الانسان وضعفه ، بينما تمثل في الجانب الآخر قوته وصموده وجرأته .

[٣]

وكما يختلف « نوع » المسؤولية تبعا لاختلاف دوافعها واهدافها ، تختلف « المسؤولية » ايضا في مظاهرها واثارها الخارجية .

فمن الطبيعي أن تقف المسؤولية عند قدرة الانسان كحدٍّ لا تتعداه الى غيره فالانسان غير القادر عاجز عن ان يقدم شيئا ولذا فمن القبيح - عقلا - ان يطلب منه شيء .

واذا كانت المسؤولية تابعة للقدرة فلا بد لها أن تختلف لدى الإنسان تبعا لاختلاف « نوعية » القدرة و « كميتها » عند افراده ، فقدرة الحاكم المطلق على العمل تختلف عن قدرة اي فرد آخر من افراد المجتمع لانه يملك الوسائل المعنوية والمادية للقيام بما يفرض عليه من واجبات والتزامات بينما لا يملك الفرد العادي اي شيء منها وفي مثل هذا لا نستطيع ان نطلب من الفرد ما نطلبه من الحاكم في نوعيته وكميته .

وانطلاقاً من ذلك ، لا بد لنا من أن نلاحظ هذه الناحية في وعينا للمسؤولية وفي دعوتنا لتحمّلها ، فهناك طوائف من الناس لا نستطيع ان نطلب منهم إلا العمل الفكري والنظري لانهم لا يملكون ادوات العمل الخارجي ومقوماته وانما يملكون الفكر والثقافة التي يستطيعون بها أن يخططوا ويرسموا الطريق والغاية وهناك طوائف لا نستطيع ان نطلب منهم إلا الاعمال الخارجية التي تختلف شدة وضعفا حسب اختلاف نوع الافراد وقدرتهم، لانهم لا يملكون ادوات العمل الفكري والثقافي .

وفي كل جانب من الجانبين - الفكري والعملي - يختلف الناس

في استعـدادهم وقابليتهم ، فمنهم الـذي لا يستطيـع الا تخطيط العمـل فقط دون أن يشارك في تنفيذه . . ومنهم الذي لا يستطيـع إلا التنفيذ . . تاركاً للاخرين مهمة التخطيط .

وهكذا نجد أن علينا اذا اردنا أن نركز هـذه المسؤولية على قـاعدة ثابتة لتستطيع اعطائنا النتائج المثمرة التي نستهدفها من وراء التمرس بهـا او الدعوة اليها وهكذا نجـد أن علينا أن نـلاحظ ونحقق كثيـراً في مواهب وقابليات الاشخاص وامكانياتهم الفكرية والمادية قبل توزيع المسؤوليـات عليهم واناطتها بهم ، فاننا اذا اغفلنا هذه الناحية الدقيقة فسنحصـل على نتائج عكسية بطبيعة ارتباك الوسائل والمقدمات .

وعلى أساس هذه النـظرة والملاحـظة نستطيـع ان نفسر الكثيـر من الاخطاء التي وقعنا فيها ، والاخفاقات التي منينا بهـا في بعض المراحـل التي عشناها في مجال العمل في سبيل الله ، او في المجالات الأخرى ، فقد اغفلنا هذه الناحية ، ولم نرعها حق الرعاية وانما اعتمدنا على بعض المؤثـرات والمبررات الخـارجية التي لا تمس العمـل من قريب او بعيـد فكـانت نتيجة ذلـك أن فقدت كـل مرحلة من مـراحل العمـل الـوسـائـل الـطبيعيـة التي تهيء لهـا سبيـل النجـاح نتيجـة فقـدان القـائمين عليهـا للامكانيات الفكرية والعملية التي تتيح لهـم مجال السيـر بها نحـو غايتهـا المعلومة .

تلك هي المسؤوليـة كـ « حالـة » تعيش في النفس فتـدفعهـا نحـو العمـل . وتلك هي أثارهـا ونتائجهـا في داخل الانسـان الـذي يحس بهـا ويتحرك في اطارها .

أمّا المسؤولية . . التي تعيش في المجتمع كـ « ظاهرة اجتماعيـة » فلن نحس بـأثـارهـا ونتـائجهـا وخـطواتهـا الايجـابيـة في تـركيـز الحيـاة الاجتمـاعيـة وتعميقهـا ، إلا إذا عـرفنـا الاطـار الـذي تتحـرك فيـه هـذه

المسؤولية ، فهناك مظاهر لها تطبع سلوك الفرد والمجتمع في الكلمة عند ما تلفظ ، والخطوة عندما تبدأ في الطريق ، والطريق عندما يرسم والعاطفة عندما تتحرك وتنفعل ، والفكر عندما يحلل ويدقق .

فالكلمة عند ما تكون مسؤولة ، تمثل الكلمة الخيرة الطيبة التي تشع وتنير وتهدي ، والمعنى الطيب الذي يؤلف ويجمع وينشر الخير والمحبة والصفاء والروح الهادئة المطمئنّة التي تشيع الهدوء والطمأنينة والسكينة في النفس القلقة الحائرة المتعبة .

والخطوة عندما تتصف بـ « المسؤولية » تمثل الحذر والاتزان والتعقل ، فلا تنهار ولا تنحرف ، ولا تؤذي ، وانما تسير في طريقها على خط مستقيم ثابت ، منسجمة مع خطى الآخرين نحو الكمال والطريق « المسؤول » يمثل الوسيلة النظيفة التي تصل لأهدافها بقوة واطمئنان . دون ان تتنكر لقيمها ومثلها ـ عمليا ـ وانما تنسجم مع هذه القيم ومع هذه المثل خلافا للمبدأ المكيافيلي المعروف « الغاية تبرر الواسطة » أمّا اذا عاشت العاطفة مسؤوليتها ، فانها تمثل الميزان الدقيق الذي يزن الاحساس الداخلي والتأثرات النفسية ، بميزان الفكرة والعقيدة ، ويقيس المظاهر الخارجية للعاطفة في الحب والتأثرات النفسية ، بميزان الفكرة والعقيدة ، ويقيس المظاهر الخارجية للعاطفة في الحب والبغض ، والسرور والحزن ، والألم واللذة والعداوة والصداقة بمقياس يرتكز على الأسس التي ارتكزت عليها مثله وقيمه في عملية موازنة بين قربها من هذه المثل وبعدها عنها .

اما الفكر اذا عاش مسؤوليته ، فانه يمثل القوة الدافعة التي تمد المجتمع بالثقافة البناءة والفكرة المبدعة ، والعلم النافع . إنه يحس ـ في تلك الحال ـ أن عليه أن يعمل ويتحرك ، لينتج الفكر والعلوم كسبيلٍ من سبل تمرسه بالمسؤولية تجاه مجتمعه .

وهكذا نستطيع أن نحس ونرى كيف تكون النتائج الإيجابية لمثل هذه المسؤولية إذا عاشت في المجتمع وانطلقت فيه .

فلن نجد هناك « صراعاً » و (تنازعا في البقاء) ونحو ذلك من المفاهيم التي يعيشها عصرنا بكل حرارة وقوة كما عاشتها العصور السابقة قبلنا بنفس الحرارة والقوة ـ مع الاحتفاظ بالفارق بين طبيعة الزمانين .

إننا سوف لا نجد مثل هذه المفاهيم وانما نجد بدلها التعاون والتضامن والتكافل والإستقامة في القصد ، وفي الطريق .

ولن نجد هناك اصطداماً للأهداف .

وانما هي الأهداف الموحدة التي تلتقي عند غاية أسمى وهي بذل السعادة للمجتمع وتوفير الخير لهم ، وهكذا يسير المجتمع الى غايته ويندفع في طريقه بهدوء واطمئنان واتزان .

[٤]

ولا نريد ان نكون خياليين . فنحاول أن ندعي سهولة الوصول الى هذا الهدف وإمكانية بلوغ مثل هذا الواقع بيسر ولا نحاول أن نتخذ الأساليب الوعظية في سبيل تركيز هذه المسؤولية في نفوس المجتمع فنصور لهم بالأسلوب الرقيق والكلام المزخرف الطيبات التي تنتظرهم عند تمرسهم بهذه المسؤولية والمفاسد التي يقفون فيها عند تهربهم عنها . لا نريد ذلك ، لاننا جربنا أن مجرد الكلام ، وإن بلغ ما بلغ ، لن يستطيع أن يبلغنا الهدف ويوصلنا للغاية اذا لم يستند إلى تربية دقيقة صالحة تخفف من جموح الإنسان في اطماعه ، وتطال من حدة غلوائه . وتدفع به في سبيل العمل المثمر .

اننا ندرك كل ذلك ، حينما نتحدث عن المسؤولية كـ (حالة فردية) وكـ (ظاهرة اجتماعية) لاننا لا نريد بهذا الحديث إلا أن نتفهم

ونتعرف طبيعة هذا المفهوم ونتائجه وآثاره كمرحلة اولية من مراحل البدء في العمل في تركيز هذا المفهوم وتعميقه في نفوس الناس . ليعود (حالة فردية) تعيش في داخل الإنسان وظاهرة اجتماعية تتمثل في السلوك الاجتماعي العام .

أمّا موقف الإسلام من المسؤولية وخطواته العملية في سبيلها فسنحاول التعرف عليه في عدد قادم ان شاء تعالى .

[٥]

ما هو موقف الاسلام من المسؤولية ؟

وأين تقف المسؤولية ، في التخطيط الذي حاول الاسلام أن ينظم به الحياة من حوله .

* * *

هذه هي القضية التي وعدنا القراء بالحديث عنها ، لنصل بها الى وعي « مسؤوليتنا » في وجودنا ـ كمسلمين ـ وفي موقفنا من هذا الوجود في حركة البناء والابداع .

والحديث عن موقف الاسلام من المسؤولية . . يقف بنا في مدخل القضية عند مشارف « فلسفية » نطل منها على قضية « حرية الانسان » في « إرادته » وعن موقف الاسلام « النظري » من هذه الحرية فهل قضى على طائفة من بنى الانسان ان تسلك طريق الشر ، دون ان تملك القدرة على سلوك طريق الخير او اختياره على الاقل . كما قدر لفئة اخرى أن تسير في سبيل الخير . . دون ان يكون لها في سيرها هذا ارادة او اختيار . ؟

هل هناك من يحدد للانسان ـ في تكوينه ـ ان يكون ضالا او مهتدياً

أو ان ارادة الانسان هي التي تحدد له طريقه وتملي عليه مصيره .

تلك هي القضيـة التي تواجهنـا في مدخـل البحث عن المسؤوليـة لاننا نعي ارتباط « المسؤوليـة » بقضية « الحـرية » هـذه . . نظراً الى ان الانســان الـذي لا يعيش الحـريـة في ارادتـه ، ولا يملك طـريق السلب والايجـاب في عمله ، لا يستطيـع ان يحمل مسؤوليـة شيء لانـه انســان عاجز أشلّ يفقد القدرة والحركـة بطبيعـة الاغلال التي تغـلّ ارادته وتقيّـد خطاه فهو عندما يفعل الخطأ فـانما يفعله بـطريقة آليـة مجردة تمـاما كمـا تدور الآلة وتنتج . . والحالة هي الحالة عندما يفعل الصواب .

وهكذا نعي تماما كيف ترتبط المسؤولية بالحـرية . . وكيف تصبـح المسؤولية بدون الحرية الداخلية . . قضية غير ذات موضوع لـدى العقل والوجدان . . كما يصورها الشاعر القديم في قوله :

ألقـاه في اليمّ مكتوفـا وقال لـه : إيــاك إيــاك ان تبتــل بــالمــاء

ومن هنا اطلق الاسلام قضية « حريـة الارادة » كقضية اسـاسية في مبادئه وتعاليمه وكحقيقة واقعة في وجدان الانسان وكيانه قبل ان يبعث فيه الشعـور بالمسؤوليـة . . ولـم يكتف الاسلام بتقـريـر هـذه القضيـة وهـذه الحقيقـة كفكـرة فلسفيـة مجـردة ، وانمـا حـاول ان يـركّـزهـا في داخـل الانســان ، ويعمّقها في وجـدانه ، فقـرر في اكثـر من آيـة وفي اكثـر من حديث ان ضلال الانسان وهداه بـاختياره وان مصيـره بيده . . فقـد منحه الله سبحـانه القـوة وهيأ لـه أسباب القـدرة ومقدمـات العمل ، ولم يتـركه وحده في الطريق يتخبط في ظلماتها ويتيه في مجاهلها . . بل فتـح عينيه على مفتـرق الـطريق وعلى الــدروب التي تصـل بــه إلى الخيـر أو إلى الشر . . ثم تركه يواجه مصيره بنفسه . ويمارس حريته بذاته دون جبـر أو قسر أو اكراه ، وهكـذا تنبع المسؤوليـة في الاسلام ، من طبيعـة الحرية التي تمثـل لنا في الايـة الكريمـة ﴿ إنا هـديناه السبيـل اما شـاكـراً وامـا

كفـورا ﴾ كيف يملك الانسان بيـده أمر مصيـره فهو الـذي يختـار طـريق الخير فيكون شاكراً ومهتدياً ، وهو الذي يختار طريق الشيـطان ويشرد عن طريق الله ، فيكون كافرا أو ضـالا فارادتـه هي التي تقرر مصيـره وقدرتـه هي التي توجه خطاه .

بقي علينا ان نعطي صورة اجماليـة عن طبيعة هـذه الحريـة حتى لا نلتقي بالتفويض الفلسفي . . ولا نملك صـورة أروع من الحديث الـذي ورد عن الامام الصادق عليه السلام .

« لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين » .

فهي من ناحية تتصـل بـ « الجبر » من حيث ارتباط القدرة بالله . . لانه هو منحها للانسان ، بكل ما يرتبط بها من مقدمات وأسباب . . وهـو القادر على سلبها عنه ، ومن ناحيـة اخرى تتصـل بـ « التفويض » لان الله بعد ان وهب الانسان هذه القدرة ، تركه لها فلم يفرض عليه ـ في تكوينه ـ ان يعمل قدرتـه في جانب دون آخـر بل فـوض اليه أمـر الاختيار فله ان يفعل وله ان يترك دون ان يكون هناك ما يجبره على الفعل وما يقهره على الترك وماذا يبقى للانسان بعد ذلك ؟

انه يستطيع الآن ان يواجه مسؤوليته .

وهنـا نستـطيـع ان نتحـدث عن مـوقف الاسـلام من المسؤوليـة . ونحسب ان بـامكاننـا القول بـأن الاسلام وضعهـا في مركـز القاعـدة من تنظيماته وتخطيطاته .

وكدليل على ذلك نجد أمـامنا الحـديث الشريف « كلكم راع . . . وكلكم مسؤول عن رعيته » .

* * *

فقد انطلقت بهذه الكلمة القاعدة الاسلامية للمسؤولية كاساس للحياة الفردية والاجتماعية في المجالين الداخلي والخارجي .

والملحوظ في هذا الحديث أن المسؤولية هنا لم تفرض كتكليف او إلزام ابتدائي « مفروض » من الخارج كما يفرض اي تشريع قانوني ، أو بالاحرى لم يرد لها ان تنبع من خارج ذات الانسان ، من سلطة تفرض عليه القيود والحدود . بل أريد لها ان تنبع من داخل ذاته . . من مشاعره الانسانية ، وان تنطلق من اعماقه بعفوية محببة الى النفس . . ونلمس ذلك في الفقرة الاولى « كلكم راع . . . » فانها توقظ في نفس الانسان الشعور بنوعية الصلة التي تربطه بالاخرين الذين تتصل اراداتهم بارادته وعواطفهم بعواطفه وفكرهم بفكره .

انها تحدد هذه الصلة بينه وبينهم فليست هي صلة العبث واللهو واللامبالاة ، لتتمثل في الحياة اللاهية العابثة التي يحياها الانسان في مجالات اللهو والعبث ، وليست صلة الكبرياء والانانية والطغيان ، لتتمثل في الحياة الظالمة التي يحياها الظالمون والطغاة في مجالات الظلم والطغيان .

وانما هي صلة الراعي برعيته ، بكل ما للراعي من معاني الرعاية والاشراف والتوجيه والحكمة . . وغير ذلك من المعاني التي تفرضها طبيعة هذه الصفة اذا عاشها الانسان في داخل ذاته شعوراً وحسا عميقاً بمعناها الواسع العميق ، لا اداة للسلطة والغلبة والكبرياء .

واذا احس الانسان بهذه الصلة التي تربطه بالاخرين حية في اعماقه متصلة بمشاعره وعواطفه ، بفكره وعقله ، فمن الطبيعي ان تسير حياته في هذا السبيل . . وهنا ينطلق الشعور بالمسؤولية انطلاقا عفوياً داخل ذاته .

وبذلك نستطيع ان نعتبر الفقرة الثانية « كلكم مسؤول عن رعيته »

نتيجة طبيعيه للمشاعر والاحاسيس التي تثيرها الفقرة الاولى في داخل الانسان لانها من مقومات « الراعوية » ومستلزماتها الذاتية . . ولذا فهي تفقد حقيقتها وذاتها عندما نفقد المسؤولية لانها تنقلب حينئذ الى صفة الاهمال واللامبالاة وغيرها من الصفات التي قد تلتقي بأي معنى من المعاني . . ولكنه لن يكون المعنى الذي يمثل الرعاية والاشراف والتوجيه على كل حال .

* * *

بقي علينا . . ان نتمثل في الفقرة الاولى . . كيف يمكن لهذا الحديث ان يفرض كلاً منا راعياً ؟

فقد يبدو لنا أن مثل هذه الصفة التي تتصل بداخل الذات الإنسانية لانها تلتقي ـ في مسؤوليتها العملية ـ بقيم الاسلام الروحية ومثله العليا . .

قد يبدو لنا . ، ان مثل هذه الصفة لن تحصل بتشريع قانوني مجرد ، أو اعتبار شرعي خاص . .

لان التشريع يمثل ـ فيما يمثل ـ القوانين والاعتبارات التي تتعلق بـاحكام الانسان واقواله التي تنظم له حياته الداخلية والخارجية من الوجهة القانونية . . ولكنها لن تستطيع أن تجعل منه انسانا منظما ، لان التنظيم الداخلي للانسان تابع للملكات النفسية التي تسيطر على كيانه وتوجه أفعاله واقواله وليس للتشريع الا مهمة التمهيد لايجاد هذه الملكات بالتدريب العملي الافضل ومن هنا فلا يستطيع ان يعتبر للانسان صفة داخلية وانما يحاول ان يوجدها .

و « الراعوية » ـ كما قلنا ـ إحساس داخلي ينبع من ذات الانسان ، ومن شعوره بقضية أو فكرة أو مبدأ ، تجاه الآخرين الذين تتصل

حياتهم بمسؤوليته ، فلا يصير الانسان راعياً بمجرد ان نعتبره راعياً ما لم تكن هذه الصفة حية في أعماقه ومشاعره .

تلك هي القضية التي تواجهنا ونحن نعيش الفقرة الاولى « كلكم راع . . » .

ولكننا نحسب ان الحديث يقرر هنا حقيقة واقعة ، أو قضية موضوعية . . إنه لا يريد ان يفرض « الراعوية » في حياة كل منا ، ويعتبرها اعتباراً . . وانما يريد ان يثيرها في أعماقنا . . ان يوقظ فينا الشعور بالاهتمام بالآخرين ، وبحياة الاخرين وبعقيدة هؤلاء الاخرين .

فالنداء موجه لكل مسلم يعيش اسلامه ويحياه ، ويحس به في داخل كيانه ـ وفي صميم ذاته ، ويتمثله في صفائه ونقائه ، في الإنطلاقة الروحية التي يمنحها لمجتمعه ، في الحياة الخصبة الرخية التي يثيرها في مجاله الحياتي العام ، في الطمأنينة النفسية التي تسود كيانه وحياته .

ان المسلم الذي يعيش هذه المعاني ويتمثلها ، سوف يتمثل في الوقت ذاته مدى ما يستطيع ان يقدمه للناس من حياة رخية حرة . ومدى ارتباط هذه المعاني التي تعيشها بهؤلاء الناس ، نتيجة اتصال اهدافها بحياتهم وبواقعهم الإجتماعي والفردي . .

واذا تمثل المسلم هذا الواقع في نفسه ، وعاشه في حياته الفكرية والعاطفية ، فقد تمثل الراعوية باعمق معانيها وهكذا نعرف كيف يفرض الحديث الشريف . . كل مسلم راعياً .

دروس من الحديث

- ما خالف كتاب الله فهو زخرف .
- من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم .
- دروس للعمل في حديث الامام الصادق (ع) .
- مع الصوم في الحديث .

مَا خالف كتاب الله فهو زخرف

[١]

اطلق الامام الصادق هذه الكلمة في بعض احاديثه ليضع بها الحد الفاصل بين الحقيقة الإسلامية الأصلية ، وبين الزيف الخادع المزخرف ، وليجعل منها المقياس الصحيح الذي نقيس به صحيح الحديث من كاذبه . وباطل الأمور من حقها لئلا تتلاقفنا الأجواء وتلعب بنا الرياح .

كان الإمام الصادق (ع) يتحدث بهذا الحديث في معرض التحذير من اولئك الوضّاع المرتزقة الذين ابتلي بهم الاسلام في كثير من فتراته ، فدسوا ما شاءت لهم أغراضهم في ثنايا الأحاديث التي تتناول شؤون الاسلام عقائد واحكاما . . حتى عادت الأحاديث تركة مثقلة بالدس والتحريف اللذين تلتقي فيهما بالكثير الكثير من المفاهيم الغريبة عن روح الاسلام وحقائقه الاساسية العظيمة . .

كان الامام الصادق يحدثنا عن هؤلاء وعما فعلوه في سبيل حرف الخط المستقيم للاسلام وفي سبيل البعد به عن أهدافه وانطلاقاته .

كان يحدثنا عنهم ويحذرنا ـ في اكثر من حديث ـ من ان نقع

فريسة فكرية لأغراضهم واهدافهم ، . . أن نخدع بالباطل وهو يلبس ثوب الحق ، أو نؤخذ بالكذب في مظهر الصدق .

ولم يكتف بالتحذير المجرد . . بالإشارة الى وجود هذه النماذج البشرية في حياتنا العقائدية وتاريخنا الديني . . . . بل حاول أن يرشدنا إلى الميزان الذي نميز به الحق من الباطل ، والمقياس الصحيح الذي نرجع اليه كلما التقينا بالشبهات في طريقنا . فكان كتاب الله هو هذا الميزان ، والمقياس الذي نرجع إليه ونأخذ به .

فهو الحقيقة التي لم يلحقها الزيف ولم يعلق بها الباطل .

فهي خالدة باصالتها ونقائها ، لم يعلق بها غبار الشك ، ولم يعرض لها ضباب الزيف .

ومن هنا كانت مفاهيمه التي يدعو لها ، وتشريعاته التي يطلقها ، وخططه العامة في الحياة والنفس والاجتماع والنظام الكوني بوجه عام . . هي الحقائق الأولى والأخيرة لهذا الدين . . وهي الصورة الوضيئة لواقعه وحقيقته .

وإذا كانت القضية بهذا النحو . . فمن الطبيعي أن نعرض عليه ما عندنا من هذه التركة المثقلة من الأحاديث ، . . أن نرجع اليه كُلَّما داهمنا ظلام الشك أو واجهنا ضلال الباطل .

فاذا التقينا بمفاهيمه الوضاءة الصحيحة في هذه الأحاديث . . فحسبنا بهذا دليلا على صدقها واصالتها وبعدها عن الزور والتزوير .

أمّا إذا إفتقدنا تلك المفاهيم فيما نقرأ من حديث أو فيما يعرض علينا من سنة . . أمّا إذا افتقدناها ، فلم نلمح روحها وطهرها وصفاءها فيما نقرؤه وفيما يعرض علينا ، بل وجدنا العكس من ذلك تعقيداً وارتباكا واضطراباً في الفكرة والأسلوب . .

أمَّـا إذا كان واقـع الحديث هـو هذا . . فـلا نحتاج بعـد ذلك الى بحث في إثبات بطلانه وكذبه . . لأنه يبتعد عن المنطلق الذي تنطلق منه مفاهيم الدين ، وينحرف عن الخط الواضح المستقيم الذي يسير فيه . .

وعليه فلا يمكن أن يكون صادراً عن القائمين على أمر هـذا الدين المجاهدين في سبيله ، أولئـك الذين عـاشت إرادتهم في حياتنـا . . من أجل أن يصل هذا الدين الى شاطىء الحياة الأمين .

[٢]

وهكذا ابتعدنا بهذا الحديث الذي أطلقه الإمام الصادق في حياتنـا الدينية والفكرية . . عن جوِّ الكذب والـدجل والنفـاق والدس والتحـريف الذي يبرز لنا في صورة براقة مـزخرفـة . . فقد جـاء هذا الحـديث ليقول لنا . .

إن مـا نـراه من هـذا البـريق ، وهـذا الإغـراء . . . لا ينـطلق من الإشـراق الداخلي للفكـرة ، ولا يرتكـز على أساس متين للواقـع . . فان الظلام يسود الداخل ، أمَّا البناء فهو لا يقوم على أساس . .

أمَّـا مـا نـراه ونلمحـه ، فهـو لا يخـدع إلا السـذج والبسـطاء من الناس . . لانه مجرد زخرف خارجي . . لا يلبث أن يزول عندما يتعـرف الواعون على ما وراءه وعلى ما في داخله من كذب وزيف وظلام .

[٣]

ذلك هو واقع القضية وميزانها في الأحاديث التي تمر بنـا فيما نقـرأ وفيما نسمع .

ولكنه لن يقتصر على هذا المجال . . فليس هو مقياسـا محدوداً ، لقضية واحدة من قضايانا وإن كانت من الأهمية بمكان . .

إنه لا يقتصر على مجال التمييز بين صحيح الحديث وفاسده وإنمـا

يتسع ويتسع حتى ليستوعب الحياة في جميع مجالاتها الفكرية والاقتصادية والأخلاقية .

فهو لم يجعل كتاب الله مقياساً لباطل الحديث وحقه . . إلا لأن هذا الكتاب يمثل المفاهيم الأولى والأخيرة لهذا الدين مما يجعل من غير الممكن في أي حال من الأحوال ـ أن يكون بعض الحديث حقا . . مع اختلافه مع طبيعة هذه المفاهيم وواقعها .

وإذا استطعنا أن نلمح هذه الحقيقة في كتاب الله الخالد .

وإذا جرينا معه في قوله الكريم ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾ فوعينا أصالة مفاهيمه وامتدادها في دروب الحقيقة الكبيرة الخالدة . .

فلا نستطيع الا أن نجعل منه مقياسا لحياتنا . . وبالآخرة لإسلامنا. وهو يتحرك في افكارنا عندما نفكر . . وفي عواطفنا عندما ننفعل ونتأثر ونحب ونبغض . . . وفي أخلاقنا عندما نسير في حياتنا على قاعدة معينة في السلوك وفي النظرة الخلقية العامة . . وفي تشريعاتنا القانونية عندما نحاول أن ننظم حياتنا على أساس جديد ، ونهج جديد . . وفي اقتصادياتنا عندما نحاول اخضاعها لمنهج اقتصادي معين من بين المناهج التي تعيش في الحياة الحاضرة . . وفي حياتنا بشكل عام عندما نحاول أن نلونها بلون خاص ، فيما تعارف الناس على تلوين حياتهم به من مبادىء ودعوات حديثة أو قديمة . .

اننا لا نستطيع إلا أن نلتفت الى هذه الكلمة الخالدة . . لانها تأبى الا أن تجري معنا في كل حركة من حركاتنا ، وفي كل خطوة من خطواتنا وفي كل خطرة من خطراتنا . . انها تأبى الا ان تسير معنا في دربنا الطويل . . لتقينا من الانحراف الى اليمين أو الشمال ، ولتحفظ لنا خطانا على الصراط المستقيم الواضح . .

فهي تلتفت الينا كلما هزتنا دعوة جديدة ، أو فكرة مبتدعة . . لتقول لنا . . ان ما خالف كتاب الله فهو زخرف . . . وان علينا أن نعرضها على كتاب الله . . قبل أن نقرر موقفنا منها . . من المعارضة والتأييد .

وهي تلتفت الينا كلما بعثر الدرب خطانا ذات اليمين وذات الشمال . . فانطلقنا مع الخطى العمياء دون هدى ودون وعي . .

انها تلتفت الينا لتقول . . « ما خالف كتاب الله فهو زخرف » وان علينا أن نعيد النظر في دربنا وفي خطانا الحائرة القلقة . . لأنها مخالفة لكتاب الله فان الكتاب يقول :

﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ .

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ .

واذا قال الكتاب كلمته . . فيجب أن ينصت السامعون ويهتدي الضالون . . ويطمئن الحائرون القلقون .

وهي ـ بعد ذلك ـ تلتفت الينا اذا دهمنا اليأس . فخذلتنا عزائمنا ، وضعفت قوانا . . ونظرنا فاذا بالحياة تفتح ذراعيها لأعداء الله لتعطيهم ما تحمله من نصر وظفر . . ولتجعلنا في جانب الضعف والوهن وقلة العدد . .

إنها تلتفت الينا لتقول لنا . . إن هذا الموقف الذي نقفه مخالف لكتاب الله . . لأنه يقرر حق المؤمنين في النصر وفي الحياة الحرة الكريمة التي سيصلون اليها حتى إذا ساروا في طريق الله . .

﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ .

﴿لا يغرنَّكَ تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل﴾ .

﴿ونريد أن نمن على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ .

[٤]

وهكذا تستوعب هذه الكلمة حياتنا بكل ظواهرها ، لأن كتاب الله يستوعب كل ما في هذه الحياة من ظواهر وحوادث وحالات . . فليست هناك ظاهرة إلا وللكتاب تفسيرلها . . ولا حادثة إلا وللقرآن حديث عنها ، ولا حالة إلا وللوحي سبيل اليها . .

ومتى كانت القضية في هذا الشمول وهذا الاستيعاب . . فإن باستطاعتنا أن نحدد نظرتنا إلى كل الأشياء والحوادث التي نعيشها في حياتنا اليومية والتي تطرأ عليها في جميع نواحيها العامة والخاصة .

فكل تشريع مخالف لكتاب الله فهو زخرف . . لأنه لا يستمد وحيه من مصلحة الإنسان الحقيقية لأنه لا يفهم واقع الانسان ، ولا يعرف جميع حاجاته الروحية والمادية وإنما ينظر الى بعض الجوانب دون بعض . ومن هنا يظل دائماً بحاجة الى التحوير والتبديل تبعا للحالات الطارئة التي لم يكن المشرع قد رعاها عند تشريعه . .

أمَّا الكتاب فهو مستمد من الله خالق الإنسان والعالم بما في داخل ذاته وخارجها دون أن يكون هناك ساتر يستره أو حاجب يحجبه ، ولذا فليست هناك حالات طارئة تفرض التغيير والتبديل . وإنما هو التشريع الذي يتفق مع جميع ضرورات الزمان والمكان . .

وكل دعوة أو فكرة تخالف كتاب الله أو تختلف معه في قليل أو

كثيـر فهي زخرف . . لأنهـا لا تلتقي مع دعـوة الله التي تتصـل بـالـواقـع الروحي والمادي للانسان .

ومن هنا فان علينا ان نرفض بكل قوة وبكل إصرار . . كـل دعوة لا تقـوم على أساس من قيم الإسـلام . . لأنها تخـالف كتاب الله الـذي يقول . .

﴿ومن أحسن قـولاً ممن دعا إلى الله وعمـل صالحـاً وقال إنني من المسلمين﴾ .

أمَّا الأعمال التي نقوم بها في حياتنا فيجب علينـا أن نعرضهـا على كتاب الله لنعرف مدى موافقتها للقرآن ومخالفتها له . . لنرفض ما يخالفـه ونسير على ما يوافقه .

[٥]

وأخيراً . . فإن على المسلمين ـ أينمـا كانـوا ـ أن يلتقـوا بـالكتـاب الكريم الخالد في جميع أطوار حياتهم وشؤونهـا وأن يحددوا مـوقفهم من المبادىء والدعوات ـ أيًّا كانت ـ تبعاً للمفـاهيم والتشريعـات التي قررهـا كتاب الله دون أن ينخدعوا بالشعارات الكاذبـة والمفاهيم القلقـة الحائـرة المطَّاطة . .

إن على المسلمين أن يعيشوا المفاهيم القرآنية بـوعي وعمق ، وان لا يتركوا أيَّ مجال للدس والتحريف والتضليل . . بـل يكونـون دائما في حذر من الأحابيل والأضاليل التي يحاول أعداء الله جاهدين ، أن يحرفوا بها الإسلام ويبعدوه عن هدفه .

ولتكن هـذه الحقيقة التي قـررها الإمـام الصادق (ع) [مـا خـالـف كتـاب الله فهـو زخـرف] نصب أعينهم فهي طـريقهم في الحيـاة ، وهي سبيلهم إلى الرشاد .

إننا نعتقد أن هـذا التحريف لا يقـل خطورة عن التحـريف والدس الذي عاشـه المسلمون في صـدر الإسلام . . وجـاء الامام الصـادق (ع) يحدثنا بخطورته ويحذرنا من عواقبه . .

ومـما يزيـد القضية عمقـاً . . إن هذا التحـريف الجديـد للمفاهيم الإسلامية يتخذ صفة المحـافظة على الـدين والرعـاية لـه ، وصيانتـه من الجمود والتحجر .

وختاما لكلمتنا هذه نود ان نقول لهؤلاء الـذين يحاولـون أن يجعلوا من الإسلام ستاراً ينفذون منه الى اغراضهم وأهدافهم .

نود أن نقول لهم . . إن الإسلام وحدة قائمة بذاتها . . فلا تجزئـة فيـه ولا انقسـام . . ولا تفـريق بين جـانب وجـانب . . وليس هـو مجـرد أهداف تتفق مع كل وسيلة . . بل هو الهدف والوسيلة معاً . . لذلـك فاذا شئتم السير مـع الاسلام فيجب أن تكـون وسائله هي التي تـوصلكم الى الأهداف . .

أمَّا إذا شئتم ان تأخـذوا الهدف ، أو تتـظاهروا بـأخذه . . وتتـركوا الوسيلة . . فاستريحوا قليلا وفكروا قبل أن تستعيروا لـه اسم الإسلام . . لانـه لن يكون إسـلاما على كـل حال . . لأنـه مخالف لكتـاب الله [وما خالف كتاب الله فهو زخرف] .

مَن لم يهتم بأمورِ المسلمين فلَيس بمسلم

[١]

١ ـ يعاني الواقع الاسلامي ـ في جيلنا الحاضر ـ ازمة التمزق الداخلي والخارجي الذي يعصف به ، عبر توزع كيانه الواحد إلى كيانات متعددة مختلفة ، تختلف فيها طبيعة الاتجاه ، الى جانب اختلافها في نوعية الهدف وتتباين فيها الانظمة الحياتية والاوضاع الاجتماعية الى جانب الاوضاع الفكرية والروحية .

ولم يعد سراً ـ لدى المتتبعين لتطورات هذا الواقع ومراحل نموه ـ ان التيارات المعادية للاسلام ؛ والفئات التي تمثلها ، وفي مقدمتها التبشير والالحاد والاستعمار ، كانت تقف وراء هذا التمزق ، لتمثل فيه دور السبب الفاعل ، والمؤثر الاكبر ، والعقل الذي يضع الخطط ويشرف على تنفيذها .

واصبح من نافلة القول ان نقول : ان الاجواء الحياتية العامة التي كان يسيطر عليها الانحطاط الفكري والروحي للمسلمين ، قد شاركت مشاركة فعالة في انجاح خطط الأعداء ، وفي سرعة تنفيذها .

(*) مجلة الأضواء العدد الثالث جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ تشرين الأول ١٩٦٤ م

فقد كان الوعي الاسلامي آنذاك في أقسى ظروف انحطاطه وخموده ، وكان المسلمون يعانون ظلمة الحياة في عصور الانحطاط ، ومن هنا فلم يكونوا واعين تماماً للخطط التي توضع ، والمؤامرات التي تحاك لتدمير كيانهم وتمزيق وحدتهم .

وأياً كان السبب ، فقد ولد هذا الواقع ، وتمزق المسلمون ، وتعددت شخصياتهم وبدأت الجاهلية تلعب دورها الكبير في توجيه حياتهم وتقرير مصيرهم .

* * *

٢ ـ ومرت السنوات وأصبح هذا التمزق أمراً مألوفا لنا بحكم اتصاله بالواقع المعاش في حياتنا ، وبالتوجيه العام لتفكيرنا .

وبدأنا نحصد ما زرعته خطط الأعداء . . ألواناً متعددة من المفارقات تمثل في الانحرافات الفكرية والقانونية والروحية عن الإسلام ، ضمن اطار اسلامي مزيف ، وفي غربة المسلمين الروحية والحياتية عن اسلامهم ـ كدين يحرك حياتهم عبر التاريخ .

وعاد المسلم غريباً عن اسلامه ، وأصبح الاسلام غريباً بين اتباعه ، وبدأت هذه الغربة تفعل فعلها ، وتؤثر اثرها الكبير في ابعاد المسلمين عن الحس الاسلامي بالوحدة التي تربط بعضهم ببعض وتشد بعضهم الى بعض ، فلم يعد من همِّ المسلم أن يتعرف على حياة المسلمين الآخرين الذين لا يلتقي اقليمهم باقليمه ، أو قوميتهم بقوميته ، إلا كما يحاول التعرف على قوم ليس بينه وبينهم صلة الدين وقرابة العقيدة لمجرد المعرفة وحب الاطّلاع .

٣ ـ وانقسم العالم الحديث ، وتوزعت دوله الى معسكرات متنوعة يحدد شكلها واتجاهها ، الصراع القائم بين الدول الكبرى ، ويوجه

طريقها ومصيرها بالاسلوب الذي تفرضه طبيعة هذا الصراع وتقتضيه ظروفه .

فهناك المعسكر الاشتراكي ، والمعسكر الرأسمالي ، وهناك فئات أخرى تمثل دور الحياد السياسي بين هذين المعسكرين . . فهي لا تريد لنفسها أن تسير في ركاب أي منهما لئلا تفرض عليها ظروف الصراع التزامات وقيوداً لا تنسجم مع مصلحتها الخاصة والعامة . .

ولكنها - في الوقت ذاته - تلتقي باحداهما في الاتجاه الفكري والاقتصادي فنجد التخطيط الاشتراكي يوجه اقتصاد بعضها مع بعض الاختلافات الجانبية بينما نجد البعض الآخر يخضع للخط الرأسمالي في تخطيط اقتصاده .

وهكذا لن يجد الانسان - الذي يعيش واقع هذا الجيل - امامه غير هذين الخطين ، ولن يحس الا بهذين المعسكرين في حياته . . فاذا حاول ان يتحرك فلن يجد له مجالا الا في اطارهما واتجاههما وإذا شاء أن يفكر فلن يلمح في دراساته إلا الأبحاث التي ترجح أحدهما على الآخر وتوازن بينهما .

أما دور المسلمين في هذا المعترك فهو لا يخرج عن دور بقية الفئات التي تعيش في الدول الاخرى ، ولن تجد في وصف الدول التي يسكنها المسلمون بـ « الاسلامية » إلا ما تجده في أي صفة جغرافية تستمد وجودها من طبيعة الاشخاص القومية والدينية ، دون ان يعبر عن اتجاه مبدئي معين .

ولذا فقد تصدم سمعك - إذا كنت مرهف السمع - كلمة (الدول الاسلامية) وهي تطلق في مجال الصراع السياسي القائم لانها لا تمثل من الاسلام شيئاً من قريب أو من بعيد يخرج الوصف عن النشاز ، ويبعده عن (اللامعنى)

٤ ـ هذا حديث لم نرد ان نغرق فيه ؛ ولم نحاول النفاذ إلى جوانبه بعمق ، وانما أردنا ان نصل به الى بداية حديثنا ـ الذي نحن بصدده ـ وهو الموضوع الذي تحدث به النبي الأعظم (ص) في كلمتة المأثورة (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم) .

فقد يكون من الخير لهذا الحديث ان نعرض أمامه الواقع الذي ابتعد بالمسلمين عن مضمونه ، وانحرف بهم عن محتواه ، وقد يكون من الاخلاص له ان نفهم قليلا عن أسباب هذا الابتعاد ، ونعي بعضاً من جوانب هذا الانحراف . . لأن ذلك قد يشاركنا في تفهم طريقنا الجديد الذي نهدف الى ان نسير فيه على هدي هذه الحقيقة وقد يساعدنا على تفادي عوامل النكسة فيما لو جابهتنا عوامل الهدم في الطريق .

٥ ـ أمّا هذا الحديث النبوي الشريف الذي أشرنا اليه (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم) فقد نفهم منه ان النبي (ص) قد اطلقه ليعمق مفهوم الاسلام في نفس المسلم ، ويركز إحساسه به ، ليخرجه عن اطاره الرسمي الذي يمثل في الكلمتين اللتين يصبح الانسان بهما مواطناً مسلماً يجري عليه كل ما يجري على المواطن المسلم من تبعات ومسؤوليات :

المسلم في مفهوم هذا الحديث الشريف ـ فيما نفهم ـ ليس مجرد انسان يحمل عقيدة ذاتية ، أو يتبنى فكرة مجردة ، تعيش في اطار ذاته ، وتتحرك في واقعه الداخلي ، وحياته الخاصة فحسب . . تماماً كبقية الافكار التي لا تتصل بحركة الحياة من حوله .

بل هو إنسان يعيش المسؤولية في واقع عقيدته ، حركة وانطلاقاً مع الاخرين في مجالات العمل والحياة .

ومتى انطلقت المسؤولية في حركة العقيدة داخل نفس الانسان ، فمعنى ذلك انه بدأ يتخلى عن اطاره الضيق في سجن الذات ، ليدخل

الحياة في مجال أوسع وأفق أرحب ، يلتقي فيه بمشاكل الاخرين والآمهم ، وليعيش فيه معهم بروح التعاطف والتراحم ، فيتألم لآلامهم ويفرح لأفراحهم في شعور عميق بالمحبة والأخوة والايمان .

واذاً فالحديث الشريف محاولة حية لتقرير واقع فكري اسلامي يستهدف توجيه الانسان إلى ان يحس بوجوده كجزء حي من وجود المجموع بكل ما يقتضيه هذا الاحساس من مسئوليات وتبعات .

فما دام يعتقد الاسلام ديناً ويعيشه عقيدة ويتفاعل معه شعوراً وعاطفة . . فمعنى ذلك انه يشارك بقية المسلمين دينهم وعقيدتهم ويلتقي معهم بعواطفهم ومشاعرهم .

ولا بد لهذه المشاركة ، وهذا الالتقاء . . من ان تقربه اليهم وتربطه بهم وتشده نحوهم في رباط وثيق ، دونه صلة القربى ورابطة الدم ، الأمر الذي يعمق الشعور بالوحدة وبتلاقي الاهداف والوسائل .

أمَّا النتيجة التي تقف عندها هذه الوحدة الروحية ، فهي الاندفاع الواعي نحو الاهتمام بحياة امته في مشاكلها وألامها ، والتوفر على الدراسة الواعية للحلول الصحيحة في هذا المجال . . فان ذلك من أولويات الارتباط الروحي بين بني الانسان .

٦ ـ وهكذا نرى ان تسلسل القضايا يؤدي بنا الى الحقيقة الاسلامية الناصعة التي قررها الحديث النبوي الشريف . . وهي ان الاسلام كعقيدة حية تندفع من ذات المسلم لتجعله وجهاً لوجه مع حياة الاخرين . . في اتصال روحي عاطفي . لا بد من ان ينتهي بالانسان الى ان يهتم بامور المسلمين وبمشاكلهم . .

أما اذا لم يعش المسلم في ذاته روح الاهتمام الواعي بقضايا امته فمعنى ذلك انه لا يعيش الاسلام في مفهومه الحي الذي يتحول الى

حركة شعورية وفكرية في حياة الانسان . . بل هو انسان يعيش الاسلام في اطاره الرسمي دون ان يغير مشاعره أو يؤثر على أهدافه وافكاره .

واذاً فهو ليس بمسلم في المفهوم العميق للاسلام . وان كان لا يخرج عن احكام الاسلام في الحقوق والواجبات ، كمواطن مسلم عادي .

[٢]

٧ ـ للاهتمام بأمور المسلمين ، في وجدان الانسان المسلم وحياته ، مظاهر وألوان متنوعة ، فهناك الاهتمام النفسي الذي يعيش داخل ذات الانسان دون أن يتعداها ، فيكتفي بالحالة النفسية القلقة الحادة التي تطرأ عليه ، عندما يسمع أو يرى بعض الأوضاع الاسلامية .

وهناك اللون الآخر الذي يحاول أن يضيف إلى هذه الحالة النفسية ، اهتماماً فكريا يشغل الفكر ، ويتعب العقل ، فيتلمس في ذهنه وعقله ، طبيعة الحلول الواقعية الممكنة للمشاكل العامة والخاصة التي يعانيها الوجود الاسلامي في العالم .عقيدة واتباعا وهدفاً . . وهناك نجد الاتجاه الذاتي نحو العمل من اجل ايجاد الحركة والقوة في جسم المجتمع الاسلامي وكيانه . . بالانطلاق بمبادىء الاسلام وتشريعاته ، كأساس للعفيدة التي توجه فكر الانسان ، والتشريع الذي ينظم حياته في هذا العصر . . ولذا فهو يبحث عن أفضل السبل التي تكمل له الوصول الى هذا الهدف .

ومن ثم نجد التجربة تتنوع وتتلاحق في المدى العملي . . ونلمح الاخفاق والنجاح يتلمسان طريقهما الى بعض وجوهها وألوانها .

وربما نلمس الاهتمام يتمثل في صورة آخرى ، لا ترتبط بأي حالة من الحالات السابقة وذلك لانها تتمثل في الجهد الدائب للاطلاع على

حياة المسلمين في جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . لا لأجل الحس والشعور الذاتي بقضيتهم والاندماج الروحي في هذا الشعور الذي يحرك القلب ، ويلون الاحساس . . بل لمجرد الاطلاع العلمي ، والبحث المجرد . . كموضوع خاص ، لدراسة معينة من قضايا الحياة .

٨ ـ واذا كان الاهتمام ـ بمفهومه ـ يستوعب كل هذه المظاهر والالوان . . فقد يكون من الخير لحديثنا أن نحاول التعرف على اللون الذي يريده الاسلام ، أو الحديث المتقدم منها ؟

فهل يحاول توجيه الانسان المسلم الى كل هذه الالوان مجتمعة دون تفريق بين واحد وآخر . . فلا يؤكد على جانب دون جانب ، وانما يتمثل الجوانب بأجمعها في تصور للرابطة الاسلامية ، ويبعث المسلم نحوها . .

فيريد ان يحس كل مسلم بمشاكل المسلمين الآخرين ويتألم لها ، ويفكر فيها ، ويعمل من أجل ايجاد الحلول العملية لها ، ويدرسها الدراسة الواعية الهادفة . .

أو لا يحاول كل ذلك . . وانما يكتفي بجانب واحد من هذه الجوانب ، لانه لا يريد من هذا التوجيه ، أو التشريع ، الا ابقاء الصلة حية ، ولو بمظهر واحد فقط فالمهم عنده هو أن لا ينقطع الخيط ويصبح المسلمون غرباء في مجتمعهم الاسلامي العام .

اننا نحسب ان الاهتمام الذي يريد الاسلام للمسلم ان يعيشه في ذاته لا يقف عند حد ، ولا ينتهي الى غاية : . . لأنه ليس مجرد تشريع يعالج القضية من الخارج ويقدم الحلول للمشكلة في مجراها الحياتي العادي ، ولا مجرد قانون يحدد أبعاد الوظيفة العملية للانسان ويقف عند ذلك . بل هو نابع من الواقع الداخلي للانسان المسلم ، أو الحالة

النفسية التي ينبغي أن يكون عليها وجدانه .

فهو يخاطب الحس الاسلامي : الذي ينطلق من العقيدة ، كعاطفة حية ، ليتجه الى حياة الآخرين في لطف ومحبة ورفق وإيمان .

ويثير فيه الشعور بالصلة التي تربطه بالمسلمين وتشده اليهم ، فيحاول ان يعمقها ويجسدها ، في قوتها ومتانتها ، حتى لتحس بالوحدة الحية التي تجمع هذه الاصناف والاخلاط من الناس ، في كل مظهر من مظاهر الحياة . . دون أي تجزئة أو انفصال .

أمّا كيف نتمثل هذه الصورة ، في وضوح ، وكيف نستفيد هذه القضية في اطمئنان . . فيمكن في الملاحظة الدقيقة للحديث الشريف القائل :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا »

ويتجسد ذلك حتى لتحس بالمثال حياً أمامك في الحديث الأخر . .

« مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »

تلك هي الصورة . . وحدة الكيان الذي يمثل كل فرد من المسلمين جزءاً منه ، ويعيش كل جزء أحاسيس الجزء الآخر دون ان يكون له الخيار فلا يملك التراجع في موقفه ، ولا يستطيع ايقاف مشاعره عند حد معين ، وانما هي موجة الاحساس بالألم تعصف بالجزء فتنحني لها بقية الأجزاء في استسلام وإذعان .

وعلى هدى هذه الصورة يتمثل لنا أن هذه الوحدة التي ينطلق منها هذا الشعور وهذا الاهتمام ليست مجرد وحدة سياسية تربط بين الشعوب

وفي شكل الحكم وطِبيعته أو وحدة اقليمية أو قومية تفرضها وحدة الطبيعة الجغرافية أو القومية ، بها وحدة تمتزج فيها الروح والعاطفة ولتتلاقى في الهدف الواحد وتعيش الروح في قوة وإيمان .

والوحدة الروحية تمتد في حياة الانسان الى أبعد مدى يتصل بحياة الاخرين . . لانها لا تحس بالانفصال عن حياة الاخرين لتفترق عنهم في اي مجال من المجالات ولا تشعر بالغربة عنهم في اي افق من الافاق . . لتنكمش وتتقلص . . وانما تشعر بالانفتاح الواعي على كل ما يجمعها بالآخرين ويوحدها معهم .

وعلى ضوء هذا . . فقد نجد في التعبير الذي جاء به الحديث الشريف . . صورة حية لما نحاوله . . فان اعتبار المجموعة الاسلامية بمثابة الجسد الواحد ، يفرض على كل فرد من أفرادها أن يعيش الاهتمام ببقية الافراد بالشكل الذي يمثله احساس كل جزء من أجزاء الجسد بألام البعض الاخر . . في كل خلجة من خلجاته وكل خطرة من خطراته . .

أما النتيجة التي نخلص اليها من وراء الحديث كله . . فهي ان الاسلام يحاول في هذا الحديث وغيره . . ان يجعل من الارتباط الروحي بين المسلمين رابطة حية تتعدى رابطة الاسرة إلى رابطة الكيان الموحد عقائديا . . ومن ثم يثير المحاولة مرة آخرى ، لايجاد حالة شعورية في نفس كل مسلم . . تدفعه الى الاهتمام بكل شأن من شئون المسلمين في جميع نواحي الحياة ومجالاتها .

٩ ـ هذا هو الخط العام الذي يريد الاسلام للمسلم أن يسير عليه في علاقته بالمسلمين الآخرين .

ولكن ليس هذا كل شيء في حساب القضية . . فقد نجد فيما عرضناه الصورة النظرية للقضية ، والوجه التشريعي لها . .

أمَّا التطبيق العملي في مرحلتيه الاولى والاخيرة . . أمَّا الخطوات

التنفيذية التي لا بد لنا من قطعها لتحقيق هذه الصورة في حياتنا . . أمَّا الطريقة العملية التي نسلكها من أجل اخراج القضية عن الافاق النظرية المجردة ، أو الحالات الخاطفة لنجعلها في إطارها الواقعي . .

أمَّا هذا كله فيمكن في الجواب عن السؤال الذي يلاحقنا بقوة :

كيف نهتم بأمور المسلمين ؟

كيف نثير هذا الاهتمام في نفوس المسلمين ؟

وما هي الوسائل الكفيلة لتحقيق هذا الهدف الاسلامي الاصيل ؟

١٠ ـ المعرفة أول الطريق :

لا نزال نفتقر الى المعرفة الواعية المنفتحة على أوضاع المسلمين العامة ، من الناحية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، بل كل ما نعلمه هناك هو بعض المعلومات المتفرقة التي لا تخرج عن ان تكون بعضاً من اللفتات الخاطفة والى جانب ذلك لا نجد لدينا المعرفة الكافية بالقوة العددية التي ينتظم فيها أفراد المسلمين . .

أما حاجتنا الى هذه المعرفة فهي حاجتنا الى الاشارة التي تحاول ان توضح للقافلة وهي تسير في التيه ، ملامح دربها ومنعطفاته ، وما ينتظرها عنده من عقبات وأخطار ، فللمعرفة دورها الكبير في إيجاد الخطط التي توضع ، والمناهج التي تحدد ، والخطوات التي تنطلق .

وعلى هدى هذه الحقيقة ، تبرز لنا حتمية المعرفة المتفتحة الواعية ؛ كأمر واضح جلي ، تفرضه حاجتنا الى السير في طريقنا بقوة واطمئنان .

ومن الطبيعي أن لا تكون السطحية والسرعة سبيلنا إلى ذلك، لأن مثل هذا الأسلوب لا يغير من واقعنا شيئاً ، بل يقف به حيث هو من التيه والضياع ، ان لم يزده تعقيداً لانه يخلق في ذاته عقدة الجهل المركب

الذي يخيل لصاحبه أنه يجري في طرق الحق في الوقت الذي يتردى في هوة الضلال ، وهو ـ في الوقت ذاته ـ يشارك مشاركة فعالة في الانحراف بنا عن الدرب وبالتالي في الوقوف بنا بعيداً عن الهدف الذي نريده ، والغاية التي نقصد .

ولذا فنحن هنا في محاولة الانطلاق نحو المعرفة العميقة التي ترتكز على أساس الدراسة العلمية المتزنة ، وتفسح المجال أمام البدء في تخطيط المجتمع الاسلامي السليم .

ولا بد لهذا العمل من توفر الامكانيات الثقافية والمادية التي تكفل تحقيق هذه المهمة وتسهل عملية الوصول الى هذا الهدف .

١١ ـ الطريق الى المعرفة :

اما سبيلنا الى هذه المعرفة فليس بدعا من السبل . . بل هو السبيل الطبيعي الذي ينهجه كل رائد في تحشيد المشاعر والامكانيات نحو الغاية المنشودة . . باثارة الاحساس بالواقع الاسلامي ، وتوجيه الاهتمام الى دراسة هذا الواقع بدلا من كثير من الدراسات العقيمة البائدة التي لا تقدم للانسان أي فائدة ، ما عدا الفائدة التي يجنيها الانسان من اشغال فكره في عملية رياضية مفترضة .

فنحاول توجيه الاختصاصات الدراسية الى فروع تتعلق بالمعرفة الاسلامية ونعمل على ان نأخذ بيد هؤلاء المختصين الى الافق الارحب من هذه الافاق انطلاقا من حاجتنا العميقة الى الشمول والاستيعاب فيما ندرس وفيما نعرف . .

ولا يفوتنا ـ ونحن نسير في هذا الاتجاه ـ الى ان نركز على ان تكون صفة « الاسلامية » أساسية في هذه الدراسات بحيث ينطلق البحث من أثر الاسلام وفعاليته في حياة هذه الشعوب وفي أوضاعها الروحية

والثقافية والاقتصادية ، ومعرفة ما إذا كانت مفاهيمه وتعاليمه وتاريخه ، مؤثرة في نوعية الحياة التي يحياها المسلمون ، ايجابا وسلباً .

ونؤكد إلى جانب ذلك ـ كثيراً في إبعاد الصفة الجغرافية ـ كاساس ، عن منهج البحث في معرفة أحوال المسلمين وحياتهم العامة .

* * *

١٢ ـ واذا استطعنا ان نهيء لانفسنا ـ كمسلمين ـ هذه المعرفة فقد نجد من الخير لنا ان نفكر في واقعنا المعاصر الذي اتجه الى استبعاد الصفة الدينية من حياة الشعوب فلم يعد للدين من الوجهة الرسمية أي فعالية في الحياة العامة ، بل اقتصرت فعاليته على الجانب الذاتي للفرد في حدود معينة .

وإلى جانب ذلك ـ نلاحظ طبيعة الصفة التي أُلصقت بالدين ـ في الجانب الفكري من حياتنا ـ وهي مناقضته للعلم في قواعده ومفاهيمه ، ومصادمته للعقل العلمي العملي في ادراكاته وأحكامه . الأمر الذي جعل قضية استبعاد الدين من ان يكون اساساً للحياة وللتشريع ، من القضايا المفروغ عنها ، في مثل هذا العصر الذي انطلق العلم فيه قوة هائلة تصنع تاريخ البشرية من جديد وتبني واقعها الحضاري المتطور .

ربما يكون من الخير لنا أن نفكر في هذا الجانب لنتخلص منه الى الدور الذي يمثله الاسلام في حياة المسلمين ، والى الأثر الذي تتركه صفة الاسلام في نفوسهم وفي واقعهم ومدى تأثر ذلك بالنظرة العامة للدين ، وبالاتجاه العام في سير الدين العملي في الحياة .

فقد نحصل من هذا التفكير أو من هذا البحث على نتيجة حاسمة في هذا السبيل تتيح لنا التعرف على جوانب الضعف ونواحي القوة في صلة المسلمين بدينهم .

وما دامت القضية تسير في هذا الاتجاه فقد نشعر بحاجة إلى بروز القومية كاتجاه يوجه الشعوب ، ويوحد مصيرها ، ويجمع أحاسيسها ومشاعرها في وجهة واحدة ، وملاحظة دور القومية في الحياة الإسلامية المعاصرة وأثرها السلبي أو الايجابي في صلة المسلمين بدينهم ، ومعرفة موقفها من الدين أو موقف الدين منها .

[٣]

١٣ ـ واقع سيىء داخل الحياة الإسلامية .

وقد يكون من مظاهر الاهتمام بأمور المسلمين . أن نلاحظ وجود واقع سيىء تمارسه بعض الحكومات في استغلال الإسلام كواجهة دعائية للتستر على بعض اوضاعها الإجتماعية والسياسية وارتباطاتها المشبوهة بالاستعمار الكافر الذي يحاول خنق الروح الإسلامية في نفوس المسلمين ، وتجميد الطاقات الابداعية التي تتحفز للانطلاق داخل ذواتهم .

قد يكون الإهتمام ـ الذي ننشده ـ أن نفكر في هذا الواقع . . . في خطواته التي يخطوها في حياتنا العامة . . في نتائجه وآثاره المتنوعة في حياة الإسلام والمسلمين لنتخلص من ذلك الى تحديد موقفنا منه ، على اساس من وعي ومعرفة ؛ حذراً من أن يشارك هذا الواقع في الاساءة إلى وجه الإسلام النقي ، وصورته الوضيئة في نفوس الشعوب التي تجهل واقع الإسلام . . فتحاول التعرف عليه من خلال الاوضاع السياسية والاجتماعية التي يمارسها القائمون عليها ـ باسمه ـ .

فقد لا نعدم الكثيرين من هواة البحوث الإسلامية ـ من مستشرقين وغيرهم ـ يحاولون الحكم على الإسلام وتأثيراته في حياة الشعوب التي تسودها عقيدته . من خلال اوضاع تلك الشعوب والحكم الذي يسيطر عليها .

ومما يزيدنا إحساساً بالمسؤلية تجاه هذا الواقع ؛ وشدة تصميم في محاكمته وملاحقته . . أن كثيرا من البسطاء من المسلمين ، الذين لا ينظرون الى القضايا الا من خلال ظواهرها وواجهاتها الامامية ـ . لا يزالون يرون ـ في هذا الاتجاه ـ الذي تتجهه (الدول الإسلامية ؟) في اعتبار الإسلام واجهة لسياستها وعلاقاتها وارتباطاتها الخاصة والعامة ـ بداية خير تبعث على التفاؤل ، ونقطة انطلاق لمتابعة العمل الإسلامي في ظل الحكم القائم . . كما انها قد تشجع الكثيرين على الاخلاص لسياسة هذه الدول ، والعمل على حماية كيانها من اي ثورة او تمرد .

وهنا يتحقق الهدف الذي يستهدفه القائمون على شؤون هذه الدول . من توجيه العمل الإسلامي ، في اتجاه اهدافهم السياسية المتنوعة . . واستغلال الروح الدينية ، والعاطفة الإسلامية للشعوب ؛ في سبيل تأييد سياستها واوضاعها الخاصة .

وقد لا يشعر هؤلاء البسطاء الذين يندفعون بفعل عاطفتهم الدينية الى تأييد هذه السلطات . . قد لا يشعر هؤلاء ـ وهم يقومون بهذا النشاط ـ أنهم لا يخلصون لهذا الكيان . . وانما يخلصون للشعارات التي أُلصقت على واجهاته . . الامر الذي يضع ايدينا على الحقيقة الواضحة ، وهي انهم مدفوعون الى ذلك الموقف بعاطفتهم الساذجة التي تحتاج الى كثير من الوعي وكثير من العمق والاتزان ، لتستطيع التعرف على الواقع والحكم على الاشياء بهدوء واستقامة .

ولن نحتاج الى جهد كبير لنتعرف على الاثار السيئة ؛ والنتائج الخطيرة التي عاشت في تاريخنا الإسلامي ـ والديني بشكل عام ـ نتيجة سذاجة العاطفة الدينية التي تتيح للآخرين استغلالها في إثارة المشاكل

وبذر بذور الحقد والفساد في حياة المجتمعات الدينية .

١٤ ـ القضية ذات جانبين :

وإذاً فالقضية لا تتصل بالواقع الخارجي الذي يحاول التقاط الصورة الحية للإسلام . . من خلال واقع المسلمين السياسي والاجتماعي . . بل تتعداه الى الواقع الداخلي للمسلمين . . الذي يحاول أن يشغلهم عن دينهم الحق بالشعارات التي تخاطب العاطفة . فتثير كوامنها ، وتستغل اندفاعها فيما تريده من اوضاع ، وفيما تستهدفه من أهداف .

واذا كانت القضية على هذا المستوى من الأهمية ـ في مجال القضية الإسلامية ـ فقد يكون من الخير لنا أن نهتم بها ، وبالواقع الذي ينجم عنها في محاولة جادة هادفة ، لإثارتها كقضية تحمل ـ في داخلها ـ طابع المشكلة التي تبحث عن حل . . أملا في ان يساعدنا ذلك ، على استثارة الشك في نفوس المسلمين حول واقعهم الذي يعيشونه . . للانطلاق به ـ بعد ذلك الى النتيجة التي نريدها . . وهي تحطيم الهالة القدسية لهذا الواقع في حياتهم تماما . من اجل ازالته من وجودهم الحياتي كمسلمين .

* * *

١٥ ـ في خطى المشكلة :

أمّا الخطوات التي نسيرها في طريق المشكلة . . معرفةً وحلا . . فتبدأ في محاولة فضح هذا الواقع وتعرية اساليبه التي يتستر خلفها . . بالعمل على المقارنة الواعية بين الواجهات التي تعرض ، والشعارات التي ترفع . . ومدى ما تدل عليه من خير ومحبة وصلاح . . وبين الخطوات التي تتخذ ، والاوضاع التي تقوم . . ومدى ما تنتجه من

شر ، وانهيار وفساد .

ثم العمل على استخراج الوثائق التي تؤكد هذه الدعوى ، والمستندات التي تسند اقوالها . . للتعرف على الاثار السيئة التي يخلفها هذا الواقع في حياتنا الاجتماعية .

واذا استطعنا الوصول الى هذه النتيجة ، واعتبار هذه القضية مشكلة حياتية للإنسان المسلم . . تشغل وجدانه وتهز تفكيره ، فقد نستطيع ـ بعد ذلك توجيه هذه المشاعر ، وتركيز هذه العواطف ، على أساس متين ، يستهدف تغيير الواقع والاتجاه به نحو الإسلام النقي الصافي . . الأمر الذي لا ينحرف بالواقع الداخلي للإنسان الى غير وجهته ، كما لا يشوه الصورة الحية للاسلام لدى الشعوب التي تجهل واقع الإسلام وحقيقته .

ولكن هذه الخطوات التي نرتأي السير عليها في حل هذه المشكلة . . تستدعينا الحذر في كل ما نقول وما نعمل . . حذراً من أن يتجه نقدنا لهذا الواقع السيىءوفضح اهدافه واساليبه . إلى غير الهدف الذي نهدف اليه والقضية التي نعمل من اجلها . .

فقد تفسر هذه الخطوات تفسيراً خاطئاً عن سوء قصد أو بلا قصد فتفهم على أساس انها في الوقت الذي تحارب أهداف هذه الحكومات ـ تؤيد الاهداف التي تقوم في الجانب الآخر من خصوم هذه الحكومات . . وهذا ما نريده أن لا يحدث لانه يضيع علينا اهدافنا الاساسية التي نعمل لها وهي تنقية الجو الداخلي للإنسان المسلم من الانحراف والتزييف ويتجه بنا في الوقت نفسه الى تأييد واجهات أخرى لا نؤمن بها بل نحاربها في خطواتنا الإسلامية الهادفة .

* * *

١٦ ـ الواقع الإسلامي بين الاستعمار والشيوعية :

وهناك وجه آخر يعانيه الواقع الإسلامي ـ والديني بشكل عام ـ ويترك تأثيره على الصورة العامة للدين وللاسلام ـ بشكل خاص ـ وهو واقع الصراع الذي يخوضه العالم بين المعسكر الشرقي الذي يعتنق الشيوعية فكرة واسلوبا لحياته ، وبين المعسكر الغربي ، الذي يمثل الاتجاه الرأسمالي ، نظاماً وقاعدة للحياة .

وكان من اثر هذا الصراع ، أن دخل الدين سلاحاً جديداً في المعركة فحاول الغربيون أن يستغلوا عداء الشيوعيين للدين وهجومهم عليه فكرياً وعمليا ، ليجعلوا ذلك اداة لإثارة الشعوب المتدينة ضدهم ، وإظهار الغربيين بمظهر المحافظين على الدين ، والحارسين لشعائره وتقاليده .

وتأثرت سمعة الدين ، والحارسين من جراء ذلك . . لأن هؤلاء الذين اتخذوا الدين سلاحاً في معركتهم ضد خصومهم ، لا يزالون يمارسون سياسة التدمير والارهاب والظلم الفظيع في حياة الشعوب المتدينة الضعيفة ، ويخنقون كل قيم الروح في حياتهم ، ويجمِّدون كل انطلاقه للابداع في ذواتهم فهم ـ والحال هذه ـ كمن يحاول ان يعانقك ، والخنجر في يده يعمل في ظهرك تقطيعاً وإيلاما .

وهكذا فقد هذا السلاح سحره ، في نفوس الشعوب وامتد ذلك حتى اصبح هذا الواقع سلاحاً بيد الشيوعيين الذين يهمهم كثيراً إظهار الدين بمظهر العقيدة التي لا تخدم قضية الشعوب ، وانما تخدم اعداءها الذين يتسترون بها على اساليبهم الاجرامية في خنق حريات الشعوب .

وبدأت الحركات الشيوعية تجعل من هجومها على الإستعمار ، والمستعمرين طريقا للهجوم على الدين وعلى تعاليمه وشعائره . فعاد كل داعية للدين ـ في اساليبهم الدعائية ـ عميلا للاستعمار ، كما عاد كل

عامل في سبيل الحرية والعدالة ـ في دعايات الغربيين ـ شيوعيا او عميلا للشيوعية .

وهكذا اصبح الدين سلاحاً بيد كل من الفريقين ضد خصمه . ولكن على نحو مختلف .

أمّا حصيلتنا من ذلك كله . . فهي تأثير هذا الاسلوب على الاوضاع الدينية . . الامر الذي يقتضينا كثيراً من الجهود العملية والاجتماعية من اجل مجابهة هذا الواقع والوقوف أمامه بحزم وقوة .

وقد لا يتيسر لنا ذلك إلا اذا استطعنا أن نرسم خطوط السياسة العامة التي يتبناها الإسلام في معركة الحياة والحرية والعدالة في هذا العصر . انطلاقا من المفاهيم الإسلامية الثابتة . . وتحديد الاعداء الحقيقيين للاسلام ، واعتبار الاستعمار والشيوعية ، عدوين لدودين للاسلام .

لأن الاول يمثل الاتجاه الظالم لخنق حريات الشعوب وتدمير حياتها ، واستثمار خيراتها واستقلالها لمصلحة فئة خاصة من المحتكرين والمستغلين . . الأمر الذي يتنافى مع ابسط قواعد الاسلام الذي قام على اساس من العدل واحترام كرامة الانسان .

اما الثاني . . فهو يمثل الاتجاه الفكري الالحادي الذي يصادم القاعدة الاولى للاسلام . . وهي وجود الله الخالق القدير . . ثم يتدرج ليصطدم بكثير من المفاهيم والخطط الإسلامية في طبيعة الحياة ونظامها . لئلا تنحرف وتنهار وتأخذها الرياح والأهواء ذات اليمين وذات الشمال والله سبحانه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد يكون العمل على توضيح هذه الصورة لدى المسلمين ـ سبيلا من سبل إبراز الاسلام ، في طريقه المستقل الواضح المستقيم الذي لا

ينحرف ذات اليمين وذات الشمال . . والخروج به عن كونه واجهةً من واجهات الصراع ، وسلاحا في المعركة بين المعسكرين المتنازعين . . إلى كونه طرفا قويا من اطراف الصراع الذي يقف ليتحدى بفكرته وخططه واساليبه واهدافه . . كلا المعسكرين المتنازعين دون تفريق او تمييز .

وقد لا يمنع هذا الموقف الذي نحاول تحديده للاسلام . من الالتقاء في الطريق . . مع اي من المعسكرين . . في كثير من القضايا التي تمثل مواطن اللقاء . . لأن اطراف الصراع في اي قضية قد تلتقي في بعض الطريق ولكن لتفترق في البعض الآخر . . لاختلاف القاعدة ، وتنوع الاسلوب ولذا فسرعان ما تبرز الفروق لتحدد موقف كل منهما من الآخر . .

وعلى ضوء هذا فلا بد لكي نتفادى كثيراً من الأخطاء ، وكثيرا من الإلتباسات ، من توضيح القاعدة التي ترتكز عليها مواطن اللقاء ومواطن الإفتراق ، لدى كل من الفريقين ، ليعرف المسلم موضع خطواته جيداً في الطريق حذرا من الإنحراف والزلل .

ونحسب أن مثل هذا الموقف يساعد كثيراً على تخطي العقبات التي يواجهها العاملون في سبيل الله . . في طريق العمل عندما يصطدمون بالنتائج السيئة التى يفرضها واقع الدين في العصر الحاضر كأداة للصراع بين المعسكرين المتنازعين .

* * *

١٧ ـ قضايا المسلمين في العصر الحاضر .

ولعل من ابرز مظاهر الإهتمام بأمور المسلمين في عصرنا الحاضر هو ملاحقة القضايا الإسلامية التي تواجه المجتمعات المسلمة الآن .

سواء منها القضايا التي تتصل بالواقع التربوي ، أو الـواقع السيـاسي ، او الاقتصادي والإجتماعي .

وذلـك بالعمـل على تعرُّف ابعـاد هذه القضـايا ومـراحـل نشـوئهـا ونموها وتطورها ومدى تأثيرها على الواقع الإسـلامي ، في جميع نـواحيه وتأثرها بالتيارات الأخرى . . ثم العمل على مواجهـة مسؤولياتها وتبعاتهـا بعزم وقوة .

وقـد يضـع بعض العـاملين في سبيـل الإسـلام بعض عـلامـات الإستفهام على طبيعة المشاركة الجديَّة في هذه القضايا من قبل العـاملين للاسلام فيلاحظ ان هذه القضايا قد نشأت في ظل توجيـه معين لا يتصل بالإسلام من قريب أو من بعيد .

فقد نجد بعض هذه القضايـا تعيش في حركتهـا السياسيـة في إطار قومي خالص ، يعالجها على أساس المصلحة القومية ، والـواقع القـومي لحياة هذه الشعوب .

وقد نجد بعضا منها يعيش في اطار اقليمي معين ، يتخذ الاقليميـة أساساً للنظر في القضية وملاحظة ابعادها واهدافها .

وربما نجد بعضهـا يدخـل في نطاق عقـائدي يختلف عن العقيـدة الإسلامية قاعدة واسلوبا واهدافاً .

وهكذا يجد العاملون في سبيل الإسـلام انفسهم وجهاً لـوجه أمـام هذه الوجهات (اللااسلامية) التي فرضت على القضايا الإسلامية .

وعلى ضوء هذا فقد يتحول تـأييد هـذه القضايـا ، الى تأييـد لهذه الواجهات التي تحيط بها .

وهذا ما لا يريده العاملون في سبيل الله . لأنهم يسيئون بذلك إلى

القضية التي يجاهدون من اجلها . . في الوقت الذي يحاولون الإحسان اليها .

ولكن هل نستطيع السير مع هؤلاء في هذا الاتجاه . . فنجعل من ذلك مبرراً نبرر به تقاعدنا وتقاعسنا عن خدمة القضايا الإسلامية ، وتركها فريسة سهلة لأعدائها دون أن نحرك ساكناً .

لا نحسب اننا نستطيع السير طويلا في هذا الاتجاه . .

فقد نلاحظ (بادىء ذي بدء) اننا بحاجة ماسة إلى ارجاع هذه القضايا إلى واقعها الأصيل ـ كقضايا إسلامية حية . بعيداً عن الواجهات الطارئة التي طرأت عليها .

ولن نستطيع المضي قدما في هذا السبيل إلا اذا عملنا من اجل هذه القضايا واثارتها في حياة المسلمين ، كقضايا تمس الحس الإسلامي في داخلهم ، وتخاطب الوجدان الذاتي في مشاعرهم ، وتوسيع نطاق العمل في داخل الشعوب الإسلامية ، والإبتعاد بها عن الأفاق القومية او الاقليمية الضيقة ، الى المجال الإسلامي الواسع .

وعلى هدى هذه الحقيقة فلا نجد ما يمنعنا من اعتبار قضية فلسطين مثلا قضية اسلامية ، كما هي في واقعها الأصيل ، لأنها تمثل التهديد الواضح للوجود الإسلامي داخل فلسطين ، وفي المنطقة بشكل عام وإن كانت الفئات التي تعمل على اساس القومية العربية تعتبرها قضية عربية ، لأنها تمثل الخطر الكامن على مستقبل العروبة ؛ والعدوان الصارخ على الشعب العربي في فلسطين .

اننا لا نجد اي بأس في أن يعمل كلٌ في نطاقه الخاص ويبقى الصراع في طبيعة الاتجاه الحياتي للإنسان ، في الدين ، والقومية حيث هو في معركة العقيدة في الحياة .

إن المسلمين يعيشون في قضاياهم الحية من اجل الحرية والعدالة . في قلب المعركة . . ولا بد لهم من ربح هذه المعركة ، والفوز بها ، وإن اتخذت القضية عدة وجوه ، فإن الموقف سيكون في نهاية الأمر ، لوجه واحد ، وهو الوجه الذي ينتظر في معركة العقيدة ، والصراع من أجل المبدأ .

وإذا كانت طبيعة اللقاء بين الاتجاهات المتعددة في المعركة لا تؤثر على وحدة كل اتجاه واصالته . فما هو الخوف من الدخول في معركة المصير في القضايا الإسلامية ، اذا كانت تعيش في الوقت الحاضر ـ في إطار معين غير اسلامي ؟

ولكن لن نستطيع السير قدما في هذا السبيل بدون تحفظات فقد يبدو لنا إن من اهم الشروط التي ينبغي توفرها في هذا السبيل هو قوة العمل الإسلامي ، واصالته ، وانطلاقه في شخصية متزنة قوية . . ليستطيع ان يقف على مستوى واحد مع بقية الاتجاهات دون ان يخاف على نفسه الإنهيار أو الذوبان في غمار التيار .

* * *

١٨ ـ خاتمة المطاف :

وفي نهاية المطاف نحسب ان هذا الحديث قد أثار كثيراً من القضايا الحيوية ، في نطاق توجيه الاهتمام إلى بحث امور المسلمين وتعرف واقعهم ، ولم يبق علينا الا أن نتحرك في سبيل العمل ، ونخطو في اتجاه قضايانا الإسلامية من أجل معالجتها بروح مسلمة واعية تخاف الله وتعتمد عليه ، وتفكر طويلا قبل الاقدام على اي حركة أو عمل ، لئلا تنحرف وتنهار وتأخذها الرياح والأهواء ذات اليمين وذات الشمال والله سبحانه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

دروس للعمل (*)
في حديث الإمام الصّادق (ع)

[١]

قلنا في بعض الأحاديث التي عالجناها : « إن الأئمة من أهل البيت يمثلون ـ فيما نراه ـ « الامتداد الرسالي » للدعوة الاسلامية ، فقد كان من مهمتهم توضيح القضايا الاسلامية التي اعتراها الغموض والابهام بعد النبي (ص) بسبب الظروف والملابسات الكثيرة التي رافقت الاسلام في تلك الفترات ، والقيام بدور الحارس الأمين للقيم والمفاهيم . . . » (١) .

وعلى هدي هذه الحقيقة التي نؤمن بها ونعتقد بأصالتها نجد أن علينا أن نتلمس الصورة الوضيئة للحقيقة الاسلامية الأصلية في كلماتهم وأحاديثهم فنحاول التعرف على طبيعة الحلول التي نستطيع تقديمها لمشاكلنا على ضوء الاسلام ، وعلى نوعية الأساليب التي نسلكها في سبيل بلوغ الأهداف .

(*) قضايانا على ضوء الإسلام (١٠٦) الطبعة الأولى ـ النجف الأشرف .

(١) دراسات اسلامية السنة الأولى ـ الكتاب الأول محرم ١٣٨٤ هـ .

والـدعـوة إلى الله ، والعمـل على إعـلاء كلمتـه في الأرض ، هي إحدى القضايا التي تشغل تفكيرنا ، لأنها تتصل بالعمل الجـدي الحاسم نحو هدايـة الناس لـلاسلام وإدخـالهم في دين الله أفواجـاً بعد أن بـدأوا يخرجون منه أفواجاً .

وهي ـ ككل قضية تعيش في حيـاتنا ـ تـرتبط في وجودهـا بمشاكـل كثيرة بعيدة الجذور ، متنوعة الألوان ، لأنهـا تلتقي بالـدعوات الكـافرة ، والأفكار الضالة في ميادين الصراع ، وتتصل بالنماذج المختلفـة المتباينـة من النـاس في المجتمع الـذي تعـايشـه وتنمـو فيـه ، وتخضـع لـظروف ومؤثرات ، تختلف وتتنوع حسب اختلاف الزمان والمكان .

ومن هنا كان لا بد لها من منهـج محدد واضـح ، يرسم لهـا الخط الـذي تسير فيـه ، والأساس الـذي ترتكـز عليه ، والـوجهـة التي تتـوجـه اليهـا ، ليسيـر الـداعي إلى الله في اتجـاه واضـح سليم ، ووعي يقظ متفتح ، دون أن ينحرف ذات اليمين وذات الشمال ، مع الأهواء المتباينة والاتجاهات المتضاربة .

[٢]

وقـد عاش الأئمـة من أهل البيت قضيـة الدعـوة في وجدانهم وفي حياتهم ، لأنها القضية التي يحملون عبء رسالتها الشاملة فيمـا يحملون من عبء الامامة واثقالها ، وحـاولوا ـ فيمـا عاشـوه ـ أن يوضحـوا للناس طبيعة هذه الدعوة ، ونوعية الاسلوب الذي يلزم على الداعيـة اتباعـه في طريق الدعوة .

فكانت السيرة العملية التي تمثلت في سلوكهم الحياتي تجاه الاحداث الـعـامـة التي ترتبط بالـدين ارتباطـاً وثيقاً ، سـواء في الأشخاص الـذين كـانوا يسيـطرون على مجرى الأحـداث أو في الحـركـات التي تـدور في نطاقها ، أو في الأهداف والأساليب التي تتمثـل فيها وتنـطلق منها ، فقـد

اختلف سلوك كل واحد منهم عن الآخر فيما قام به من أعمال وفيما وقفه من مواقف ، فنجد ـ مثلا ـ أن سلوك الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يختلف في كثير من مظاهره عن سلوك الامام الحسن (ع) ، وهكذا نجد الواقع المتمثل في ثورة الحسين (ع) يختلف كثيراً عن الواقع الحياتي لولده الامام زين العابدين (ع) ، وهكذا يبرز لنا هذا الاختلاف واضحاً جلياً في حياة باقي الأئمة (ع) .

ولن نحتاج إلى جهد طويل لنتعرف على طبيعة هذا الاختلاف في السلوك وهذا التنوع في الأساليب ، فليست القضية قضية وجهة نظر شخصية توجه هذا الواقع ، وتختلف في كل واحد منهم عن الآخر ، وليست قضية مبدأ للحياة يعتنقه أحدهم دون الآخر ، لان وحدة المصدر الذي ينطلقون منه ، وطبيعة النهج الذي يسيرون عليه مما لا نستطيع التشكيك في تماسكه وسلامته ، فضلا عن ملاحظة بادرة اختلاف فيه ، أو أي مظهر للتصدع . وإذاً فلا سبيل إلى السير في هذا الاتجاه ، والجري في هذا المجرى .

بل القضية قضية أساليب ، تفرض اختلافها طبيعة اختلاف الظروف الزمنية والمكانية وتباينها ، فقد يفرض الواقع الزمني والمكاني على الامام (ع) أن يجاهر بالثورة ويعلن تحديه للانحرافات عن الاسلام وقد يفرض عليه أن يسالم ويصمت حيث لا تكون الثورة أو التحدي طريقة واقعية للعمل بل قد يكون الامر على العكس من ذلك فيكون الصمت هو الطريق العملي الوحيد الذي يمكن سلوكه .

وقد يفرض عليه ، ان يكتفي بمحاولة توضيح الفكرة الاسلامية ، وطبيعة الواقع الحي لاحكام الاسلام دون أن يصطدم بأحد لانه يريد أن تبقى المفاهيم واضحة سليمة قبل أن تدخل ميدان الصراع ، أو تتجه إلى واقع الجدال .

والاختلاف في الاساليب نتيجة اختلاف الظروف ، ليس أمراً بدعاً في الحياة ، بل هو من الامور الطبيعية التي يفرضها الواقع الحياتي للانسان .

ولا خطر منه ولا خوف إذا بقي ـ كما بقي في تجربة الأئمة (ع) ـ منسجماً مع الخط العام للدين ومنطلقاً مع أحكامه وتعاليمه .

وهكذا نستطيع أن نأخذ من هذه السيرة ـ بشكل عام ـ درساً من دروس الدعوة نتعلم فيه كيف يكون اسلوب العمل في الاسلام وطريقته في السلوك مع الآخرين في مجال الدعوة .

[٣]

وحاول الأئمة (ع) ـ فيما حاولوه ـ أن يرسموا لنا ـ بكلماتهم وأحاديثهم وطريقة محاوراتهم ومناظراتهم مع أعداء الدين ، وخصوم الاسلام الخط الواضح للدعوة والتطبيق الحي الواعي لمفهومها العام .

وسنحاول ـ في هذا الحديث ـ أن نتلمس بعض هذه الكلمات والأحاديث فيما لدينا من كلمات الامام الصادق (ع) وأحاديثه ، فقد حاول أن يرسم المنهج في بعض آخر ، ويطبق الخطة في مواقف اخر ، ويوجه الآخرين في طريقة ممارستهم للدعوة وفي طبيعة سلوكهم معها .

فنلتقي ، مثلاً ـ بادىء الامر ـ بقضية قد يكون لها اكبر الأثر في واقع الدعوة ، فالدعوة الاسلامية تعتمد ـ قبل كل شيء ـ على الاقناع والدفع بالتي هي أحسن الذي يستتبع اتباع سبيل البرهنة والاستدلال والأخذ والرد مع خصومها كاسلوب طبيعي من الاساليب التي يستطيع بها الدعاة ربح المعركة العقيدية التي تدور بين دعاة الاسلام وبين دعاة الكفر والضلال .

ومن الطبيعي لهذا الاسلوب أن يقحم الدعاة في مجالات جدلية ،

تفرضها طبيعة المعركة الفكرية ، والصراع العقيدي ، ويدخلهم في تفاصيل متشعبة الآفاق والجهات حول القضايا المتعلقة بالعقيدة .

فما هو موقف الداعية المسلم تجاه هذا الواقع ؟ وما هو رأي الامام الصادق في هذا الموضوع ؟

[٤]

ربما ينسب البعض إلى الامام الصادق (ع) أنه يشجب الجدل وينهى عن الكلام لا سيما إذا كان الجدل في الله ، وربما نجده في بعض الاحاديث المروية عنه ، يثير حملة شعواء على أهل الكلام ، فقد روي عنه أنه قال : « يهلك أهل الكلام وينجو المسلمون [١] » وقد روي أن بعض أصحابه قال له في حديث : « جعلت فداك سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ويل لاهل الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد وهذا ينساق وهذا لا ينساق وهذا نعقله وهذا لا نعقله . . . [٢] » .

ويعلل الشيخ الصدوق النهي عن الجدال في الله ـ فيما يرى ـ بانه يؤدي إلى ما لا يليق به .

وربما يرتكز على هذا المفهوم بعض الذين يرون أن قضية العقيدة لا تخضع للفكر ولا تطمئن للمناقشة الحرة ، لانها لا تتصل بالعقل ، وإنما تتصل بالقلب ، الذي يؤمن ولا يناقش ، ويحب ولا يتساءل ، ومن هنا نشأ المفهوم القائل : إن الايمان لا يخضع للعقل ، ولذا فلا مجال له مع العقل ، كما لا مجال للعقل معه .

---

(١) تصحيح الاعتقاد ٣٦ .

(٢) الكافي ج ١ / ١٧١ .

وقد نستطيع أن نرجع الى ذلك بعض ملامح المفهوم القائل بعداوة الدين للعلم . . .

ولكن هل باستطاعتنا الايمان بهذا المفهوم المنسوب للامام الصادق (ع) إذا أردنا إبقاءه على ظاهره الساذج ـ . ؟ . هذا ما نحاول معرفته في هذا الحديث .

ولكي نتعرف وجه الحق في هذه القضية ، نجد أن علينا أن نجعل الموضوع في جهتين :

الاولى : في موقفه من الجدل بشكل عام .

الثانية : في موقفه من أهل الكلام .

أما الحديث في الجهة الاولى . . فنحسب أننا لن نستطيع التصديق بهذه النسبة ، لان الاسلام لم يجيء ليكره الناس على اعتناقه دون وعي وإدراك ، وليجبرهم على الانتساب اليه دون إدراك لحقيقته وفهم لاصوله وقواعده وانما حاول أن يفتح لهم أبواب المعرفة ويدلهم على طريق الحق ، ليربح إيمانهم وعقلهم قبل أن يربح طاعتهم وتبعيتهم ، ومن هنا كانت الآية الكريمة تدعو النبي (ص) الى الجدال بالتي هي احسن مع اهل الكتاب وغيرهم من خصوم العقيدة واعدائها بل النظرة البسيطة للقرآن الكريم تعطينا فكرة واضحة عن هذه القضية ، لما نلمحه فيه من محاولته قرع الحجة والبرهان بالبرهان بأساليبه المتنوعة الكثيرة . واذا كان الجدل مع أعداء العقيدة من القضايا التي جاء بها الكتاب العزيز ودعا اليها دعوة موجهة ، فكيف يمكننا القول بأن الامام الصادق يشجبه وهو القائل : لا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا .. » و « ما خالف كتاب الله فهو زخرف » .

هذا من جهة . . ونجد ـ من جهة أخرى الروايات التي جاءت عن الامام الصادق لتدفع أصحابه الى خوض معركة الصراع العقيدي الدائر

آنذاك ، فهو يقول ليونس بن عبد الرحمـان ـ فيما يروِى ـ «وددت أنك يـا يونس تحسن الكلام»، ونراه من جهة أخرى يحاول تدريب أصحابـه على الجدال والمناقشة فيدعوهم إلى التكلم بحضرته ويوازن فيما بينهم .

فقد روي في الحديث المتقدم « أنه دعا حمران بن أعين ومحمـد ابن الطيار وهشام بن سالم وقيس المـاصر فتكلمـوا بحضرتـه وتكلم هشام بعدهم » .

ومن الطريف لنا أن ننقل الملاحظة الدقيقة البارعة ، التي لاحظهـا الامام الصادق (ع) على اسلوب كل واحد منهم في الجـدل وطريقتـه في الكلام ، تقول الرواية : « ثم التفت أبو عبد الله (ع) الى حمـران فقال : تجري الكلام على الاثر فتصيب والتفت الى هشام بن سالم فقال : تريد على الاثر ولا تعرفه ثم التفت الى قيس الماصـر فقال : تتكلم وأقـرب ما يكـون الخبر عن رسـول الله أبعد مـا يكون منـه تمزج الحق مـع الباطـل وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل . أنت والاحوال قفازان حاذقان (قال يونس) : فظننت والله أنه يقول لهشام قـريباً ممـا قال لهمـا ثم قال : يا هشام لا تكاد تقع تلوي رجليك إذا هممت بـالارض طرت . مثلك من يكلم الناس فاتق الزلة . . [1] الحديث » .

ونجـده في موقف آخـر يحاول تشجيـع المتكلمين من أصحـابـه ، بالاستماع الى قضايا الصراع التي يخوضونها ، والايحاء اليهم بأنـه يتتبع خـطواتهم ويتحمس لنجاحهم فيمـا يثيرون وفيمـا يتكلمون فقـد جـاء في الكافي عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبد الله (ع) جماعة من أصحـابـه منهم حمـران بن أعين ومحمـد بن النعمـان وهشـام بن سـالم والطيار وجماعة من أصحـابه فيهم هشـام بن الحكم وهو شاب فقال ابـو

---

(١) الكافي ١ / ١٧٣ .

عبد الله (ص) : يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمـرو بن عبيد وكيف سألته ؟ فقـال هشام : يـا بن رسول الله اني اجلك وأستحييـك ولا يعمل لساني بين يديك فقال ابو عبد الله (ع) : اذا امرتكم بشيء فافعلوا .

قال هشام : بلغني ما كان فيـه عمرو بن عبيـد وجلوسه في مسجـد البصرة فعظم ذلك علي فخرجت اليه ودخلت البصرة يـوم الجمعة فـأتيت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سـوداء متزر بها من صوف وشملة مرتـد بها والنـاس يسألـونه فـاستفرجت النـاس فـأفرجـوا لي ثم قعدت في آخـر القوم على ركبتي ثم قلت : ايهـا العالم اني رجـل غريب تـأذن لي في مسألـة ؟ فقال لي نعم . فقلت لـه : ألك عين ؟ فقـال لي : يـا بني أي شيء هـذا من السؤال ، وشيء تـراه كيف تسأل عنه ، فقلت : هكذا مسألتي فقال : يا بني سل وان كانت مسـألتك حمقاً ، قلت : أجبني فيها قال لي : سل .

قلت : ألك عين ؟

قلت : نعم .

قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أرى بها الالوان والاشخاص .

قلت : ألك أنف ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أشم الرائحة .

قلت : ألك فم ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أذوق به الطعم .

قلت : ألك أُذن ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بها ؟

قال : اسمع بها الصوت .

قلت : ألك قلب ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أُميِّز به كل ما ورد على الجوارح والحواس .

قلت : أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

فقال : لا .

قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة .

قال : يا بني ان الجوارح اذا شكت في شيء شمته او رأته او ذاقته او سمعته ردته الى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك .

فقلت له : فانما اقام الله القلب لشك الجوارح ؟

قال : نعم .

فقلت له : يا ابا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح وتتيقن به ما شككت فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردون اليه

شكهم وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك. قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً [1].

وهكذا ينتهي هشام من عرض محاورته ومناظرته، ليتقبل تشجيع الامام (ع) وتأييده.

وهكذا نستطيع أن نتعرف كيف كان الامام الصادق (ع) يحاول أن يجعل من أصحابه مدرسة مستقلة في مجال الصراع العقيدي، يتعهدها بالرعاية والتوجيه والتشجيع.

وبعد هذا.. هل يستطيع احد ان يدعي ان الامام (ع) كان ينهى عن الجدل في العقائد، وفي الله بالخصوص، وهل يمكن لنا الايمان بهذه الدعوى؟ وماذا يكون موقف الانسان المسلم ـ إذا عرض له ما يوجب الدخول في جدل عقائدي هل يستسلم ويقول لصاحبه: انني لا اخوض معك هذا المجال لانني منهي عن الجدل، وكيف يستطيع ربح المعركة إذا حاول ان يقف هذا الموقف. لقد نهى الامام الصادق (ع) جماعة عن الكلام والخوض في امور العقائد ولكن لا لأن الكلام والجدل فيها امر يشجبه الدين وينهى عنه الشرع بل لان هؤلاء الذين نهاهم لم يكونوا بالمستوى الذي يمكنهم من الدفاع عن الدين او يجعلهم في زمرة الممثلين له، لانهم لا يملكون الثقافة التي تجعلهم في هذا المستوى ويشهد لذلك ما روي عن الامام الصادق (ع) انه نهى رجلا عن الكلام وأمر آخر به فقال له بعض اصحابه: جعلت فداك نهيت فلاناً عن الكلام وامرت هذا به؟ فقال: هذا أبصر بالحجج وارفق منه».

---

(١) الكافي ١ / ١٦٩، ١٧٠.

وفي رواية اخرى نجده يخاطب هشام بن الحكم ـ وقد سأله عن اسماء الله تعالى واشتقاقها فأجابه عن ذلك «أفهمت يا هشام فهما تدفع به اعداءنا الملحدين في دين الله وتبطل شبهاتهم قال : نعم فقال : وفقك الله» .

إن هذا الحديث وغيره يدلنا دلالة واضحة بأن القضية ليست قضية جدل وكلام بقدر ما هي قضية قابلية الاشخاص لهذه المهمة ، وحماية الدين من ان يتطفل على عقائده وأصوله من لا يستطيع الدفاع عنها ورد اعدائها وخصومها . .

ويقول الشيخ المفيد ـ بعد حديث طويل ـ . « فثبت ان نهي الصادقين ، ويعني بهم الأئمة (ع) ، عن الكلام انما هو لطائفة بعينها لا تحسنه ولا تهتدي الى طرقه وكان الكلام يفسدها ، والأمر لطائفة أخرى لانها تحسنه وتعرف طرقه وسبله فاما النهي عن الكلام في الله عز وجل فانما يختص بالنهي عن الكلام في تشبيهه بخلقه وتجويره في حكمه ، واما الكلام في توحيده ونفي التشبيه عنه والتنزيه له والتقديس فمأمور به ومرغب فيه وقد جاءت بذلك آثار كثيرة واخبار متظافرة [1] » .

[٥]

اما الدرس الذي نأخذه من هذا الحديث المتقدم فهو أن على الداعية للاسلام أن يتحرى الحق في دعوته فلا يجادل بالباطل ، ولا يلبس الحق بالباطل وأن لا يخرج الانسان إلى مجال الدعوة ويتمرس بها ويدخل ميدان الصراع للدفاع عنها ، والكفاح الفكري من اجلها إلا بعد أن يتأهب لذلك ويعد للأمر عدته من وعي وإيمان ، وعقل مفكر

(١) الشيخ المفيد ، تصحيح الاعتقاد ص ٢٧ ـ ٢٨ .

نـاضج ، والسـر في ذلك واضـح جلي ، وهو أن الانسـان اذا حمـل في حياته دعوة الاسلام فانه يمثل قوة الدعوة وحيويتها فاذا أصابه أي انهيار أو تراجع أو فشل في طريق الـدعوة او في مجـال الصراع كـان ذلك انهيـاراً لنفس المبدأ الذي يحمل عبء الدفاع عنه ويعتبر تجسيداً حياً له .

وعلى ضوء هذا نفهم حـديث الامام الصـادق (ع) لبعض اصحابـه ـ فيما روي عنه ـ « حاجوا الناس بكلامي فـان حجوكم فـانا المحجـوج » فان طبيعة انطلاق جدالهم واستـدلالهم من احاديث الامـام (ع) وتعاليمـه يجعل الحجة على تلك الأحـاديث إذا لم يستطيعـوا الدفـاع عنها ، وعن افكارها ومفاهيمها العامة والخاصة .

[٦]

أمّا موقفه من اهل الكلام وثورته التي اعلنها عليهم ـ فيما روي عنه ـ فتحسب انـه لا يلتقي بـطبيعـة الاتجـاه الـذي يمثله اهـل الكـلام في الاستدلال على العقائد والأصول الاساسية للدين ، وانما يلتقي بالمنهـج الذي اتخذه اهل الكلام في هـذا العلم ، والأساس الـذي ارتكزوا عليـه في طـريقتهم حيث ابتعـدوا بـالصـورة الـوضيئـة للفكـرة الاسـلاميـة عن اطارها ، واستعاروا لها اطاراً آخر من صنع عقيدة اخرى وفلسفة معينـة ، فكان أن ادى ذلك الى تشويه الصورة في بعض الاحيان ، وابتعـاد الفكرة عن اجوائها الروحية السمحـة في البعض الأخر ، بسبب اقتضـاء المنهج الذي نهجوه بعض التصرف في الخطوط العامة الخاصة .

ومن هنا كان جـواب الامام (ع) للسـائل الـذي قال لـه : سمعتك تنهى عن الكلام ، بأن هذا النهي منه لأنهم تركوا مـا ثبت من الشارع في الـدين ، فقد درجـوا على أن يـزنـوا مـا ورد في الكتـاب والسنـة بميـزان عقـولهم وقواعـدهم الكلاميـة فيؤمنـون ببعض الكتـاب ويكفـرون ببعض

فانهم كثيراً ما يتركون ظواهر الكتاب والسنة لمناقضة ارائهم اياها فيقولون هذا ينقاد لما يوافق عقولهم وهذا لا ينقاد لما يخالفها وهو المراد بقولهم : هذا ينساق وهذا لا ينساق [1] .

[٧]

ونلتقي في مجال آخر بقضية اخرى في حديث الامام الصادق (ع) تتصل باسلوب الاسلام وطريقته في عرض مبادئه واحكامه على الآخرين ، سواء في ذلك اولئك الذين يدخلون الدين من جديد ، او اولئك الذين دخلوه ولكنهم اخطأوا بعض اهدافه وانحرفوا عن بعض تعاليمه وخططه .

فما هي الخطة التي نضعها في هذا المجال في الطريق الى هدايتهم للصراط المستقيم ، وما هي الأساليب التي نتبعها معهم ليتقبلوا افكار الدين وتعاليمه براحة واطمئنان .

فقد نجد أمامنا ـ ونحن نلتقي بالناس ـ الانسان الذي لا يزال في بداية الطريق لايمانه ، فهو لم يلتق بالروح الحية التي تمد ايمانه بالقوة الصامدة التي لا تستكين لضعف ، ولا تنهار أمام تجربة ، ولا تتراجع عند التكاليف الشاقة التي قد تعيشها في واقع التجربة الواعية للدين .

وقد نجد أمامنا الانسان الذي بلغ منتصف الدرب في روحية العقيدة وسلامة الايمان ، فهو قد خطا خطوات كثيرة في هذا السبيل وخاض غمار بعض الأحداث وعاش بعض التجارب ، ولكنه لم يتمرس بالتجربة ، في وعي يقظ ، وفكر متزن ، بل عاشها في ذهنه عبر اللمحات الخاطفة التي تعطيها القضية في غمار الأحداث .

---

(١) مرآة العقول ١ / ١٣١ .

وربما نلتقي بالانسان الذي نضجت العقيـدة في ذهنه ، وانـطلقت في روحه وحياته لتمتد في مجتمعها وتتسع ، حتى ليخيـل اليك انهـا في محـاولـة استيعـاب للوجـود واستقـطاب لمجـالاتـه في عمليـة العقيـدة والايمان . فهو قد بدأ الاسلام بداية واعية لا تعتمد على تقليد ولا تستند الى تبعية ، بل ترتكز على الوعي والعمق والاصالـة ، في الفكر والعقل والعاطفة ـ وسار في الطريق بهـدي هذا الـوعي المتفتح النـاضج ، يـركز خطاه في الدرب ، ويطبع حياته بـطابع شخصيتـه المؤمنة الجـادة التي لا تستريح للعبث ، ولا تستسلم للخدر الروحي الذي يوحي بالكسل ويغري بالتحلل من المسؤولية والتخلص من عبء العمل .

تلك هي بعض النماذج التي قد نلتقيها في الطريق نحو الدعوة الى أهداف الدين ومبادئه ، ومن جهه اخرى قد نلتقي بمثل هذه النماذج لدى غيـر المؤمنين بالـدين ، وعند ذلـك يكون الاختـلاف بينهـا اختـلافـاً في القابلية الذهنية والروحية ومدى ما تستـطيع ان تتقبله من تعـاليم العقيدة ومبادئها .

فماذا سيكون موقفنا من كل هؤلاء ؟

هل نحاول ان نتجمد ونقف عند اسلوب واحـد ، وفكرة واحـدة ، تجمع الجميع في اطار واحد ، او نحاول مواجهة التجربة الواقعية للعمل التي تفـرض علينا ان نضـع كل واحـد منهم في نطاقـه الخاص من حيث اطـاره الذهني وقـابليته الفكـرية والـروحية ، فنخـاطبه بـالاسلوب الـذي ينسجم معه ويتلائم مع طبيعته وماذا نفعل في سلوكنا معهم ، ونحن نجد انهم يختلفون معنا في كثير من تفاصيل العقيدة وخطوطها ؟

هـل يفرض علينـا ذلك أن نبتعد عنهم ونتبرأ منهم لمجـرد أنهم يخالفوننا في الرأي ، ولا يوافقوننا في كثير من تفاصيل العقيدة ؟.

هـذا مـا نحـاول ان نفهمـه في الحـديث الـذي ننقله عن الامـام الصادق (ع) فقد جاء في الكافي عن رجل كان خادماً لأبي عبـد الله (ع) قال : بعثني أبو عبد الله في حاجة وهو بالحيرة ـ أنـا وجماعـة من مواليـه ـ قال : فانـطلقنا فيهـا ثم رجعنا مغتمين قـال : وكان فـراشي في الحائر الذي كنا فيه نزولا ، فجئت وأنا بحال فـرميت بنفسي فبينا انـا كذلـك اذا انا بأبي عبد الله (ع) قد اقبل ، قال : فقال : قد اتيناك او قال : جئناك ، فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشي فسـألني عما بعثني له فأخبرته ، فحمد الله ثم جرى ذكر قوم فقلت : جعلت فداك إنا نبرأ منهم ، انهم لا يقولون ما نقول قال : فقال : يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبـرأون منهم ؟ قال: قلت: نعم قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا ان نبرأ منكم؟ قـال : قلت : لا ـ جعلت فداك ـ قـال : وهو ذا عنـد الله ما ليس عنـدنـا أفتـراه اطرحنـا ؟ قال : قلت : لا والله جعلت فـداك مـا نفعـل ؟ قـال : فتـولّـوهم ولا تبـرأوا منهم ، ان من المسلمين من لـه سهم ومنهم من لـه سهمان ومنهم من له ثلاثة اسهم ، ومنهم من له اربعة اسهم ، ومنهم من له خمسة اسهم ، ومنهم من له ستة اسهم ، ومنهم من لـه سبعة اسهم ، فليس ينبغي ان يحمل صاحب السهم على ما عليه صـاحب السهمين ولا ما عليه صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة ولا صاحب الثلاثـة على ما عليه صاحب الاربعة ولا صـاحب الاربعة على مـا عليه صـاحب الخمسـة ولا صاحب الخمسـة على ما عليـه صاحب الستـة ولا صـاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة .

وسأضرب لك مثلا : ان رجلا كان له جار وكان نصرانياً فدعاه الى الاسـلام وزينه لـه فأجـابه فـأتاه سحيـراً فقرع عليـه الباب فقـال له : من هذا ؟ قال : انا فلان قال : وما حـاجتك ؟ فقـال : توضـأ والبس ثوبيـك ومر بنا الى الصلاة قال : فتوضأ ولبس ثوبيه وخـرج معه قـال : فصليا مـا شاء الله ثم صليا الفجر ثم مكثا حتى اصبحـا ، فقام الـذي كان نصـرانياً

يريد منزله ، فقال له الرجل : اين تذهب ؟ النهار قصير والذي بينك وبين الظهر قليل . قال : فجلس معه الى ان صلى الظهر ثم قال : وما بين الظهر والعصر قليل فاحتبسه حتى صلى العصر ، قال : ثم قام واراد ان ينصرف الى منزله فقال له : ان هذا آخر النهار واقل من اوله فاحتبسه حتى صلى المغرب ثم اراد ان ينصرف الى منزله فقال له : انما بقيت صلاة واحدة قال : فمكث حتى صلى العشاء الآخرة ثم تفرقا . فلما كان سحيراً غدا عليه فضرب عليه الباب فقال : من هذا ؟ قال : انا فلان قال : وما حاجتك ؟ قال : توضأ والبس ثوبيك واخرج بنا فصل ، قال : اطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني وانا إنسان مسكين وعلي عيال ، فقال أبو عبد الله (ع) : ادخله في شيء اخرجه منه ـ او قال : ادخله من مثل ذه واخرجه من مثل هذا [1] .

ان هذا الحديث يعطينا الصورة الواضحة لاسلوب العمل مع هؤلاء وكيف يتعين علينا أن نلاحظ القابليات الذهنية لكل واحد منهم ، تلك التي عبر الامام (ع) عنها بالأسهم ، وكيف يجب علينا ـ اذا اردنا لتجربتنا العملية ان تكون واقعية ـ ان لا نقدم الفكرة وتفاصيلها دفعة واحدة بل نحاول توزيعها على عدة دفعات ، ريثما يتم اطمئنان العقيدة في نفس الانسان ويستقر الايمان في قلبه وضميره ، فقد يكون التركيب الفكري للعقيدة تدريجياً ، سواء في ذلك جانب الأسس الأولى للعقيدة ، او الأحكام المنبثقة عنها ، ففي مثل هذه الحال لا بد لنا من ان نلاحظ واقع التدرج وطبيعة هذا الترتيب ، فلا يمكن أن نتحدث عن النبوة لمن لم يؤمن بالتوحيد كما لا يمكن الحديث عن المعاد لمن لا يؤمن بالنبوة ،

---

(١) الكافي ج ٣ / ٤٣ ـ ٤٤ .

وقد يتطلب التكوين الفكري للانسان مثل هذا التدرج اذا لم يكن لديه الاستعداد الكامل لتحمُّل ثقل الفكرة بكاملها ، وعبء العمل بتفاصيله ومستلزماته ، كما حدث للرجل النصراني الذي حدثنا الامام (ع) عنه . . .

وربما نجد شاهداً على هذا الاسلوب ، من سيرة النبي الأعظم (ص) وبقية الأنبياء ، حيث كانت العقيدة وتفاصيلها تقدم للأمة في عدة دفعات تماماً كما يقدم الدواء للمريض في جرعات متعددة .

وفي جانب السلوك العملي مع الذين لا نتفق معهم في تفاصيل الرأي والفكرة لا بد لنا من ان نلاحظ ظروفهم الفكرية وقابلياتهم الروحية والعاطفية قبل ان نحكم عليهم ونتخذ منهم موقف المقاطعة والمنابذة ، فنحاول دراسة هذا الجانب من حياتهم لنتعرف على المؤثرات التي فرضت مثل هذا الموقف عليهم ، ومدى ما يمكن عمله إزاء هذه المؤثرات لتصحيح ذلك الموقف .

وهكذا نجد أن باستطاعتنا ان نتخذ من هذا الحديث الشريف دستوراً للعمل ، يجري مع الحكمة ، ويسير على وفق الصواب ، ونأخذ منه درساً عملياً واعياً نحاول ان نصحح ـ على ضوئه ـ موقفنا من الجماعات التي نختلف معها في تفاصيل الرأي وخطوط العقيدة .

[٨]

وهكذا نحاول الوصول الى ختام هذا الحديث لنخلص إلى قضية اساسية هي : ان علينا ان ندرس احاديث الأئمة من اهل البيت (ع) لنتعرف حلول مشاكلنا على هديها ، ونتلمس منها التطبيق الواعي للمفاهيم العامة التي جاء بها القرآن الكريم ، وسنها النبي الأعظم (ص) . . ذلك لأن احاديث الأئمة (ع) ثروة فكرية وعقيدية في هذا

المجال لا تنفصل عن المصدر الأول للتشريع ، والأساس الأول للعقيدة بل هي تمتد منه لتنطلق في حياتنا نوراً وحياة وسلاماً .

وأخيراً . . فلم يكن هذا الحديث إلا محاولة متواضعة لدراسة هذا الجانب من حديث الامام الصادق (ع) ، ولم يسعفنا الوقت ولا الظروف من ان نجري في حديثنا مع مناظرات الامام (ع) واحتجاجاته وطبيعة المدرسة الاسلامية لاسلوب العمل والمناظرة التي كان يحاول توجيه أصحابه اليها وتدريبهم على مفاهيمها وخطوطها . . ونسأله سبحانه التوفيق له ولغيره من احاديث الاسلام والمسلمين انه قريب مجيب ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ من وراء القصد .

مَع الصوم في الحديث

لماذا فرض الله الصوم ؟

وما هي الحكمة من تشريعه ؟

سؤال . . لا يزال يعيش في أذهاننا كلما جاء شهر رمضان وكلما أردنا الحديث عن الصوم .

وليس هذا السؤال بغريب عن حياتنا الدينية ، فلم يكن جديداً عليها ، وإنما انطلق في صدر الدعوة الاسلامية ، على لسان الكثير من المسلمين الذين يحاولون أن يضيفو الى ايمانهم واقتناعهم بانطلاق كل تشريع من قبل الله تعالى عن مصلحة أساسية ـ وعياً تفصيلياً لهذه الحقيقة ، وإحاطة بأسرار التشريع وفوائده . وهكذا وجدنا الكثير من هذه الأحاديث التي تتناول بيان حكمة تشريع الصوم .

ففي حديث ان هشام بن الحكم سأل الامام الصادق (ع) عن علة الصيام ، فقال : إنما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير . وذلك أن الغني لم يكن ليجد مسَّ الجوع فيرحم الفقير لأن الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه ، فأراد الله تعالى أن يسوِّي بين خلقه ، وأن يذيق الغني

من الجوع والالم ليرق على الضعيف ويرحم الجائع .

وفي حديث آخر ذكر في جواب بعض المسائل التي كتبها محمد ابن سنان إلى الامام الرضا (ع) : علة الصوم لعرفان مس الجوع والعطش ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً ، ويكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات واعظاً له في العاجل ، دليلاً على الآجل ، ليعلم شدة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة .

وعن الأمام الرضا (ع) أيضاً ـ قال : إنما امروا بالصوم لكي يعرفوا ألم الجوع فيستدلوا على فقر الآخرة ، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مستكينا مأجوراً محتسباً عارفاً صابراً من الجوع والعطش فيستوجب الثواب مع ما فيه من الامساك والشهوات ويكون ذلك واعظاً لهم في العاجل ورائضاً لهم على أداء ما كلفهم ودليلاً لهم في الآجل وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدوا اليهم ما افترض الله لهم في أموالهم .

وقبل هذا كله كان الحديث النبوي المشهور « صوموا تصحوا » .

وبدأنا نتعرف مع تقدم العلم وتطور البحث على الفوائد الصحية والاجتماعية والنفسية التي يجنيها الصائم من صومه ، وبدأ الحديث عن الصوم يرافق الحديث عن تقوية الارادة وتربيتها ، وعن الشعور بالمساواة ، والمشاركة الوجدانية ، والتخلص ، والوقاية من بعض الأمراض الجسمية ، وترويض النفس وتزكيتها من الدرن ، ثم . . الالتقاء والاتصال بالله سبحانه في عبادة روحية صامتة .

وهكذا نشأت لدى الدارسين للصوم والقارئين لأحاديثه من وراء هذا التساؤل وهذا التطلع ثقافة شاملة عن أسرار هذا التشريع وحكمته بما لا يدع مجالا لقائل ـ حسب تعبير الاقدمين ـ .

ولست الآن بصـدد هذا البحث ، فقـد مضى شهـر رمضـان ـ وهـو الشهـر الذي اعتـدنا أن نتحـدث فيه عن الصـوم ـ وانما عـرضت هـذا ، لاخلص الى مـا أريده من التعليق على حـديث نقـل في العـدد الأول من هذه المجلة ص (١٦) فقد رأيت في ظاهره مفهوماً لا نستطيع أن نعتـرف به ، وتعليلاً لا نفهم له وجهاً ولا نعقل له تـأويلا . . الأمـر الذي يفـرض علينا التعليق عليه حـرصاً على كـرامة التشـريع الاسـلامي من أن تخضع لمثـل هذه التعليـلات ، التي لا نستطيـع ـ بوجـه من الـوجـوه ـ أن نؤمن بصحة نسبتها الى الأمـام الحسن (ع) ، لا سيما بعـد أن وضع لنـا الأئمة (ع) مقياس العرض على الكتاب والسنة ، أساساً لقبول الأحاديث الواردة عنهم أو طرحها .

أما الحديث فقد نقلته المجلة على النحو الآتي (دون أن تشير الى سنـده) « روي عن الحسن بن علي بن أبي طـالب عليهمـا السـلام انـه قال : جاء نفر من اليهود الى رسول الله (ص) فسأله اعلمهم عن مسائـل فكان فيما سأله انه قال لـه : لأي شيء فرض الله عـز وجل الصـوم على امتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض الله على الامم أكثر من ذلك ؟ فقال النبي (ص) : ان آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوما ففرض الله على ذريته ثلاثين يوما ، الجوع والعطش ، والذي يأكلونـه بالليـل تفضل من الله عـز وجل عليهم ، وكـذلك كـان على آدم (ع) ففـرض الله ذلـك على امتي ثم تـلا هذه الآيـة (كتب عليكم الصيام كمـا كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات) قال اليهودي : صدقت يا محمد فما جزاء من صامها ؟ فقال النبي (ص) ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلا أوجب الله تبارك وتعالى له سبع خصال : أولها ـ يذوب الحرام في جسده . الثانية ـ يقرب من رحمة الله وعز وجل . والثالثة ـ يكون قد كفرَّ عن خطيئة آدم ابيه) . . الى آخر الحديث . .

هذا هو الحديث . . فماذا هي الصورة التي يخرج بها القارىء من خلال قراءته له ؟

إنه سوف يخرج بنتيجة واحدة هي ان قضية الصوم ليست مرتبطة ـ في تشريعها ـ بالمصالح النفسية والاجتماعية والصحية والروحية التي تكمن في الصوم وتنطلق منه ، وانما هي مرتبطة بخطيئة آدم ومعصيته ، فهي عقوبة على هذه المعصية ، وتكفير عن هذه الخطيئة ، . . ولكنها عقوبة لم يتحملها آدم وحده بل تحملتها ذريته ، وتكفير لم يفرض على المذنب وحده وانما فرض على أولاده من بعده الى أن تقوم القيامة ، لا لذنب جنوه ، ولا لخطيئة ارتكبوها .

ولما كانت الكفارة عن الذنب تقتضي الاتحاد في الكمّ والكيف بينها وبين الذنب ـ كما يفرض الحديث ـ فقد كان لا بد للبشر انسجاماً مع هذا الواقع أن يصلوا الليل بالنهار ما دام الطعام قد بقي في جوف آدم ثلاثين يوماً ليلاً ونهاراً .

كان لا بد لهم من ذلك لو لا أن الله تفضل عليهم وخفف عنهم فجعلهم في سعة من أن يأكلوا في الليل .

تلك هي الصورة التي نخرج بها عند قراءتنا لهذا الحديث صورة التشريع الذي يستهدف عقوبة البشر في الدنيا ، على ذنب لم يجنوه ، وإلزامهم بالتكفير عن خطيئة لم يرتكبوها وانما ارتكبها أبوهم الاول آدم (ع) .

اما الان . . فلا بأس ان نعرض هذا الحديث على المفاهيم الصحيحة التي نؤمن بها ونعتمد عليها ، لنرى مدى ملاءمته لها وانسجامه معها .

اولا ـ لا تلتزم الامامية بصدور المعصية من الأنبياء مطلقاً ومنهم

آدم (ع) . أمـا ما ذكـره القرآن عنهم فـلا يرونـه من قبيل المعصيـة وإنما يوجهونه بتوجيهات تبعده عن ذلك .

وثـانياً ـ ان القـرآن يقرر في الآيـة الكـريمـة ﴿ولا تـزر وازرة وزر أخرى﴾ ان الانسان وحـده يتحمل مسؤوليـة عمله فلا يحـاسب أي انسان على ما ارتكبه الآخرون من أعمال ولا يؤاخذ انسان بما فعله آخر ، وانما يعاقب ويؤاخذ بما فعله وما ارتكبه فحسب .

فهل نستطيع مع هذا أن نؤمن بما جاء في هذا الحـديث من تحمل البشر لوزر خطيئة آدم ، بعد أن كان الدافع لهـذا التشريـع ـ كما يفـرض الحديث ـ هو التكفير عن خطيئة آدم لا غير .

وثالثاً ـ ما دام الغرض من التشريع هـو التكفير فلماذا خص بـذلك امة النبي محمد (ص) ولم يكن شاملا لجميع البشر .

ثم ان الملحـوظ ان النبي لم يجب على الشق الاخـر من السؤال الذي سأله اليهودي عن السر في زيادة فريضة الصوم في سائر الامم على الفريضة التي فرضت على المسلمين ؟؟ .

هذا وقد كنا نود أن نطلّع على سندها لنناقش رجاله فوجدنـا الشيخ الصدوق قد رواها مرسلة ، وبهذا يضاف مـأخذ جـديد الى المـآخذ التي قررنا .

وأخيراً قد يقول قائل : وما هو الأثر الذي يترتب على هذا الحديث إنه ليس حكماً شرعياً ، ليترتب على صدقـه وكذبـه أثر مهم يتعلق بحيـاة النـاس ، وانما هـو حديث يتعـرض لما وراء الأحكـام من علل وأسرار ، وسواء أصحت هذه العلل أم لم تصح ، فانها لا تغير من الواقع شيئـاً . . وهو أن علينا أن نؤدي هذه الفريضة بكل أمانة واخلاص ، فاننـا لا نعتمد في امتثال فرائضنـا الدينيـة على ما يـذكر من الحكم والتعليـلات ، وانما

نعتمد على الأوامر الصادرة من قبل الله تعالى ، والتي يجب علينا أن نمتثلها تعبداً ، من دون حاجة الى ان نفهم أسرارها ودوافعها .

قد يقول ذلك قائل . وقد قيل ذلك عمليّاً ـ إن صح التعبير ـ عندما اتجه الباحثون الى الأحاديث المتعلقة بالأحكام الشرعية فنقحوها ومحصوها ، وعزلوا الصحيح منها عن الفاسد وميزوا المضطرب من المستقيم حتى بدأ الفقيه يطمئن الى ما لديه من أحاديث ويسكن الى ما يستنبطه منها من أحكام .

أما ما لا يتعلق بذلك أما الاخبار التي تتضمن مفهوماً اسلامياً في الحياة ، وفي السلوك ، وفي النفس ، وفي الاجتماع ، وفي أسرار التشريع وحكمته . . . اما كل ذلك فقد بقي دون تمحيص وتنقيح استناداً الى عدم وجود أثر يترتب على صدقه وكذبه ما دام العمل لا يتوقف عليه .

ولكنهم يخطئون عندما يزعمون هذا الزعم ويقولون هذا القول . . فان الصورة العامة للاسلام لا تكتمل اذا لم تتضح المفاهيم الاسلامية العامة في جميع نواحي الحياة، ولم تبرز بصورتها الوضيئة الناصعة . .

ولن تتضح تلك المفاهيم أبداً اذا لم نحاول غربلة ما وصل الينا من أحاديث ، وتنقية الصحيح والفاسد على حسب الموازين والمقاييس التي وضعها لنا الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

أما ارتباط وضوح هذه الصورة العامة للاسلام بحياتنا فنستطيع ان نعرفه اذا عشنا هذا القلق والارتباك والتشويش الذي يعانيه الانسان المسلم في حياتنا المعاصرة نتيجة فقدانه للصورة الكاملة عن الاسلام ونظرته للحياة الأمر الذي يجعله نهباً للمفاهيم الغريبة عنه دون ان يعرف مدى موافقتها لديه ومخالفتها له .

عاشوراء

- حول عاشوراء.
- من أجل عاشوراء إسلامية.
- ثبات القلة في طريق الله.
- في رحاب عاشوراء والسنة الهجرية الجديدة.
- قيمة العقل في الاسلام.
- الاستقامة في حركة الدعوة إلى الله.

حَول عَاشوراًء

لِنُجبْ عن التساؤل : لماذا نحتفل بعاشوراء ؟ ! قبل ان تحصل الاحداث في لبنان وبعد ان حصلت !!!

هل المآسي في التاريخ قليلة حتى نظل في مأساة مضى عليها ١٣٣٧ عاما ؟ !

ألا تكفينا المآسي التي شاهدتها الحروب العالمية منها وغير العالمية ؟ !

هل المأساة التي نتحدث عنها غريبة عن التاريخ ؟ !

ان المآسي والوحشية والجريمة التي مارسها طرف معين اثناء عاشوراء ضد اهل البيت ، لها في تاريخ الحروب اكثر من مثل في اكثر من مأساة تاريخية .

(*) المحاضرة التي القيت ـ ارتجالاً ـ في مسجد الإمام زين العابدين في الغبيري في ضواحي بيروت بمناسبة ذكرى عاشوراء في سنة ١٣٩٧ هجرية وذلك بعد هدوء الحرب اللبنانية الداخلية (وقد كتبت من شريط التسجيل دون تنقيح) .

اذن هل نحن مع ذكرى عاشوراء انطلاقا من المأساة ؟؟؟

ربمـا نجد في طـريقة ممـارستنا لـلاحتفال بعـاشوراء هـو ذلك لأنّ الغالب على الاحتفال بعاشوراء هو طابع المأساة .

فنحن نختار القارىء الـذي يستطيـع ان يستذرف الـدمع اكثـر بدلا من القارىء الذي يستطيع ان يستلهم الفكـرة اكثر لاننـا مولعـون بالحـزن والدموع ولأننا نرتبط بعاشوراء المأساة وبعاشوراء الدموع .

ربمـا تكون ممـارستنا لعـاشوراء وبـطريقـة الاحتفـال تعـطي هـذه الفكـرة ، وقد يحكمنـا الواقـع الأساسي الـذي أراده أهـل البيت (ع) من خلال اطلاق فكرة الاحتفال بعاشوراء منذ أن قالهـا الإمام جعفـر الصادق (ع) وهـو يشيـر الى هـذه المجـالس « أحيـوا أمـرنـا رحم الله من أحيـا أمرنا » .

أن تكـون عاشـوراء طريقـا خالـدا للفكرة ، لـلاسـلام في دعـوتـه وللاسلام في اسلوبه وللاسلام في منطلقاته ، ومن هنا يكون الجواب على السؤال فنحن لا نحتفل بعاشوراء كمأسـاةٍ ليقال لنـا ان المآسي كثيـرة بل نحتفل بعاشوراء لانها تمثل الحركة الاسلاميـة التي استطاعت ان تجسـد الاسلام في كل شعاراتها وفي كـل اشخاصهـا وفي كل الممـارسات التي مـارسهـا أيُّ انسـان منهم في حيـاتـه الخـاصـة والعـامـة وتلك بـدْع من الثورات . ان تكون هناك ثورة او حركة تشعر بان كـل فرد منهـا ودون ان يشذ أيّ فرد منها ، تشعر وكأن كل فرد منها يجسـد الثورة والـرسالـة بكل معـانيها ومنـطلقاتهـا وبكل طهـرها ، وهـذا ما تفتقـده ـ فيمـا نعلم ـ كـل الثورات في العالم لأننا قد نجد في كل ثورة من الثورات أنـاسا مخلصين لما يفكرون ولما يناضلون ولما يتحركون من أجله ، ولكن أن تجد الكـل يجسـدون موقفـا واحدا وسلوكـا واحدا وفـريدا من نـوعه وروحـا واحـدة ومنطلقا واحدا . . فهذا من اختصاص عاشوراء .

وعلى هـذا الاسـاس . . نحن كمسلمين نـريـد ان نـطلق حـركـة الاسلام في الحياة ونحن كمسلمين نشعـر بحاجتنـا الى الينبوع المتـدفق في كل وقت ، هذا الـذي يمدنـا بصبر الاسـلام صبر فكـره وصبر هـدفه وصبر اسلوبه ، نحتـاج لعاشـوراء لتجيء الى حياتنـا لتصحح مـا انحرف وتقَوِّم ما اعوَجَّ ولتقودنا الى الطريق من جديد ، وذلك أيها الأخوة هو سـر عاشوراء . . ليست المأساة وليست أحداثها وإنمـا خطهـا الذي ابتـدأ من حيث ابتدأ الاسلام وانتهى حيث انتهى فكر الاسلام

ولهـذا فنحن بحاجـة الى أن نقف وقفةً مـع ما تمثله عـاشـوراء من مباديء ومع مـا نريـد لعاشـوراء من حركـة . فنحن بحاجـة الى أن نفهم عاشوراء في مبادئها ، وإلى أن نفكر في عاشوراء . كيف يجب أن تكون كي تتقدم وتظل خالدة في حياتنا .

نحن مـع الفكرة الاولى مـع مـا نتمثله من عـاشـوراء . ونقف مـع بعض مـواقف أبطال عـاشـوراء . . . سنجـد في بعض هـذه المـواقف : موقف الحسين (ع) في بداية ثورته بداية حركته عندما يتبعه أناس كثيرون كمـا يتبـع النـاس الكثيـرين من الثـائـرين من أجـل الغنـائم والأسـلاب والمنـافع . . . تبعـوه وهم يظنـون أن بامكـانه ان ينتصـر . . . ولهذا فهم يفكرون في مكاسب الانتصارات بعد ذلك . ولهذا فهم يريدون ان يثبتـوا موقفهم في هذا الطريق . . . وشعر الحسين (ع) بالواقع الذي اعتـراه في هـذه الجموع المحتشـدة معه في مسيـرته ووقف ليخـطب وليبين لهـا ان طريقه هـو الموقف وأن الثـورة تنطلق لتتجسـد في سلطان دائم . . . هي ثورة تنطلق لتخط للاجيال المقبلة وعندما واجه الحسين (ع) هؤلاء الناس وأصبح بهذه الصراحة وبهذه المتاعب تفـرقوا عنـه ولم يبق معه إلا النفـر القليل .

هذا موقف . .

موقف نحتاجه في كل مجالات حياتنا لنفهم منه أن على الانسان الذي يريد ان ينطلق مع الناس في حركة وفي أيٍّ فكرة وفي أيٍّ مجال من المجالات ، عليه ان يصارح الناس وان يبينٍّ للناس الذين يسيرون معه وضوح الفكرة ويعطيهم وضوح الرؤية وليعرف الناس كيف يتحركون في كل خطوة يخطونها معه . هذه هي الفكرة التي جسّدها الحسين (ع) في كل مواقفه فلا يريد ان يعطي الناس مفاهيم غائمة وغير واضحة ولا وعود غير محددة وانما كان يعرف القضية وهو لا يريد ـ كما قلنا ـ من خلال قضيته ان يربح ملكا او ان يربح نفسه ، انما كان يريد ان يربح رسالته .

وتجسّد الموقف الرسالي . . . والموقف الرسالي يحتاج الى أناس رساليين ولا يمكن ان يكون الانسان رساليا مع القائد الرسالي الا اذا عرف القائد كيف يعطيه الخطط من خلال ممارسته وصراحته في الموقف .

وعلى هذا الاساس انطلق الحسين (ع) في الطريق .

وهذا موقف نموذجي نحتاجه ونحن نعمل ، وقد يقول بعض الناس : انه اذا اردنا مصارحة الناس بطبيعة ما نريد ان نتحرك فيه في أيّ مجال من مجالات التحرك فربما يهرب الناس وربما لا يأتينا أحد .

ولكننا نقولها كلمة انه لأهونُ على الانسان الذي يقود ، أن يهرب الناس الخائفون الوصوليون وما شابههم منذ بداية الطريق ، من أن يهربوا وهو في وسط المعركة من أجل أن ينهي المعركة بهزيمةٍ منكرة .

قد يمثّل لبعض الناس ان الزيف واللف والدوران والمفاهيم الغائمة يمكن ان تنتج اشخاصا ويمكن أن تنتج جماعة ، ولكن صاحب الرسالة كما قلنا ينطلق من أجل أن يهيء جماعةً تتعاطف مع رسالته

لا مع شخصه ، فالحسين (ع) لم يكن يعمل لشخصه وإنما كان يعمل لرسالته .

هذا موقف من مواقف كربلاء ، علينا أن نعتبره في مجالات عملنا ومع كل من نتعامل معهم ، وهذا احد المواقف التي وقفها الحسين (ع) في بداية الامر ، والموقف الثاني الذي وقفه ايضا في نهاية حركته كذلك، في عاشوراء عندما خطب في أصحابه والقضية باتت على قاب قوسين أو أدنى، خطب في أصحابه وطلب منهم أن ينصرفوا لأنّ القوم لا يريدون غيره ، وهنا نعرف كلمة هؤلاء الجماعة الذين صارحهم في البداية والنهاية لنعرف ان نهايتهم كانت كبدايتهم وأنّ مواقفهم لم تتغير وهم يشعرون انهم في خطر ولن تتغير ابدا . . . مع انهم شعروا بالخطر القريب منهم ، كل ذلك لان هؤلاء ساروا وهم يعرفون بداية الطريق الواضحة ونهايتها الأوضح . . .

لنتطلع ونحن نواكب كربلاء ايضا نواجه الحسين (ع) يقف عدة مرات والمعركة محتدمة ليخطب في كربلاء ، يخطب ليعرِّفهم بنفسه ، ليعرِّفهم بدعوته . . . ليعرِّفهم بمساوىء الحكم الذي يتعاطفون معه . . . لماذا وقف الحسين (ع) كل هذه المواقف ، هو يعرف مقدمًا ان القوم جاؤوا لقتاله وأنّ القوم جاؤوا مصحوبين بالاطماع والوعود التي قدمها لهم الامويون من اجل قتاله . . . لماذا كل ذلك ايضا ؟

لان الحسين (ع) صاحب رسالة وكان (ع) يفكِّر انه من الممكن ان يكون مع هؤلاء القوم بعض الاشخاص البسطاء ، بعض الناس المخدوعين ، بعض الاشخاص الذين لم يملكوا وضوح الرؤية . . . وكان الحسين(ع) يفكر باعدائه ، تفكيرا يشعر معه بالعطف على مصيرهم ومستقبلهم ، ومن هنا كان يريد أن يجرِّب ولو تجربةً واحدةً ولو على أساس احتمال واحد في المئة ، يجرِّب لأن يهدي الانسان الذي يمكن

ان يهتدي ولو على هذا الاساس لان صاحب الرسالة لا يملّ ولا ييأس وبالتالي لا يسرع الى الحكم على الناس وتركهم لمجرد أيّ موقف من المواقف المضادة تجاهه . . .

وعلى هذا الاساس كان الامام الحسين (ع) يقف المرة تلو الاخرى ليوضّح للناس الحقيقة ، ليعرفهم كل شيء : ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة ، وهذا موقف نحتاجه ونحن نعايش الصراع في كل مجالات الصراع ، نحتاجه لنتعامل على اساسه مع كل الناس الذين نختلط بهم ونتصارع معهم في الحياة . ربما نجد ان هناك كثيرا من الناس ـ نجدهم ـ بفعل ممارستهم الكثيرة قد ارتشوا ، فلا يمكن ـ كما يقول البعض ـ ان يسيروا في طريق الايمان ولا يمكن ان يتعاطفوا مع الحق . . . ولكننا نتعلم من موقف الحسين (ع) المستمد من تعاليم القرآن الكريم الذي يقول الله سبحانه وتعالى فيه : ﴿ **واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون** ﴾ ، لما تعظون قوما الله مهلهكم يعني ان قضيتهم منتهية تماما او معذبهم عذابا شديدا ، قالوا معذرة الى ربكم حتى نقدم الى الله وقد بلّغنا الرسالة في كل مجالاتها ، ثم لتكن القضية على أمل واحدٍ في المئة لعلهم يتقون ، على أن تكون القضية في مصلحته .

وعلى هذا الاساس ، ايها الاخوة : نتعلم من هذا المفهوم القرآني الذي مارسه الحسين (ع) ممارسة عملية في كربلاء ؛ نتعلم : أن لا يكون موقفنا مع الذين نختلف معهم في الرأي اليائس بل نبقى نحمل الشعور بالرحمة وبأن في كلّ إنسان بريقاً من الحق وبأنَّ في قلب كل إنسان صدقاً وشيئاً من الخير وعلينا أن نلاحق هذا الشيء . . . أن نزيل عنه الركام فلعلنا نستطيع أن نهديه الى الحق ونجلبه للطريق . .

ونـأخذ هـذه العبرة من مـوقف الحسين (ع) في كربـلاء ـ الموقف ـ الذي لا يماثلة موقف من المواقف التي نبتلى فيهـا نحن ، لان الحسين (ع) جـرَّب في مجـال لا يشعـر الانسـان فيـه بـأنّ هنـاك أيّـةَ فـائـدةٍ من التجرِبة . . . تصور ان انسانا يقاتلك ويقف ليقتلك . . . وانت تفكـر فيه هل من الممكن أن يهتدي هذا الانسان لكلمة ؟ ! . .

ذلك كان موقف الامام الحسين (ع) . . .

ان اولئك الناس وقفوا ليقاتلوه وسيوفهم مشهورة عليه ، وكان فكـره منشغلا بـ : لماذا يذهب هؤلاء الناس الى النار ؟ ! فلعلها كلمة ويهتدون ولعل كلمةً يمكن أن تجرهم الى الطريق الصحيح السوي . . . ؟

لـو تعاملنـا مع من نختلط بهم ونتصـارع معهم ـ لو تعـاملنـا معهم ـ بهذه الروح لاستطعنا ان نتحرك في كل حياتنا على أسـاسٍ من المحبة الرسالية لا على أساسٍ من الحقـد ، لان الحقد مهمـاكان ، حتى وأنت تحارب عدوك ، لا يستطيع أن يمنحك اي شيء في الحياة .

هذا احد المواقف الرسالية التي نستـطيع ان نستفيـدها من مـواقف كربلاء ، أمّا الموقف الاخـر الذي نتمثله من كـربلاء فهـو الموقف الـذي تحمله لنا كربلاء من خلال قضية الصراع الانسـاني بين الحق والباطـل ، ففي كربلاء نموذجان صـراع الحق والباطل وصراع الخير والشر والصراع بين المنفعة والرسـالة ، هـذان النموذجـان تمثلا في مـوقفين كلنا نستمـع اليهما ولكننا لا نحاول ان نتمثلهما فيمـا نتمثل من مـواقف تتجسد عنـدنا في الحياة . . .

هناك موقف عمر بن سعد وموقف الحر بن يزيد الـرياحي ، ـ كـانا في موقع واحد : الحر انسـان يملك قوة العشيـرة وقوة المـركز وكـان في الموقع الأموي ، وانطلق ، وانـــه كان أول انسـان ينطلق من أجـل تأخيـر الحسين (ع) ومن أجــل أن يقف بينـه وبين الانــطلاق في مهمتــه ودوره

الرسالي . وعمر بن سعد كان ايضا في الموقع الاموي وكان ايضا انسانا له مكانته في المجتمع لان اباه سعد بن ابي وقاص كان من الاشخاص الذين لهم مكانتهم بين المسلمين ، وكانت مكانة هذا الانسان امتدادا لمكانة ابيه ، ثم كانت حرفة هذا الانسان كحرفة الحر ايضا ، فكما كان الحر قائدا من الجيش هو كان قائدا للجيش كله ، وتحرك الاثنان وكان كل منهما يحمل في قلبه الاحترام والتقدير لاهل البيت ، فالحر كان يحمل التقدير والاحترام للحسين ولاهل البيت (ع) نعرف ذلك من خلال موقفه عندما تجادل مع الحسين (ع) في الكلام وقال له الحسين (ع) : ثكلتك امك فسكت الحر ولم يجب على ذلك بشيء ، فقد كان يحترم الحسين ويعرف مكانة أمّه ، وفي الوقت نفسه عندما اراد الحسين (ع) أن يصلي فانه صلى مع الحسين (ع) جماعة وهو في الموقع المقابل للحسين .

وكان عمر بن سعد يحترم الحسين (ع) ويعظمه ويقدره ايضا .

إذاً : كانا معا في نفس الموقع ، في نفس المركز ، في نفس التعاطف مع الحسين (ع) ، في نفس الطموح للمستقبل . الحُرّ انسان طامح للمستقبل وعمر كذلك وكل منهما يريد أن يتفادى المعركة ، كان عمر بن سعد يجرِّب بكل ما أمكنه من التجارب والوسائل لتفادي المعركة مع الحسين (ع) والحر كان يفكر بذلك أيضاً . . كانا طامحين للمستقبل ويريدان أن يربحاه بدون خسارة في مواقف مضادة للحسين (ع) ، وفيما تذكره السيرة الحسينية عن عمر بن سعد جرَّب الكثير في هذا السبيل ، سبيل تفادي المعركة ولكن عبيد الله بن زياد لم يقبل .

ووقف الاثنان أمام التجربة ، عمر بن سعد حاول ان يحل القضية بطريقة سِلميّة ، بعث له عبيد الله بن زياد : إما أن تعمل بأمرنا وإمّا أن تعتزل ، وقف أمام هذا الخيار المرير والرسول يقول له حدد موقفك ،

وعاش الصراع كأعنف ما يكون الصراع ويقال أنه تلفظ بأبيات يجسد فيها هذه الحيرة :

أأترك ملك الريّ والري منيتي ام ارجع مأثوماً بقتل حسين . . الخ

فكان يعيش الصراع في نفسه ، الصراع بين طموحه وبين آخرته ، وبين ما يعتقده وبين ما يريد ان يعيش له . . . والرسول يلاحقه حدد موقفك !!!

عند ذلك حدّد موقفه بأن يسير في خط الانحراف الى النهاية ليكون له ملك الري وبعد ذلك يتوب بعد سنة او سنتين فيحصل على الدنيا والاخرة ، هكذا كان يفكر . . . وسقط أمام تجربة المطامع وأمام تجربة المنافع المستقبلية او الطموح المنحرف .

أمّا الحر فكان يتحرك على أساس أن تنتهي المعركة إلى ما انتهت اليه وجاء ليتأكد وقال لعمر بن سعد : أمقاتلُ أنت هذا الرجل ؟ قال : اي والله ، قتالا أهونه ان تسقط الرؤوس وتقطع الايدي . فسأله سؤالا ثانيا : اليس هناك مجال لحل سلمي للقضية ؟ وكان جواب عمر : ان عبيد الله بن زياد لا يرضى بذلك . . !

عند هذه اللحظة بدأ الصراع العنيف يعتمل في نفس هذا الانسان كأعنف ما يكون لانه شعر ان القضية لا تحتمل التأخير لان المعركة على الابواب ووقف هذا الانسان يصارع أهواءه يعيش لحظات حاسمة إنّها الصراع بين الحق والباطل ، بين المنفعة وبين الأريحية ، بين مستقبل الدنيا ومستقبل الاخرة ، وتحوّل الصراع من صراع نفسي الى صراع يؤثّر على جنّته التي يبغي ، فأصبح يرتجف ويرتعد كما ترتعد السعفة وحدد موقفه بعد ذلك ونجح في الامتحان عندما قال للمهاجر ابن اوس وقد قال له : ويحك لماذا ترتعد والله لو قيل لي من اشجع اهل الكوفة لما عدوتُك ، قال : إني أخيرٌ نفسي بين الجنة والنار فوالله لا

أختـار على الجنة شيئـا ولو قـطعت وأحـرقت . . . ونجـح في الامتحـان وأعطاه الحسين (ع) الوسام الذي يحدد لنا الحسين (ع) فيه معنى الحرية « انت الحر كما سمتك امك حر في الدنيا وسعيد في الاخرة » ليحدد لنـا الحسين (ع) ان الحرية تأتي من الخـارج ، إنمـا الحـريـة تنـطلق من داخـل الانسان عنـدما يستـطيع الانسـان ان يقول لنفسـه لا ، وأنْ يقـول لنفسـه نعم ، حيث تفـرض عليـه الـرسـالـة أن يقـول لا أو نعم تلك هي الحـرية في مفهـوم الاسلام . . ان تكـون حـرّاً في داخـل نفسـك تملك المـوقف في داخل نفسـك قبل ان تكـون حرا من الخـارج عندمـا تعطى الحرية من قِبَلِ الآخرين الذين يستطيعون أن يسلبوكها ساعة يشاؤون .

هذان الموقفان ايها الاخوة عندمـا نتعرف اليهمـا ونحن نستمع الى المقـرىء وهو يتلو علينـا سيـرة عـاشـوراء ، هـذان المـوقفـان يجب ان نلاحقهما في حياتنا وان لا نعتبرهما مـوقفين من المواقف التـاريخية التي تنقل الينا في التاريخ . . . وانمـا نعتبرهـا من المواقف الحيـاتية التي قـد تتجسد في حياة كل منا . . .

من هنا ، علينا أن نـظل نلاحق انفسنـا نحن الذين نسيـر على خط الايمان لاننا لم نقترب من المحرقـة ولم نقع في التجـربة . إنّ علينـا أن نفهم أنه لا يكفي في الانسان أن يكون مؤمنا في فترةٍ من فترات حيـاته ، ولا يكفي ان يكـون الانســان مؤمنـا وهـو بعيـد عن التجـربـة وعن الاغـواء . . وانمـا على الانســان ان يشعـر دائمـا من خـلال هـذين النموذجين انه من الممكن عند اقترابـه من التجربـة ان يسقط في الصراع ويسقط في الامتحان . . .

لـذا فعلى كل منـا أن يعمِّق إيمانـه ويعمِّق تجربتـه ويـظل يـلاحق ايمانه بالتربية والعطاء لكي يستطيع أن يمنح ايمانه قوة ليتمكن بواسطتهـا

من أن يثبت امام التجربة لينجح في امتحان الايمان في الدنيا قبل ان يواجه مسؤولية الامتحان في الاخرة .

هذا موقف من المواقف العاشورائية التي يجب ان نعيها في حياتنا وفيما نتمثل من نماذج بشرية تعيش معنا .

والموقف الاخر الذي يمكننا ان نتمثله في عاشوراء هو الروحية التي كانت تعيش داخل الحسين (ع) وهو يعاني ما يعاني ويلاقي ما يلاقي ، وهو يقف امام المآسي وامام هذه الاجواء . . ما هي الفكرة التي كانت تتحكم بالحسين (ع) او ما هو الشعور الذي كان يغمر قلب الحسين (ع) وصدره ، نستوحي كل ذلك من كلمةٍ قالها وهي مفتاح شخصيته ، قالها وهو يحتضن ولده الرضيع الذي ذبح من الوريد الى الوريد وهو على يده عندما جاء يطلب من القوم شربة من ماء . . . عندما واجه هذا الموقف الذي يعتبر قمةً في المأساة التي يعيشها أب يقف وولده ذبيح على يديه ، ماذا قال الحسين (ع) ؟ هل تأسف ؟ . . هل تأوه ؟ هل تألم . . ؟

ان الكلمة التي ينقلها لنا تاريخ عاشوراء ان الحسين (ع) قال « هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله »

ذلك هو مفتاح شخصية الحسين (ع) . ان الحسين (ع) عندما انطلق ، انطلق من اجل أنَّ الله سبحانه وتعالى يريد منه ان ينطلق ، ويشعر انه عندما يجاهد وعندما يقاتل وعندما يعاني ويتحمل كل ما يتحمل في سبيل الله ، ان لا يشعر بالالم ، وانما يشعر بالبهجة والرضا . . . لماذا ؟ . . لان الله يراه وهو يضحي ولان الله يراه وهو يجاهد ويراه وهو يقاتل . . . هذا الشعور العميق بالله الذي يهز كل وجدان الحسين (ع) وكل ضميره ، هذا الشعور بالله الذي يجعل الحسين (ع) انسانا لا يشعر باي مجال للمأساة لتنفجر عاطفته في اي نوع من

انواع الكلام الحزين . انه موقف نحتاجه في حياتنا العملية وفي مجالنا الرسالي الذي نتحرك ضمنه وعندما نجاهد في سبيل الله نتحمل الاضطهاد والعذاب والالام وعندما نقف مواقف الخطر وعندما نسير في اي مجال من المجالات التي تفرض علينا ان نضحي بالغالي وبالنفيس ، ان نقف لنقول : هون ما نزل بي انه بعين الله . ان تشعر ان الله يراك ويراقبك ويشاهدك ويلاحق خطواتك وانك في الطريق الصحيح والله يراك في الطريق الصحيح . . . ان تعيش هذا الشعور . . . عند ذلك تزداد قوة وتزداد ايمانا وتزداد حياة . نحتاج ان نتعلم من الحسين (ع) هذه الروح التي نَكتسبها بالمعاناة والتربية والتفكر بالله سبحانه وتعالى ونتعلمها بالشعور بان هدفك في الحياة رضى الله ولا شيء غيره ، عند ذلك تستطيع ان تسير في كل مراحل حياتك على الخط المستقيم ولا تنحرف في اي مجال لان الله يراك ولانه لا يريد منك ان تنحرف في قليل او في كثير .

هذه بعض المواقف التي نستطيع ان نقف امامها لنفكر فيها في اجواء كربلاء .

وعندما نريد ان ننطلق مع عاشوراء ، ننطلق من اجل ان تعطينا تجربة جديدة ومن أجل أن تصحِّح لنا موقفا ومن اجل ان تعدِّل لنا طريقنا . . . في كل مجال من مجالات الحياة ، هذه ناحية . والناحية الاخرى التي نريد ان نعالجها ونحن نقف مع الذكرى ، هي ما يتساءل فيه الناس او ما يعتبره الكثير منهم حقيقة من الحقائق التي لا مجال للجدال فيها ، وهي ان قضية عاشوراء هي قضية عسكرية فقط او حربية فقط وان علينا ان نتمثل عاشوراء في كل زمان ومكان . فكثيرون يقولون في كل وقت ان الحسين ثار وكانت ثورته انتحارية وعلينا نحن ايضا ان نسير كما سار الحسين ، صحيح هذا . . . كمبدأ ، ان نأخذ من الحسين (ع) شرعيّة الثورة وشرعيّة الانطلاق وشرعيّة التضحية وأنْ نعتبر أنَّ التضحية

في سبيـل الله وفي سبيل الاسـلام وفي سبيـل الـدين ، أمرٌ لا يبتعـدعن الشرعية ولكن ونحن نريد ان نستعيـد عاشـوراء في كل وقت ، علينـا أن نفهم ان عاشوراء كانت وليدة ظروف معينة . ان عاشوراء لم تكن مجـرد ثوّرة مفصولة عن ظروفهـا ومفصولـة عن طبيعة الاوضاع التي كانت تحيط بها . ولهذا فنحن عندما نـريد ان نفكـر في السير على درب عـاشوراء لا نعتقـد ان الفرصـة الوحيـدة لنا للسيـر على درب عاشـوراء في ان نتمثـل عاشوراء تماما على الطبيعة كخطوة حربية انتحارية في كل وقت وان علينا ان نـدرس ظروف عـاشـوراء ونـدرس ظـروف المـرحلة التي تنسجم مـع ظروف عاشوراء او لا تنسجم . والا فلو كانت عاشوراء خطة نهائيـة ، او كـانت عـاشـوراء مقيـاسـا للحكم على كـل شخص يـريـد ان يتحـرك او يعمل ، فكيف نفسر موقف أئمة اهل البيت (ع) الباقين الذين لم ينطلقوا في اسلوب عاشوراء وانما انطلقـوا في الدعـاية الى الاسـلام وفي العمل باساليب جديدة ومواقف جديدة فهل نعتبر ان ائمة اهل البيت انحرفوا عن خط عاشوراء الوحيد او نعتبـر أن لكل امـام دوراً يسير فيـه في حياته من اجل الاسلام على اسـاس الظروف المـوضوعيـة التي تجعل من التحـرك شيئـا يحقق الهـدف أو شيئــا لا يحقق الهـدف . اذن نحن لا نعتبــر ان عاشوراء في كل ما تمثله من احداث تمثل الاسلوب الـوحيد الـذي يجب ان يقتدى وينطلق به في كل مجالات الحياة وانمـا نعتبر ان عـاشوراء هي احـدى النماذج التي يـطرحهـا الاسـلام للتحـرك عنـدمـا تتهيـأ الـظروف الموضوعية في هذا المجال . هذا شيء يجب ان نفهمه .

الدرس الذي نأخذه من عاشوراء ، الدرس الخالد الذي ينطلق مع كـل زمان وفي كـل مكان : ان على الانسـان عندمـا يريـد أن يعمـل في سبيـل الله سـواء على المستـوى العسكـري او على اي من المستـويـات الاخـرى ان عليه ان لا يعتبـر الخطر او لا يعتبـر الخوف مبـررا للتقـاعس ومبررا للوقوف وانمـا عليه ان يعمـل في سبيل الله في كـل وقت وفي كل

مرحلة سواء كان الخطر الذي يواجهه خطراً عسكرياً في بعض الحالات او خطر اجتماعيا أو اي نوع من انواع الخطر ، علينا ان نأخذ من عاشوراء روحها في كل زمان ومكان أمّا شكل عاشوراء فنستطيع ان نأخذه اذا توفرت الظروف الموضوعية لذلك على هذا الاساس .

أمّا كيف نريد تخليد عاشوراء في حياتنا ، فبمحاولتنا لتجديد هذه الاساليب التي تعارفنا عليها ، ولا اقصد بتجديد هذه الاساليب ان نترك كل هذه الاساليب ولكن ان نفهم ان عاشوراء كما قلنا ليست للدموع وليست للبكاء وانما هي للاسلام وللرسالة وللحياة . لذا فربما كانت بعض الممارسات التي يمارسها الكثيرون من الناس سواء في العراق او في ايران او في لبنان ، هذه الاساليب من جرح الرأس بالسيف او ضرب الظهر بالسلاسل او ما اشبه ذلك ، هذه الممارسات ربما كانت لها ظروفها الموضوعية في التاريخ الماضي ، وربما كانت لها فوائدها ، ولكننا نتفق جميعا على اساس ان هذه الاساليب لا تستطيع ان تقدم قضية عاشوراء في قليل او كثير بل ربما تخلق بعض ردود الفعل عندما تنطلق الصورة التي اثيرت في هذا المجال لتبعث الاشمئزاز في بعض النفوس وتبعث كثيرا من الانفعالات التي هي ليست في مصلحة القضية . اذا كان هنالك بعض الناس يقولون اننا نريد ان نجرح رؤوسنا بالسيوف او ان نضرب ظهورنا بالسلاسل لنواسي الحسين (ع) في جراحه ونواسيه في آلامه نقول لهم انك عندما تريد ان تواسي انسانا في مصابه ، انما تواسيه اذا كان هذا الإنسان يعيش مشكلته الشخصية اما اذا كان هذا الانسان كالحسين (ع) ، قد وقف وتحمّل من اجل الرسالة ، جرح وهو يجاهد في سبيل الله وتألّم وهو يجاهد في سبيل الله وتريد انت ان تواسي الحسين (ع) إن مجال المواساة ليس أن تقف وقفة استعراضية لتنال رضى الجمهور لتضرب رأسك او ظهرك ، وتريد أن تواسي الحسين (ع) ، فتألّم كما تألم وتحمّل وانت تجاهد في سبيل الله ، عندما تعمل

في سبيل الله وتجرح فهذه مواساة عندما تدعو للإسلام وتتألم فهذه مواساة ، ان تواسي الحسين (ع) فذلك بان تتألم في الموقع الذي تألم فيه وان تجرح في الموقع الذي جرح فيه وان تقتل في الطريق الذي قتل عليه ، لا ان تقتل لمجرد القتل او تجرح لمجرد الجرح . ان الحسين يريد اشخاصا لقضيته ، وهذه الممارسات لا تفيد القضية كما قلنا في قليل ولا في كثير ، اذن دورنا ايها الاخوة ونحن نريد ان نجعل قضية كربلاء خالدة ما خلد الاسلام في الحياة لتعطي الاسلام القوة في كل مجال من المجالات أن نقدم عاشوراء للناس في صورتها الاسلامية الحقيقية ، سواء في المحاضرات او الندوات ولا مانع عندنا من ان تمثل تمثيلا فنيا صحيحا يعتمد المواقف الاساسية بحيث ان الناس عندما ينظرون الرواية التي تمثل يعرفون المعاني التي تنطلق منها عاشوراء ، لا مجرد رواية تمثل لنعرف فيها البطولات فقط ،ولكن لنعرف المعاني التي تخلق هذه البطولات .

على كل حال ، ان في امكاننا ان ننطلق في هذه المجالس مجالس عاشوراء ، نحييها ونؤيدها ونجعلها تستمر ولكن شرط ان تتغير العقلية التي تعتبر نجاح القارىء بمقدار ما يستطيع ان ينوح اكثر وبمقدار ما يستطيع ان يبكي اكثر ، علينا ان ننطلق من مجالسنا ليشعر هؤلاء القراء بان الناس تتعاطف معهم عندما يتستطيعون ان يجسدوا عاشوراء بالكلمة ويجسدون المآسي من خلال الرسالة ومن خلال ما تمثله عاشوراء .

علينا ان نظل نفكر مع عاشوراء باساليب جديدة وفي طرق جديدة ، لتستطيع عاشوراء ان تربي كل جيل ، تربينا وتربي الاجيال التي بعدنا لاننا اذا لم نطور عاشوراء بانفسنا فسوف يطورها الاخرون ، البعيدون عن الرسالة والبعيدون عن الاسلام ، فعلينا نحن ان نتولى عملية التطوير قبل ان ينحرف التطور الى غير وجهتها والى غير رسالتها .

والحمد لله رب العالمين

مِن أجل عَاشوراء إسْلاَمية

في مواجهتنا لذكرى عاشوراء ـ في كل عام ـ يبرز الدور التقليدي للممارسة العملية التي يقوم بها المؤمنون تعبيراً عن المشاعر العميقة للولاء والمحبة لاهل البيت (ع) . . وتظل الاشكال المتنوعة التقليدية التي تعيش في الاطار الشعبي الساذج تفرض نفسها على ساحة الذكرى بين تهليل المهللين ورفض الرافضين وتحفظ المتحفظين . . وتختلط الاصوات في كل عام امام ذلك كله . . ثم تهدأ . . لتستقبل قضايا جديدة ، وصراعات جديدة . . ثم . . لا جديد على الساحة . .

حتى الدراسات التحليلية للثورة الحسينية . . والخطابات الطويلة او القصيرة التي تقدم في نوادي الذكرى ومحافلها . . تبقى في اطارها المألوف مع تغيير في الاسلوب تارة ، أو في درجة الانفعال والحماس اخرى . .

ثم . . لا جديد على الساحة . .

وقد يبدو هذا طبيعيا في قضيةٍ ما زالت الاقلام والافكار تعالجها وتحللها منذ مئات السنين . . ولكن . .

هل يقدِّر لمثل هذه الذكريات ان تتحرك في اطارها التاريخي الذي عاشت فيه ثم لا تثير في الحاضر والمستقبل الا بعض الدموع ، وبعض الحسرات . . او بعض الحماس والانفعال . .

اننا نشعر ان القيمة الحقيقيّة للذكرى سواء في طبيعتها الثورية ، او في طبيعتها المأساوية . . لا تكمن فيما تعبر عنه من الكلمات الرائعة التي يطلقها الخطباء من تأكيد لعظمة الامام الحسين من خلال عاشوراء ، او تعظيم لعاشوراء في تضحياتها الانسانية واحداثها العظيمة . . او تعبير عن انفعالنا العميق بالمأساة في قصة الذكرى . .

ان ذلك كله لا يطرح امامنا أية قضية حياتية حاسمة بل يظل يقدم لنا التصور الخاشع لعظمة الشخصية ، في شخصية الامام الحسين . . وعظمة الثورة في احداثها واهدافها . . من دون تحديد للدور الكبير الذي تقوم به كل هذه المعطيات في حياتنا الحاضرة والمستقبلية . .

وهذا هو الذي نريد ان نثير التفكير فيه في حديثنا هذا .

* * *

[١]

اننا نريد ان نواجه عدة علامات استفهام حول الموضوع . . .

ما هو دورنا المتحرك في حركة الحياة ، كمسلمين بصورة عامة . . او كمسلمين نرتبط بالاسلام من خلال المفهوم الحق الذي يمثله اهل البيت عليهم السلام . .

١ ـ هل هو الدور السلبي الذي يواجه الحياة بعقلية المتفرج الذي يتابع احداث الماضي واحداث الحاضر . . في روحية الانسان الذي يثيره الفضول الذاتي نحو المعرفة من اجل ارضاء غريزة حب

الاستطلاع .. ثم لا يكون انطلاقه نحو المستقبل الا على اساس استشراف الغيب واستطلاعه ..

.. ومن هذا المنطلق .. لا يكون للاسلام دور في حركة الحياة .. الا في النطاق الفردي الذي يتمثل بالممارسة الفردية للعبادات ، او الالتزام الشخصي ببعض الطاعات وببعض الاخلاقيات ..

٢ ـ او هو الدور الايجابي الذي يحاول ان يطرح الاسلام كعقيدة شاملة وشريعة كاملة .. للحياة الممتدة .. ولكن ليتحرك الاسلام في المجال الفكري كدين يواجه التحديات الفكرية التي تنطلق من خلال الاديان والتيارات الاخرى بالفكرة تصارع الفكرة .. والشريعة تواجه الشريعة ، والمفاهيم .. تتحدى المفاهيم .. لتكون النتيجة مزيدا من الابحاث والدراسات العميقة والطويلة التي تحلل التاريخ وتحاكمه بكل شخصياته في انحرافها واستقامتها .. وبكل احداثه في خصائصها ومعطياتها .. او تحاكم الواقع الذي يمثل التيارات الاخرى لاكتشاف ما فيه من سلبيات وانحرافات عن اهداف الحياة ومصلحة الانسان ..

.. وتبقى القضية في نطاق الابحاث والدراسات .. ويبقى الدور الاسلامي للانسان المسلم في الحياة دوراً علميا ثقافيا يزود الفكر بالعلم والروح بالايمان .. ثم لا يتحرك خطوة واحدة في اتجاه حركة التغيير في الحياة على اساس الاسلام كما يتحرك الاخرون في عملية التغيير على اساس ما يطرحون من حلول لمشاكل الحياة في تصورهم لما يجب ان تكون عليه الحياة ..

وبهذا يكون الصراع الذي نخوضه سلبيا .. يركز على سلبيات الآخرين .. من دون التقدم خطوة واحدة في اتجاه الايجابيات الاسلامية في حركة الواقع .. الأمر الذي يوحي للآخرين وللمسلمين بالاتجاه

المثالي للاسلام .. في مفاهيمه وشريعته .. نظرا للصعوبات التي تعترض التطبيق .. وللموقف الذي يدفع الاسلام اليه اتباعه في التحذير من أي خطوة تثير الخطورة في الموقف ، او تهدد سلامة الفرد في الحياة .. فلا يبقى للاسلام مجال الا في آخر الزمان ..

٣ - او هو الدور الايجابي المتحرك الفاعل الذي لا يعيش الازدواجية الحائرة القلقة بين ما يؤمن به وبين ما يعمل له ..

فاذا كان الاسلام هو النظام الكامل الشامل الذي يتسع لكل حاجات الحياة ، ويلتفت الى كل مشاكلها وتطلعاتها بحلول واقعية عملية .. على اساس مفهومه وشريعته .. فلماذا لا نتحرك من أجل تخطيط الطريق الى اهدافه .. ودفع الحياة بعيدا الى المستوى الذي ترتفع فيه اليه .. والعمل على اثارة التطبيق العملي في اطار الحديث عن النظرية وبذلك يتحول الصراع من اجل الفكر الذي يبقى فكرا .. وتتحول دراسة التاريخ في حياتنا الى دراسة يتمثل فيها الدور المرحلي الذي يعتبر الحاضر امتدادا له .. والى قضايا ووقائع يتمثل فيها التطبيق العملي الحي للاسلام حيث نضع ايدينا فيه على الاسس الشرعية لكل الحركات الجهادية والاصلاحية من مشاريع التحرك في حركة الواقع المعاصرة ، والمستقبلية فنواجه التاريخ بعقلية عملية لا انفعالية ، .. ولا فكرية مجردة .. الأمر الذي يجعلنا لا نغرق في الماضي عندما نثير الماضي .. بل نتحرك من خلاله في الحاضر .. على اساس اكتشاف العناصر الباقية الثابتة في حركاته .. بعيداً عن كل فواصل الزمن .. ككل المبادىء التي تنطلق في زمان معين .. ولكن لا لتتحدد به .. بل لتتسع من خلاله في كل ما تتسع له قضية الحقيقة في الحياة .

* * *

مـا هو دورنـا امام هـذه النماذج من الادوار التي تحكم الحيـاة . . لنحدد من خلال ذلك دور عاشوراء في حركة الواقع المعاصرة . .

* * *

ويطرح السؤال نفسه من جديد . . على اساس علامـات الاستفهام السابقة . .

ما هي علاقتنا بالشخصيات المقدسة العظيمة في هذا التاريخ . . . وما هو دورهم في حياتنا عندما نبحث عن الدور الحياتي لكـل ما نعيشـه ونؤمن به وننتمي اليه ؟ .

هل هي العلاقة الذاتية التي تتمثل في الروابط العاطفيـة والروحيـة التي يشعر معها كل شخص بالارتباط الذاتي بالاخر ؟ .

او هي العـلاقة الـرساليـة التي تعتبر الارتبـاط بـالـذات من خـلال الـرسالـة . . فلا تمثـل العظمـة الفرديـة على أساس الخصـائص الذاتيـة للشخص أي شيء لدينا من ناحية مبـدئية الا بقـدر ما تكـون منطلقـة من عظمة الـرسالـة . . او متحركـة في طريق خـدمة الـرسالـة وبذلـك تكون الرسالة هي الاساس في كل ما نحمل من عواطف ، او فيما نرتبط به من روابط وانتماءات . .

ويختلف الموقف . . حسب اختلاف النـظرة الى العلاقـة . . ففي النـظرة الفرديـة ، نلتقي بالـروحيـة التي نعمـل من خـلالهـا على أسـاس الاهتمام بكل العناصر الذاتية لهذه الشخصيات وبإثبات جـوانب العظمـة فيها بعيدا عن كل المعطيات الرسالية . . . وربما يصل الامر بنا ـ بـوحي هذه النظرة ـ الى تجاوز الرسالة في كثيـر مما نمنحـه لهؤلاء من خصائص الـذات . . وقد لا نبتعـد ـ في هذا المجـال ـ عن الاحاديث الـواردة الينا حول عظمة بعض شخصيات التـاريخ الاسـلامي . . على حساب عـظمة الرسول . . اوقدسية الرسالة . . مما لا نريد إثارته في هذا الحديث . .

امَّا النظرة الرساليـة . . فاننـا نلتقي فيها بـالروحيـة التي تعمل على اغناء الرسالة في صنعها وترتيبها ، او انطلقت عظمتها من خلال عطـائها الحي المبارك لقضية الرسـالة . . . وبـذلك لا تقتـرب الاحاديث الى اي جـانب لا يتصل بـالرسـالة ، او يبتعـد عن خط الرسـالة . . او يقفـز فوق قواعد الرسالة ليتجاوزها لحساب تقديس الذات على حساب الرسـالة . . بل تكون الرسالة هي المقياس للعظمة وليس العكس . . فنحن لا نشعـر بعظمة الاسـلام من خلال انتمـاء بعض الشخصيات الكبيـرة اليه . . بـل نشعر بعظمة هؤلاء من خلال انتمـائهم الى الاسلام ، او ارتبـاطهم بمبادىء الاسلام واخلاقه وتعاليمه . .

فـأي العـلاقتين نختـار ، وأيهـا اقـرب الى الـخط الاســلامي المستقيم ، لنختار موقفنا من الذكرى على هذا الاساس . .

إننـا نجد ـ امـام علامـات الاستفهام الاولى ـ في الـدور الايجـابي الفاعل المتحرك . . انسجاماً مع الفكرة الاساسية التي تعتبر الاسلام دين الحيـاة ، كما تعتبـر الجهاد في سبيله والعمـل من اجله فريضـة اسلاميـة مستمرة . . ولسنا نفهم ـ من خـلال قناعـات فقهية خـاصة ـ كيف تكـون التضحية والآلام والمصاعب التي يدعو اليها الاسلام اتباعه . . محـدودةً بزمان معين . . ما دامت قضية الاسـلام لا تتحدد بحـدود فترة معينـة . . وما دامت التحديات التي فرضت الجهاد والتضحية في العصـر الاسلامي الاول . . تتحرك في حياتنا الحاضرة والمستقبلية بشكل أعنف ، فاذا كان العمـل الاسـلامي في المـاضي من اجـل الحفـاظ على وجـود الاسـلام وتقدمه فهل نستطيع القول إن المراحل المتأخرة . . تترك مصير الاسـلام في مهب الرياح وتحت رحمة المصادفات . .

وهناك نقطة أسـاسية في هـذا المجال وهي : ان الحيـاة لا تتحمل الفراغ في مجالها العملي فاذا لم نرد او لم نحاول دفع الحلول الاسلامية

للمشاكل العامة للحياة في اتجاه التطبيق ، فلماذا نقف أمام الآخرين الذين يريدون ان يحلوا مشاكل الحياة على طريقتهم الخاصة . .

ان السلبية لا تقدم حلا . . ولكنها قد تؤخر تطبيق الحلول . . فاذا لم نرد السير مع الايجابية . . فلماذا هذه السلبية التي توجه الحياة نحو الضياع ؟ .

ان هؤلاء الذين يطرحون الاسلام كحل شامل للحياة . . ويجهدون أنفسهم في كتابة المزيد من الابحاث والدراسات حول مواقف الاسلام من المبادىء الاخرى ثم يحاربون العمل الاسلامي ولا يقدمون بديلا او صيغة أخرى معقولة لا يخلصون للاسلام ، بل يحاولون تبرير الواقع الآمن المطمئن الذي يعيشون فيه بعيدا عن كل خوف او خطر . . ولسنا في سبيل بحث القضية ولكننا . . نريد ان نضع الفكرة في اطارها الطبيعي الواضح .

امَّا في علامات الاستفهام الاخرى . . فاننا نرى العلاقة الرسالية أساساً لعلاقة المسلمين بأي شيء في الحياة . . فليست المحبة موجهة الى الذات بل هي موجهة الى الخط من خلال الذات . ولهذا طرح ائمة اهل البيت امام شيعتهم شعار الولاية بدلا من المحبة . . لان الولاية تمثل الالتزام بالخط وبالقيادة التي تقود المسيرة . . بينما لا تمثل المحبة الا العاطفة الساذجة التي تعيش في اطار الانفعال بالذات . . من خلال العوامل المؤثرة في ولادة الانفعال .

وتأتي ذكرى عاشوراء . . لتعيش في حياتنا ثورةً اسلامية على اساس الخط الاسلامي المستقيم . . ومثلا حياً للشخصيات الاسلامية الرائدة التي تجسد النموذج الاكمل للانسان المسلم الذي يعيش الهدف الكبير في حياته من خلال اقواله واعماله . . وهو الحصول على رضا الله . . ولا شيء غير رضاه .

وعلى ضوء هذا . . فقد يكون من الاخلاص لهذه النظرة ان تثير في مواقف عاشوراء الوجه الاسلامي للثورة الحسينية . . في صفائه ونقائه . . لينطلق التصور الاسلامي مع التصور الروحي والعاطفي . . جنبا الى جنب ، حيث تتكامل صورة الشخصية المسلمة العملية لقضية الثورة ، وتتكامل صورة الشعارات الاسلامية في اطار التجسيد الحي المتمثل في السيرة الرائعة للامام الحسين واصحابه وبذلك يظل الهاجس الاسلامي يلاحق كل استحضار للتاريخ . . وكل احتفال به .

وقد يكون من الاخلاص لهذه النظرة . . من زاوية اخرى . . ان نجعل للذكرى في كل عام دورا في كل مرحلة من مراحل العمل ، سواء في ذلك الجانب الثقافي او الاجتماعي او السياسي بحيث لا تكون الذكرى مجرد مناسبة تضيع في الفراغ بل تتحول الى ان تكون جزءا من خطة . . تتكامل بالاجزاء الاخرى ، وتكملها . . وبذلك لا تعود الشعارات الحسينية مجرد شعارات تخاطب كل اتجاه . . وتغذي كل حركة . . ليمارس الاخرون من خلالها خداع الامة المسلمة عندما لا يضعون النقاط على الحروف التي تحدد الاطار للشعار من خلال الرسالة التي اطلقت الشعار . . .

بل تعود الشعارات الى الاسلام ، لتتحرك في اطارها ، ومع خطواته العملية . . وتظل مشدودة الى الفكرة الاساسية . . وهي الاسلام . . على اساس الارتباط العضوي . . بين النظرية والتطبيق . . فلا يكفينا ان يطلق ابطال عاشوراء شعار العزة والكرامة وارادة التغيير والاصلاح، لنسير وراء شعار يحمل هذه المفاهيم . . بل نحاول أن نتلمس مفاهيم العزة والكرامة في التشريع الاسلامي للحياة . . ونتلمس ارادة التغيير والاصلاح من خلال الخطوات الفكرية والعملية التي تسير على هدى الاسلام . . وبذلك ـ وحده ـ تبتعد

عاشوراء الذكرى . . عن شحن الانسان المسلم روحيا وعاطفيا بالكلمات الكبيرة الخالية من الحروف .

وقد يكون من الاخلاص لهذه النظرة . . ان نلاحق كل الاساليب المتبعة في اقامة هذه الذكرى لتبديلها وتطويرها بما يتفق وقيمة الذكرى من حيث ما تقدمه من عطاء اسلامي للحياة لان كثيرا من الاساليب المتبعة في اقامة هذه الذكرى ، كانت وليدة ظروف طارئة واوضاع محدودة ، وربما كانت تقدم بعض العطاء للقضية في ظل تلك الظروف والاوضاع . . ولكنها لم تعد تقدم اي شيء الا ما يقدمه اي تقليد من التقاليد الشعبية التي ابتعدت عن جذورها واصبحت مجرد عادة يمارسها الناس بفعل الالفة والعاطفة والمزاج . .

ان علينا ان نلاحق هذه الاساليب بدقة وحذر . لانها ارتبطت في كثير من الذهنيات البسيطة بقضية العقيدة . . حتى أصبح العمل على مقاومتها . . حربا على العقيدة في نظرهم . . ولان كثيرا من السلطات الحاكمة في بعض البلدان الاسلامية دأبت على محاربتها بعقلية محاربة الفكر الديني . . مما جعل من قضية الاصرار عليها هناك وجها من وجوه مقاومة السلطة في مواجهة القضايا الدينية الاسلامية .

ان علينا ان نلاحقها بدقة وحذر كجزء من الخطة العملية الاسلامية التي تعتمد الاسلوب اللين في معالجة القضايا الاساسية اذا كان العنف لا يؤدي الى نتيجة مرضية بل ربما يؤدي الى نتيجة عكسية في بعض الحالات . .

اننا نشعر بان من واجب العاملين للاسلام ان يركزوا على الخط الاسلامي المستقيم . . لان ذلك هو الذي يكفل للاسلام استمراره في نفوس الناس في صورته الصافية النقية . . وليس من شأننا تملق عواطف الجماهير لاجل كسب ودهِّم وثقتهم على حساب الاسلام . .

وعلى ضوء هذا فاننا ندعو المسلمين الى ان يفكروا في افضل الطرق لاثارة الذكريات الإسلامية ـ ومنها عاشوراء ـ بعيداً عن الاساليب المتخلفة التي تتمثل في جرح الرؤوس وضرب الظهور بالحديد ونحوها مما لا يشرف الذكرى ولا يخدمها بل يضرها ويعطيها صفة التخلف والبدائية التي تفقدها اي اثر ايجابي من اثاره الكبيرة . . لان من واجبنا ان نرتبط بالرسالة من خلال الذكرى ، ونرتبط باشخاصها من خلال الرسالة لا من خلال الذات . . لانهم تجاوزوا ذواتهم الى رسالتهم . . فكيف يقبلون منا ان نتجاوز رسالاتهم الى ذواتهم لنغرق في الذات في مآسيها وقضاياها وحياتها العامة والخاصة . .

وبهذا تظل صفة الولاية لاهل البيت عليهم السلام ـ التي تجسد صفة الولاء للخط الاسلامي الذي عاشوا من اجله واستشهدوا من اجله ـ هي الصفة التي تحكم علاقتنا بهم . . لانها تجسد لنا صفة القيادة التي مارسوها لحركة الرسالة . . من خلال تضحياتهم ومعطياتهم . . لتجعل من تلك الخطوات التي بدأوها ، بداية الرحلة الطويلة الى الهدف الاسلامي الكبير وهو تحقيق ارادة الله في الحياة ولا شيء غير ارادة الله . .

فذلك هو شأن الولاية عندما تتحرك في ضمير الامة وفي حياة العاملين . .

اما المحبة والعاطفة والاخلاص للذات العظيمة الكبيرة المقدسة التي تمثل علاقة شخصية تحكمها الانفعالات الذاتية والدوافع الخاصة فانها تجعل من حياة الابطال والانبياء والاولياء نهاية للعمل وقمة عالية تدفعهم الى مزيد من مشاعر الاجلال والتقديس والتطلع الى الاعلى في عملية عبادة لا تأخذ لنفسها صفة العبادة ، ولكنها تعيش روحيتها بكل بساطة .

وقد طرح الامام زين العابدين علي بن الحسين (ع) . . الشعار الحق للمحبة الولائية لاهل البيت عندما قال : احبونا حب الاسلام . .

واخيرا : اننا نشعر ان علينا ان نعيد النظر في كثير من قضايانا التي تعارفنا عليها من منطلق الاخلاص للاسلام ، لا للتقاليد وللمصالح الخاصة . . وان نظل في ملاحقة لكل التجارب . . لنظل في الطريق المستقيم بعيدين عن كل انحراف . . واخيرا . . انها افكار للمناقشة والتأمل والبحث . . من اجل عاشوراء اسلامية كما يريد الاسلام . . وكما يحب الله ورسوله . . والحمد لله رب العالمين .

ثبات القلة في طريق الله

عندما نقف في هذه الساعات لنتطلع إلى ساحة كربلاء بعين البصيرة وبروح الوعي فماذا نرى ؟!

اننا نرى هناك قلةً تلتزم الحق لأنها إنفتحت على الله تعالى وفضلت الآخرة على الدنيا ورأت أن الحياة موقف لا بد للمؤمن ان يقفه في سبيل الله ، وفي طاعة الله ، ليطّلع الله على قلبه فيرى الإخلاص في قلبه ، وليطّلع الله على موقفه فيرى الصدق في موقفه ، وليطلع الله على علاقاته فيرى أنه يؤيد المؤمنين ويرفض الكافرين .

القلة في الدرب الصعب :

إننا نرى هذه القلة القليلة التي استطاعت أن تتمرد على كل المغريات واستطاعت أن ترفض كل الامتيازات من أجل أن تحصل على رضى الله ، ومن أجل أن تلتزم قيادة إمام الهدى ، المتمثل بالإمام الحسين (عليه السلام) . هذا الإمام الذي عاش في حجر رسول

(١) ألقيت في مسجد الإمام الرضا (ع) في العاشر من محرم ١٤٠٩ هـ .

الله ، وتربى في أحضان فاطمة ، ونشأ على خُلُق علي ، وانطلق مع أخيه الحسن ليخططا معاً ، وليجاهدا معاً ، هذا الإمام العظيم ، الذي كان يستطيع ـ لو فكر بنفسه ولو فكر برضا الحكم من حوله ورضا الناس من حوله ـ أن يحصل على الكثير الكثير مما يمكن للإنسان أن يحصل عليه من امتيازات ذاتية ، ومن معطيات دنيوية ولكنه كان يحمل رسالة جده ، كان يحملها فكراً ودعوة وجهاداً ، ولذلك فإنه انطلق من أجل أن يصدم الواقع الذي كان يعيش في حياة المسلمين . واقع الزيف الذي كان يتمثل في كثير من أجواء المسلمين ، ولكنه كان يعطي نفسه صفة الإسلام ، واقع الخلل في المجتمع الإسلامي الذي انتشر فيه الفساد ، وواقع الخلل في الحكم الإسلامي الذي كان فيه الخليفة المسلم يشرب الخمر ويلعب بالقرود وبالفهود ، ويقتل النفس التي حرّم الله ، ولذلك وقف الحسين (عليه السلام) وقفته الحاسمة رافضاً كل النصائح .

جاءه أخوه محمد المعروف بابن الحنفية لينصحه أن لا يذهب الى الكوفة ، لأن أهل الكوفة غدروا بأبيه ، وجاءه ابن عباس لينصحه ، وجاءه الكثيرون لينصحوه ولكنهم كانوا يفكرون بشخصه وكان يفكر برسالته ، وكان يعرف أن الرسالة تحتاج إلى من يضحي ، وتحتاج الى من يجاهد ومن يقف الوقفة القوية الصامدة ليتحمل الأذى في سبيل الله . كما تحمله رسوله الله (صلى الله عليه وآله) . الرساليون لا يخافون أن يشتمهم أحد ، ولا يخافون أن يرفضهم الناس ، ولا يخافون أن يتنكر لهم الناس ، الرساليون يفكرون برسالتهم إذا فكر الناس بامتيازاتهم ، ولهذا كان الحسين (عليه السلام) على درب علي (عليه السلام) عندما تنكر الناس لعلي وقف عليٌّ وحده والصفوة الطيبة التي أخلصت له من أجل أن يواجه كل اولئك الذين قالوا له يا علي سوف نكون معك ولكن بشرط أن تلف وتدور .

يا علي سوف نكون معك بشرط أن تعطي معاوية شرعيةً وتعطي فلاناً شرعية ، وبشرط أن تنطلق مع اللعبة السياسية وغير السياسية ، وقال عليٌّ : « قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ، ودونها حاجز من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين وينتهز فرصتها من لا حريجة له بالدين » . وتفرق الناس من حوله وقال لهم عندما اجتمعوا عليه ، وعندما تفرقوا عنه : « لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة » ، لأنني انطلق من خلال الحق ، والحق يمثل القوة التي لا يمثلها شيء ، ولأنني أرفض الباطل وقالها لولده الحسن : « يا بني لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل » .

إن أعظم ما يبتلى به الانسان المؤمن هو أن يخضع للباطل في فكره ، وأن يخضع للباطل في موقفه وفي علاقاته فينحرف عن الخط ويخيل له أنه على الحق . .

روّاد الحقيقة :

كان الحسين (عليه السلام) كما كان علي وكما كان رسول الله ، الرسالي الذي يتوجه الى العالم كله حتى يقول له : « فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد عليّ أصبر حتى يحكم الله بيننا وهو أحكم الحاكمين » لم يقل لهم من رد عليّ أتراجع . . بل أصبر وانطلق في طريق الله تعالى ، ليس هناك أية قيمة لأن يرد الناس عليّ دعوتي ، أو يتفرق الناس عني ، لأني لم أنطلق لأجمع الناس من حولي لذاتي ، وإنما انطلقت لأجمع الناس من حولي لرسالتي ، ولهذا فإذا كذبني الناس فإنهم يكذبون الله وإذا قبلني الناس فإنهم يقبلون الحق الصادر من الله ، كما قال الله لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) ولكن الرساليين الذين يتحركون بالصدق في الحياة : ﴿**فإنهم لا يكذبونك**

ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ . هم يكـذبون الله فـاجعل أمـرهم على الله . .

هذه القلة التي استوعب كـل أطفالهـا ، كل أفـرادها ، كـل شبابها ، كل كهولها ، كل شيوخها ، كل نسائها الرسالة . . .

علي الأكبر شابٌ في أعمق حيوَية الشباب ، عندما كان يسير مع أبيـه وأغفى الحسين إغفـاءة وقال بعـد ذلك : « انـا لله وإنا إليـه راجعون » وقال ولده الشاب : يا ابتاه لما استرجعت ، قال عنّ لي (في الحلم) فارس وهو يقول : القوم يسيرون والمنايا تسير خلفهم فعلمت أنها نفوسنا نعيت إلينا ، وكأن علياً أدرك في الكلمة عمق المأساة وأن المسيرة سائرة الى الموت وإلى الشهادة فالتفت بروحية الشباب وبقوة الايمان وبصلابة الموقف وبوضوح الهدف ، إلى أبيه ليقوّي موقف أبيه ـ ولم يكن أبوه يحتاج إلى تقوية موقف ولكن علياً أراد أن يقول لأبيه : يا أبتاه كما أنا ابنك باللحم والدم فأنا ابنك بالرسالة ، أتحرك كما تحركت « ألسنا على الحق » يا أبتاه وأنت تحمل الحق ، وأنت إمام الحق وقد كان أبوك إمام الحق ، وقد كان جدك رسول الحق ، وقال الحسين (عليه السلام) : « بلى والذي نفسي بيده » ، قال : إذن لا نبالي أن نموت محقين .

إننا نخاف ما خافه علي عندما قال له رسول الله : « ستقتل في شهر رمضان وقال له علي : يا رسول الله ليست المشكلة أن أُقتل ولكن المشكلة كيف أقتل وعلى أي خط أقتل ، أو في سلامة من ديني « قال بلى : قال إذن لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت علي » ولهذا عندما ضرب بالسيف على رأسه في المحراب ، وهو يرى نفسه في نهاية المطاف يسقط بين يدي الله في محرابه وهو في طاعة الله ، وهو في

جهاد في سبيل الله قال : « فزت ورب الكعبة ، باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ».

وهذا ما نريد أن نتمثله في حياتنا ، وهذا ما نريد أن نثيره في كل واقعنا ، أن نتحرك في حياتنا لندقق يومياً ، في كل يوم ، إطرح على نفسك سؤالاً طرحه علي الأكبر ، قل لنفسك ، أو قل لرفاقك ، هل نحن على الحق في هذا الموقف ؟! أو نحن على الحق عندما نسير مع فلان أو فلان ، أو نحن على الحق عندما نتحرك في هذا الطريق او ذاك الطريق ؟!. فإذا عـرفت انك عـلى الحق ، وجاءتـك الاخطار والضغوط والتحديات من حولك وخوّفك الناس بالموت ، وقالوا لك : إن لم تستسلم فستموت ، إن لم تنطـلق معنا وتسير في خط الضلالة فستموت ، قل لهم ما قاله علي الأكبر لأبيه الحسين : « إذن لا نبالي أن نموت محقين . . المهم أن لا يموت أحدنا على الباطل ، المهم أن يعرف الإنسان نفسه دائماً ، ولندقق دائماً لأن الشيطان يأتي إلينا ليضخم لنا شخصيتنا لينفخ في عقولنا وفي قلوبنا ، ليوسوس لنا ، ليزين لنا سوء عملنا فنراه حسناً ، لهذا إننا نحتاج دائماً إلى وقفة حساب مع النفس ، ووقفة حساب مع الله حتى لا نكون من الأخسرين أعمالاً . .

كونوا حماة الدين :

حاولوا أن تنقدوا أنفسكم ، وحاولـوا أن تنقدوا مسيـرتكم ، وحاولوا أن تحاسبوا قياداتكم ، وحاولوا أن تكونوا المنفتحين الدائمين على ربكم ، حتى يراكم الله وأنتم تجاهدون في سبيله جهاد النفس ، وجهاد الكفر ، وجهاد الظلم ، والله يقول : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ . . كن المجاهد وانتظر من الله الهداية في كل موقع ، من مواقع الجهاد ﴿ **وان الله لمع المحسنين** ﴾ .

ثم أيها الناس ، كلكم ، من كان منكم يملك علماً ومن كان منكم يملك مالاً ، ومن كان منكم يملك قوة وسلطة ، أيها الناس هل تريدون أن تسيروا مع أبي الفضل العباس ، هل تريدون أن تتحركوا معه ؟! لقد قطعت يمينه ، وربما تقطع أيمان الكثيرين منا في سبيل الله ، وربما نخضع لكثير من التعذيب والتشريد في سبيل الله ، وربما نخضع لكثير من السجن والاضطهاد في سبيل الله ، هل تريدون أن يكون منطقكم منطق العباس ؟ « والله إن قطعتم يميني ، إني أحامي أبداً عن ديني » كونوا الحماة للدين ، راقبوا كل الساحة ، راقبوا كل الناس من حولكم أياً كانوا فإذا رأيتم هناك هجمة على الدين وأهله ، واضطهاداً للدين وأهله وإذا رأيتم هناك إنتقاصاً من الدين وأهله فتذكروا أن العباس كان المحامي عن الدين فكونوا الحماة لدين الله على خط العباس (عليه السلام) .

« وعن إمام صادق اليقين . . » إني أحامي عن الحسين لا بصفته الأخوية ، ولكن بصفته الرسالية ، أحامي عن الإمام في شخص الحسين ، ولم يحامِ عن الأخ في شخص الحسين فكونوا الحماة للذين يمثلون الحسين (عليه السلام) في صدقه وفي إخلاصه وفي ثورته وفي جهاده وفي تحديه للأعداء .

قلنا منذ بداية الموسم (موسم عاشوراء) ونقولها الآن في نهاية الموسم ، ما دام الإمام الخميني حفظه الله يتبنى كل الثورة الحسينية ، يتبنى شعار العزة فيها حيث قال لكل أعداء الله باسم كل الجماهير الإسلامية الملتزمة كما قالها الحسين (عليه السلام) باسم كل الجماهير الإسلامية الملتزمة : قالها لأمريكا وقالها لروسيا وقالها لأوروبا وقالها لكل الرجعيين السياسيين الذين يتحركون في هذه الخطوط الاستكبارية : « لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر لكم اقرار العبيد » قالها حتى في الحالة التي أريد له ـ وأراد هو من

موقع قناعته ـ أن يجمد الحرب ، عندما رأى أن المصلحة في أن تسير الثورة الإسلامية في اتجاه غير هذا الاتجاه ، لم يضرع ، ولم يتنازل ، انما انطلق قراره من خلال قناعته ولم ينطلق قراره من قرار الآخرين قالها ، وقال للجميع : سنواصل المسيرة وسنبقى في الساحة ، وقال للجميع سنظل في وجه الاستكبار ، إن الحياة ليست جولة واحدة حتى إذا أغلقت الجولة أغلق الجهاد كله إن الحياة هناك تحتضن « بدراً » كما تحتضن « أُحداً » وكما تحتضن « خيبراً » و « حنين » و « الأحزاب » ، لن نترك الرسالة ، والمهم أننا لن نترك المسيرة ، والمهم أننا سنظل الدعاة الى الله ، وسنظل الادلاء على الله ، وسنظل المجاهـدين في سبيل الله لن نخضع أمام الظلم ، ولن نخضع أمام الاستكبار .

ولهذا فإننا كمسلمين ، سنحامي عنه ، سنحامي عنه (الإمام الخميني) لا بصفتـه الشخصية ولا بصفتـه الجغرافيـة ولكن بصفته الرسالية ، نحن معه لأنه مع الإسلام ، ونحن معه لأنـه مع عـزة الإسلام ، ونحن معه لأنه مع حرية المسلمين تماماً كما كان العباس مع الحسين (عليه السلام) ، لأن الحسين كان الإسلام الصادق في يقينه ، والصادق في موقفه .

علينا أن نتبنى شعارات العباس (عليه السلام) في ذلك حتى نحمي المخلصين من قادتنا المجاهدين من قادتنا الذين ينفتحون على الحق كله ، ويرفضون الباطل كله، هذا الموقف الكربلائي التزموه كما التزمه العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

.. الروحية الكبيرة :

إننا نتطلع الى هذه القلة التي نجد هذه الكلمات الموحية الواعية في كلمات كل الذين تحركوا فيها ، كما أننا نجد روحانية الاسلام في هذه القلة : الاعداء يحيطون بهم من كل جانب ، الظمأ يلهب قلوبهم

وشفاههم ، والوضع الذي يعيشون فيه يـوحي بالمأساة ، ربما قيل أن هناك ما يقارب المئة طفل في كربلاء ، وأنتم تعرفـون كيف تكون مشكلة المحارب عندمـا يكون الأطفـال من حولـه ، وكانت هنـاك عشرات النساء في كربلاء ، وأنتم تعرفون كيف تكون مشكلة المجاهد عندما تكون هناك نساء من حوله . كانوا يسمعون صراخ الأطفال : الظمأ الظمأ،وكانوا يسمعون صراخ النساء أمام صراخ أطفالهن،وكانوا يعيشون الجو كله ، ومع ذلك . . لم يفصلهم ذلـك عن الله ، ولم يشغلهم ذلك عن اللقاء بالله ، الساعة كانت ساعة الزوال وكانـوا يعرفونها من خلال علاماتها في السماء ، وفكر أحد أصحاب الحسين (عليه السلام) وكان هناك بعض من أصحابه قد تقدمه الى الشهادة قال : يا ابن رسول الله لقد حان وقت الصلاة واني أحب أن لا أموت إلا وقد أديت الصلاة إلى الله ، أريد أن أختم حياتي بموقف صلاة في أول وقتها . .

لو كانت القصة عندنا فيما يحيطنا من مشاكل وجاءنا شخص وقال ان وقت الصلاة قد حان ، أفلا نقول لبعضنا : هل الوقت وقت صلاة ؟!!

ولكن هذا الرجل كان يعيش مع الله كما لو لم يكن حوله أحد وكان يفكر بالله كما لو لم تكن هناك مشكلة تواجهه . . وهزت هذه الكلمات أريحية الحسين الايمانية ، وقال له : « نعم هذا أول وقتها ، ذكـرت الصلاة جعلك الله من المصلين » . . ووقف الحسـين يصلي واستعد القوم ليستغلوا هذا الموقف فيرسلوا السهام إلى الحسين (عليه السـلام) . ووقف شخص مجاهـد أمام الحسـين ، والقوم يـطلقون السهام ، يريدون ان يقتلوا الحسين وهو بين يدي ربّه ، وكان هذا الرجل اذا جاء سهم للحسين تلقاه بيده أو بوجهه أو بصدره ، حتى

أثخن بالجراح ، وفرغ الحسين (عليه السلام) من الصلاة وسقط هذا الرجل المجاهد وكأنه خاف أن لا يكون قد وفى بالبيعة ، لأنه بايع الحسين على أن يقاتل بين يديه ، وهو لم يقاتل : قال أوفيت يا ابن رسول الله قال : نعم أنت أمامي في الجنة . .

هذا الموقف الروحي نتعلمه ، أن نكون مع الله بكل روحنا ، وبكل قلوبنا وكلما اشتد الخطر بنا أكثر كلما التجأنا إلى الله أكثر ، وكلما قربنا إلى الله أكثر ، ينبغي أن لا تكون الصلاة عندنا مجرد روتين يومي ، أو تقليد يومي نواجهه في حياتنا ، بل تكون الصلاة في ذروة اهتماماتنا، لأنها معراج روح المؤمن إلى الله ولهذا ، من كربلاء خذوا درس الاهتمام بالصلاة ومن كربلاء خذوا درس الاهتمام بالمحافظة على الصلاة في كل المجالات التي تعيشونها في حياتكم لأن الصلاة هي التي تمثل اخلاصكم لربكم ، وهي التي تمثل حضوركم أمام ربكم ، وهي التي تمثل انفتاح كل حياتكم على الله سبحانه وتعالى . .

وهكذا نجد هذا الجو الروحي الذي يتحرك في اجواء كربلاء ليقول لنا أيها المسلمون الذين يسيرون على درب الحسين ، كونوا الروحانيين في أعماقكم ، كونوا الاتقياء في خطواتكم العملية ، كونوا المجاهدين في كل التحديات التي تواجهكم ، انظروا الى الله إذا نظر الناس إلى الناس ، وثقوا بالله كونوا الناس الذين ينفتحون على الله كما انفتح الحسين (عليه السلام) على الله . .

الأكثرية في خط الباطل :

ثم هناك الأكثرية . . وماذا عند اولئك ، أولاً جيش ابن زياد يعيش الازدواجية في شخصيته : « قلوبهم معك وسيوفهم عليك » يعيشون في قلوبهم عاطفة للحسين ، ويحملون في سيوفهم الموت للحسين .

لماذا كانت قلوبهم معه ؟ لأنهم يعرفونه معرفة الحقيقة ، انه إمام الحق وانه إمام الصدق وأنه الذي لم ينحرف قيد شعرة عن خط الإسلام في كل تاريخه وفي كل حياته ، قلوبهم مع الحسين لأنهم سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « حسين مني وأنا من حسين » و « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » ، سمعوا ذلك ووعوه كله ولكن المسألة كما قال علي (عليه السلام) عندما كان تعليق على هؤلاء الذين وقفوا ضده : كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : ﴿ **وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ . بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها . . » .

وهكذا كان هؤلاء يحبون الحسين ، ولكنهم كانوا يحبون المال أكثر ، وكانوا يحبون الجاه أكثر ، وكانوا يحبون السلطة أكثر ، ويحبون الشهوات والملذات أكثر ، ولهذا تغلب حبهم للدنيا على حبهم للآخرة وانطلقوا في هذا الطريق يحاربون الحسين (عليه السلام) .

الأكثرية ليست مع الحق دائماً :

خذوا من هذه التجربة الفكرة ، أن الحق ليس دائماً مع الأكثرية ، وأن الأكثرية عندما تلتف حول شخص او عندما تلتف حول محور ، أو عندما تلتف حول موقف من المواقف ، فإن إلتفافها قد يكون ناشئاً من أطماعها ومن غفلتها ، وقد يكون إلتفافها ناشئاً من حبها لكثير من الجاه والمال في هذا الموقف أو مع هذا الشخص ، أو في هذا الطريق .

لهذا لا تغرنكم كثرة الناس ، بل انظروا أين الحق في مواقف الناس ، والله عرفكم الحق ، وعرّفكم ملامحه ، وعرفكم طريقه وأهله ، وعرفكم الباطل وملامحه وطريقه وأهله ، فلا تسيئوا معرفة

الحق فيخيّل إليكم أنه الباطل ، ولا تسيئوا معرفة الباطل فيخيّل إليكم أنه الحق ، ادرسوا مقاييس الحق ومقاييس الباطل حتى تركزوا أقدامكم في طريق الحق ، وحتى تتعرفوا على الحق يسير ، ومن في الباطل يتحرك حتى تؤكدوا مواقفكم كما قال علي (عليه السلام) : « أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير ، وجوعها طويل » .

من نماذج أعداء الحسين (عليه السلام) :

ثم عندما تستمعون إلى نماذج هؤلاء .. من بين نماذجهم عمر بن سعد ، هذا الرجل الذي كان قريباً للحسين (عليه السلام) من موقع الخؤولة ، فقد كانت هناك قرابة بينه وبين الحسين ، ودعاه ابن زياد إلى أن يقود الجيش المتجه لقتال الحسين في كربلاء ، وحاول أن يعتذر وكان ابن سعد ، على وعد بأن تكون له ولاية الري فقال له ابن زياد : « أرجع إلينا عهدنا » قال له عندما رأى بأنه قد يفقد ولايته على الري : دعني أفكر .. امهلني ليلة ..

وقالوا قضى الليل كله وهو يتقلب على فراشه . يقلب الأمور ، يفكر بالحسين وعظمة الحسين وقرابة الحسين منه ويشعر بخطورة قتل الحسين ، ويفكر في الجانب الثاني بملك الري ، والزعامة والسلطة والمال وغير ذلك فيجذبه ذلك إلى أن يقبل ، وقد قيل عن لسانه أو هو كان يقول :

فوالله ما أدري وإني لحائرٌ أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي أم ارجع مأثوماً بقتل حسين ..

وهكذا كان يعطي لنفسه الفكرة أن في قتل الحسين النار ، ثم جاءه الشيطان يطرح عليه حلاً .. وراقبوا الحلول الشيطانية فيما

يطرحه عليكم في كثير من المواقف :

يقــولـون إن الله خــالق جنـة ونــار وتعــذيب وغــل يــدين
فــإن صدقـوا فيما يقـولون انني أتـوب الى الـرحمن في سنتـين

يعني ، أقتل الحسين، ثم آخذ ملك الري ، ثم أذهب للحج وأتوب لله بعد سنتين فأكون قد حصلت الدنيا والآخرة ، ووافق على أن يقاتل الحسين ، ولم يكتفِ بأن يقاتل الحسين بالشكل التقليدي ، ولكن عنـدما جـاء يوم عـاشوراء وأراد أن يعـطي الأذن بـاعتبـاره القائد . . أخذ سهماً ووضعه في كبد القوس وقال : إشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى . . أراد أن يثبت إخلاصه للأمير بأنه أول شخص رمى الحسين (عليه السلام) . . .

عمر بن سعد المتجدد :

هذا النموذج ، هل هو نموذج عمر بن سعد فقط ؟! أو أن هناك أكثر من نموذج يتمثل بهذا الإنسان ، سواءً ممن يكونون في مـراكز القيادة ، وقد ينطلقون في بداية حياتهم باسم الثورة وباسم الموقف الصلب ضد الاستكبار ، ولكن يأتيهم الاستكبار والاستعمار من بين أيديهم ومن خلفهم ، يعطيهم مالاً هنا وجاهاً هناك . . الاستعمار لا يعطي مالاً فقط ولكنه يقول لذاك وقعّ لنا وواجه الذين يعارضوننا وأنت يمكن أن تكون رئيس جمهورية ويمكن أن تكون وزيراً أو رئيس وزراء ، أو قائد جيش أو أي شيء من ذلك ، والكثيرون يعملون على أن يطووا صفحة تاريخهم « الثوري » و « المبدئي » ليسقطوا أمام ما سقط عمر بن سعد أمامه وهي مسألة الجاه والسلطة والمال والقوة .

حدقوا بالناس في أواخر مواقفهم لا في بداياتها ، بعض الناس يظل يتحدث عن تاريخه ، أنا فعلت ، وأنا ثرت وأنا حررت ، وأنا

انطلقت ، نقول له : صحيحٌ أنك ثرت وحررت وعملت لكن أين أنت الآن ، وفي أي موقع تقف ، هل تقف مع الذين ثرت من أجلهم أو مع الذين ثرت عليهم ، لقد استطاعت أعمالك ومعارضاتك أن تجعلك الواجهة وعند ذلك جاء الآخرون ليأخذوا الواجهة فيكتبوا عليها أشياءً قد تجذب الناس إليك ولكنك تتحرك بالطريق الذي يسيء إلى مستقبل الناس .

لا يخدعنكم التاريخ وحده ، فإن كثيراً من الناس يعملون على أن يقرأوا عليكم تاريخهم ، ولكن قولوا لهم إن هناك كثيراً من الناس الذين ابتلوا بسوء العاقبة ، نحن ندعوا الله دائماً لنقول : « اللهم ارزقنا حسن العاقبة » ، لأن كثيراً من الناس ربما تكون بدايته طيبة ولكن تكون نهايته خبيثة ، ولذا ، حدقوا في الناس في مواقفهم الآن ، وحدقوا في أنفسكم في مواقفكم الآن ، وحاذروا أن تلتف عليكم خيوط اللعبة ، لأن المخابرات ، من مخابرات دولية واقليمية ومحلية سوف تعمل على الالتفاف حول طموحاتكم لتقول إننا نريد أن نحل لكم مشاكلكم والالتفاف حول طموحاتكم لتقول لكم اننا نريد أن نحقق لكم طموحاتكم ، وهكذا حتى يسقطوكم في الوحل الذي يريدون منكم أن تسقطوا فيه .

هذا نموذج عمر بن سعد ، الذي خسر الدنيا والآخرة ، والذي قتله المختار الثقفي بعد مقتل الحسين (عليه السلام) الذي ثأر للحسين،شر قتلة . .وبذلك نعرف،أنه ليس من الضروري ان ينطلق بك أحد ليقول لك هذه الدنيا أمامك . ليس من الضروري أن تحصل على الدنيا ، بل قد تخسر الدنيا والآخرة ، فاحتفظ بالآخرة لنفسك فإن الله هو الذي يعطيك الآخرة ويعطيك الدنيا معها . الدنيا ليست في يد الناس وإن سلط الله الناس على بعض فيها ، ولكن الله هو

الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الذي يملك الأمر كله فانفتح على الله ولا تنفتح على غيره إلا من خلاله . .

النموذج الثالث :

ثم نلاحظ منطقاً آخر في عاشوراء وهو منطق الذين لا يريدون أن يسمعوا ولا يريدون أن يفهموا ولا يريدون أن يحاوروا بل يتجمدون حول كلمة قيل لهم قولوها ولا تقولوا غيرها . .

في عاشوراء كان الحسين (عليه السلام) يقوم تارة ويصعد أخرى ليلقي العظات على أعدائه لأن الحسين (عليه السلام) كان يعيش العاطفة على الذين جاؤوا يقاتلونه تماماً كما كان يعيش العاطفة تجاه الذين يناصرونه . .

قيل ان الحسين في كربلاء وقف ذات يوم أمام الجموع وهو يبكي ، قيل له يا ابن رسول الله مما بكاؤك ، قال : « إنني أبكي لهؤلاء لأن الله سيعذبهم بسببي » ، إنني أبكي عليهم كيف تهيء لهم ضلالاتهم أن يدخلوا النار . . ولهذا كان يقوم تارة ويقعد أخرى ليعظهم ولينصحهم وليذكرهم ، وليدعوهم الى المناقشة ، وكان الشمر (ابن الجوشن) يخاف أن يستمع القوم إليه فكان يقف أمام الحسين وهو يقول له : « ما ندري ما تقول يا ابن فاطمة ، إن هناك كلمة لا نخاطبك بغيرها ـ إنزل على حكم من بني عمك » .

تلك هي ذهنية تلك الأكثرية الخاضعة لمطامعها والخاضعة لشهواتها ، ليست مستعدة أن تناقش ، وقياداتها كانت تحاذر أن تستمع القاعدة لوجهة نظر أخرى لأنهم يخافون على القاعدة أن تفكر ، ويخافون على الناس ان يسمعوا ، فإذا سمعوا فكروا ، وإذا فكروا حاوروا وإذا حاوروا انفصلوا عنهم .

القيادات المنغلقة على ذاتها :

وهذا ما نراقبه في كثير من المواقف التي نعيشها في الوسط الديني ، وفي الوسط الاجتماعي وفي الوسط السياسي ، عندما نرى الكثيرين من الناس يمنعون جماعاتهم ، ويمنعون المنتمين إليهم من أن يفتحوا آذانهم لسماع الذين يعظونهم وينصحونهم ، ومن أن يدخلوا في نقاش ولهذا يعزلونهم عن الأجواء العامة ، ويطلبون منهم أن لا يحضروا هذا المجلس ولا ينطلقوا في ذاك المكان ، لا تسيروا مع فلان ، لا تقرأوا كتب فلان . . وهكذا . لأنهم عاشوا مع الناس على أساس أن الناس لا تسمع ولا تفكر ، ولهذا فهم يمنعون الناس أن تسمع وأن تفكر . .

بينما كان الحسين (عليه السلام) ينطلق ليطلب منهم أن يحاوروه، مجتمع الحسين (عليه السلام) مجتمع الحوار الذي يقول لأعدائه تعالوا ناقشوني ، تعالوا حاوروني ، إن عندي حجة فاسمعوها وقفوا معي في هذا المجال ، أو اقنعوني بما أنتم عليه .

لهذا إذا أردتم أن تميزوا بين منطق الحسين وبين منطق ابن زياد ، فحاولوا أن تجدوا كل قيادة تدعوكم للتفكير وللإطلاع على وجهة النظر الأخرى ، وتدعوكم للحوار والنقاش واعلموا أنها تتحدث بمنطق الحسين الذي هو منطق الاسلام ، وكل قيادة تمنعكم من أن تسمعوا وتفكروا وتناقشوا فاعرفوا أنها تلتزم منطق ابن سعد .

أنتم مع من ! !

هاتان الفئتان اللتان كانتا تقفان في مثل هذا الوقت في كربلاء ، قولوا لأنفسكم مع من أنتم ، هل أنتم الحسينيون ، حتى لو كنتم قلة ، أو أنكم اليزيديون لأنكم تريدون أن تعيشوا مع الكثرة . .

قد يقول بعضكم لا أريد أن أعيش مشكلة مع الناس ، ولا أريد أن أحمل السلم بالعرض ، لكن قد يفرض عليك الحق أن تحمل السلم بالعرض . .

ادخلوا في أعماق أنفسكم وقولوا لو كان الحسين الآن موجوداً في ساحتنا الآن ، ولم يكن معه إلا هذه القلة الطيبة من أهل بيته وأصحابه ، وكان يزيد الآن وكان معه المال والسلطة والرجال والشهوات ، إفحصوا أنفسكم مع من تكونون ، لا تستعجلوا لتقولوا إنكم ستكونون مع الحسين ، لأن بعض الناس استعجل وقال إننا مع الحسين ، وسقط في الامتحان .

حاولوا في عاشوراء ـ واليوم العاشر ليس النهاية ولكنه البداية لأن المعركة حدثت في اليوم العاشر وبعد ذلك انطلق الناس ممن ثاروا على يزيد وهم التوابون وأهل مكة والمدينة ، وممن ساروا مع يزيد فانظروا مع من تكونون ؟! قد يحتاج الموقف منكم أن تطلقوا كلمة الحق والناس تواجهكم بكل القوى التي تريد أن تهزم موقفكم فمع من تكونون ، لا تنظروا الى سطح الأمور ، ولكن انظروا إلى أعماق الأمور في حياتكم .

فكروا بمنطق الأمة :

فكروا كما كان يفكر الإمام الحسين (ع) لم يقل خرجت لطلب الإصلاح في الحجاز ، أو في أهل العراق ، بل قال : « خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي » ، ومعنى ذلك أن الحسين (عليه السلام) كان يفكر بمنطق الأمة ، ولم يكن يفكر بمنطق البلد ، وعندما كان يفكر بمنطق الأمة لم يفكر : بمنطق أمة عربية أو فارسية أو تركية أو كردية ولكن كان يفكر بمنطق الأمة الاسلامية .

على هذا الأساس فكروا بهذا المنطق ، وادرسوا أين هي قضايا المسلمين في كل بلد ، وأين هي مشاكل المسلمين في كل بلد ، وأين هي التحديات التي تواجه المسلمين في كل بلد ، لا تنـظروا وأنتم تحدقون بالواقع الاسلامي إلى هذا الحاكم العربي او ذاك الحاكم غير العربي من العالم الثالث كيف يقف ضد المسلمين هنا وضد المسلمين هناك . فكروا في الأفق الواسع ، ان هذا الحاكم وذاك الحاكم ليس إلا موظفاً كبقية الموظفين عند الاستكبار العالمي الذي يضع على رأس هذا البلد ملكاً ويقول له : ستبقى ملكاً ما خدمت مصالحنا ، ويعطي لهذا البلد أميراً ويقول له إن إمارتك مرهونة بحمايتك لمصـالحنا ، وينتخب لهذا البلد او ذاك رئيساً ويقول له إن رئاستك تبقى ما دمت وفياً لمصالحنا ، لا تنظروا عندما تواجهون المواقف التي تعيش في داخل البلاد الإسلامية من كل هؤلاء الحكام الذين يفرضون على شعوبهم إرادتهم ومخططاتهم وسياستهم بلغة الحديد والنار ويمنعـوهم من أن يعبروا عن رأيهم ، ومن أن يختاروا لبلدهم سياستها وخطها إن المسألة ليست مسألة هذا الحاكم ، وليست مسألة ذاك الحاكم ولكنها مسألة القوى الاستكبارية التي وظفت هذا الحاكم ملكاً وذاك الحاكم أميراً ووظفت ذاك الحاكم رئيساً ووظفت ذاك الحاكم رئيساً للوزراء أو وزيراً أو أي شيء من ذلك . . .

في رحاب عاشوراء
والسنة الهجرية الجديدة(١)

« من جديد نأتي إلى موسم عاشوراء لنستقبل أولاً سنة هجرية جديدة هي السنة التاسعة بعد الأربعمائة والألف من الهجرة ، ولننفتح على الحسين (عليه السلام) وعلى الصفوة الطيبة من أهل بيته وأصحابه ، ولنؤكد في هاتين المناسبتين انتماءنا إلى هذا الخط ، خط الإسلام الذي تحرك من خلال الهجرة لينطلق من دور الدعوة إلى دور الدولة ، ولننطلق في الثورة الحسينية إلى حركية الإسلام في مواجهة الظلم الداخلي ، تماماً كما هي حركة الإسلام في مواجهة الظلم الخارجي ، لأن الإسلام جاء حرباً على الظلم كله ، ظلم الفرد وظلم المجتمع وظلم الدولة ، وظلم القوى الاخرى خارج نطاق الدولة ، جاء ليؤكد للمسلمين أن عليهم أن يكونوا مع العدل ، حتى لو كان

---

(١) الدرس الأول من دروس عاشوراء . محاضرة ألقاها سماحة العلامة الحجة السيد محمد حسين فضل الله في مسجد الإمام الرضا (ع) في اول عاشوراء والسنة الهجرية الجديدة .

١ محرم ١٤٠٩ هـ

المظلوم كافراً وكان الظالم مسلماً . لا بد أن يكونوا مع العدل لأن العدل عندما يتحرك في الحياة فلا بد أن يتحرك للجميع . لا بد للإنسان الكافر اذا عاش في داخل المجتمع الإسلامي سواء كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً يحكمه الإسلام ، أو كان مجتمعاً يتحرك المسلمون في داخله . أن يجعلوا العدل سيرتهم وطريقتهم ، بحيث لا يشعر أي إنسان في داخلهم أنه محرومٌ من حقه ، وأنه مظلومٌ في حقه .

مع السنة الهجرية الجديدة :

في هاتين المناسبتين (السنة الهجرية ، وعاشوراء) أحب أن نعمّق نظرتنا إليهما : في مناسبة الهجرة لا بد أن نفهم أن الهجرة كانت عملية حركة من قبل المسلمين الملتزمين برسول الله (صلى الله عليه وآله) في السير مع رسول الله بالمستوى الذي تمردوا فيه على كل أهلهم عندما أراد أهلهم أن يفتنوهم عن دينهم ، وتمردوا فيه على علاقتهم بأرضهم عندما شعروا أن بقاءهم في أرضهم التي يحكمها الكفر سوف يبعدهم عن الله ، وبذلك هاجروا وهجروا ، وانطلقوا فراراً بدينهم : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ إنما شردوا ، إنما هجروا ، لأنهم التزموا الخط الذي يبدأ من الله وينتهي إليه ، ولهذا دار أمرهم بين أن يسقطوا تحت تأثير الضغط وبين أن يهاجروا فكانت هجرتهم هي الخيار المفضّل عندهم لأنها تجعلهم يحافظون على ايمانهم ، ولهذا جعل الله للمهاجرين شأناً عظيماً لأنهم ضحوا في وقت كان الإسلام لا يملك فيه قوة ، وتمردوا على كل مواقعهم العاطفية وعلى كل مصالحهم المادية ، وخرجوا من مكة فقراء بعد أن كان البعض منهم يملك المال كله . .

الدرس من حركة المهاجرين :

هذا الدرس نحتاج أن نستوعبه ، لأن الله أراد للخط الإسلامي

الحركي الذي أراده أن يكون خطاً يصادم الواقع ، ويصادم القوى الظالمة ، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في مكة مجرد رسول يدعو إلى الله ، لم يتحرك ليصدم الواقع بالقوة ، ولم يفسح للمسلمين عندما كانوا يستأذنونه بالقتال أن يتحركوا من موقع القوة .

كان يريد لتلك المرحلة أن تكون مرحلة الدعوة الخالصة ، ثم بعد ذلك ، بعد الهجرة ، تحرك المسلمون بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى جانب خط الدعوة على أساس خط الحركة التي تواجه الظلم كله ، والشرك كله ، بكل أساليب المواجهة ، سواء كانت مواجهة عسكرية أو اقتصادية أو غير ذلك .

وأراد الله لهذا الخط ، الذي ينطلق ليحمل الدعوة بيد ، وليحمل السيف بيد ، أن يستمر ، ونحن في مرحلتنا هذه ، تماماً كما هم المسلمون في المراحل السابقة وتماماً كما هم المسلمون في الأجيال القادمة ، نحن جزءٌ من هذه المسيرة .

عندما تفكرون بمسيرتكم الإسلامية التي تدعو وتتحدى وترد التحدي والتي تهاجم وتدافع ضعوا أنفسكم في الخط الذي بدأه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقد بدأ الدعوة في مكة ، ثم بدأ الهجرة إلى المدينة ، ثم تحرك ليواجه المشركين واليهود والمنافقين في معارك متنوعة حتى يكون الدين كله لله ، ثم قال للناس من بعده إن الإسلام أمانة الله في أعناقكم ، لقد فتحت لكم الطريق فسيروا فيه ، ولقد بدأت المسيرة فأكملوها . ليكن الإسلام هو عنوان حياتكم ، وعنوان انتمائكم ، وعنوان حركتكم ، لا تقبلوا بالإسلام بديلاً كما لم أقبل بالإسلام بديلاً لا تقبلوا بنصف إسلام ، ونصف كفر ، لتكونوا ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، لا تقبلوا بالتسويات على حساب إسلامكم ، فقد جاء المشركون إلى رسول الله وقالوا له يا

رسول الله تعالى نتصالح فيما بيننا وبينك ، نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة ، ثم نتفق في النهاية على شيء . فأنزل الله عليه : ﴿ **قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابدٌ ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين** ﴾ .

لا أنصاف حلول في العقيدة :

ليس هناك في العقيدة أنصاف حلول ، لأن مسألة العقيدة حقٌ وباطل ، فإذا أخذت نصف العقيدة وتركت نصفها الآخر فقد أخذت بالحق والباطل معاً ، والذي يتحرك بالحق لا يأخذ بالباطل .

وهكذا ليس عندنا أن نأخذ نصف إسلام ونبقى على النصف الآخر ، كما يقول بعض الناس خذوا من الإسلام عباداتكم فلا نناقشكم في عباداتكم ، وخذوا من الكفر سياساتكم واقتصادياتكم حتى يتصالح الكفر والإسلام فيمنح الكفر للإسلام حريته في المساجد ، ويتعاون الإسلام مع الكفر في السياسة وفي الاقتصاد وفي الأمن والعسكر . .

بعض الناس يقولون ذلك ، وبعض الناس يريدون أن يوجهوا الساحة من خلال ذلك ، قولوا لهؤلاء الناس الذين يريدون أن يحبسوا الإسلام في العبادات قولوا لهم أي إسلام تحدثونا عنه ، نحن نقول لكم : ألسنا نقول أشهد أن محمداً رسول الله ، وقد جاء لنا رسول الله بكتاب الله ، وقد حدثنا رسول الله في سنته عن أشياء كثيرة ، تعالوا نحتكم إلى كتاب الله لنرى هل يحدثنا كتاب الله فقط عن الصلاة والصوم والحج . أو نحو ذلك من العبادات ، أو أن كتاب الله حدثنا أيضاً عن المعاملات بين الناس ، وعن العلاقات وعن الظلم

والعدل ،وحدثنا عن العز والذل ، وعن الحرية والعبودية ، وعن الحرب والسلم .

إذا كان كتاب الله يفتحنا على الحياة كلها فلماذا تريدون أن تحصرونا في جانب معين من الحياة ، لا يمكن للإنسان أن يكون مسلماً وأن يكون منتمياً إلى أيّ من التيارات العلمانية الموجودة في الساحة لأن هذه التيارات هي أديان المرحلة الحاضرة ، ولهذا فإن معنى أن تأخذ بالإسلام وتنتمي إلى هـذه التيارات . معنـاه أنك تخلط دينـاً بكفر ، لأن هذه التيارات تتحرك من خلال فلسفة الكفر . .

وعندما ندخل في موسم عاشوراء في بداية السنة الهجرية علينا أن نؤكد إنتماءنا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ونبايعه كما أكد المهاجرون إنتماءهم له وبايعوه . أن نقول : يا رسول الله لقد مرت ألف وأربعمائة وتسع سنوات على هجرتك التي كانت من أجل أن ينطلق الإسلام في الحياة أكثر ، وقد سار معك المهاجرون والتقى بك الأنصار وبايعوك على السمع والطاعة وقالوا لك في بدر ! لن نقول لك كما قال قوم موسى لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون بل نقول لك إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والله يا رسول الله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، قالوا ذلك لرسول الله بصفته رسول الله ، قالوا ذلك للإسلام ، من موقعهم الإسلامي الذي يواجهون فيه كفراً يريد أن يقاتل المسلمين وشركاً يـريد أن يقضي على الإسلام .

مع كل من يقاتل تحت راية الرسول (ص) :

بايعوه على أساس أن يقاتلوا معه ، ونحن نريد أن نبايع رسول الله على أن نقاتل مع كل من يحمل رايته ، ومع كل من يُطلق عنوان دينه كعنوان لثورته ، وكعنوان لحركتـه ، أن ننطلق في هـذا الإتجاه

لنقول له ، يا رسول الله إننا من وراء الأجيال التي مرت سنعاهدك على أن نكون مسلمين كما هو الإسلام ، سنحمل الإسلام إيماناً في عقولنا وقلوبنا ودعوة بألسنتنا وبكل جهدنا وحركة بكل ما نملك من طاقات وقوة حتى ينتصر الإسلام على كل قوى الكفر ، سنبقى معك يا رسول الله مع كل خط ينطلق من خطك ، ومع كل قيادة تنطلق من قيادتك ، ومع كل منهج يتحرك في منهجك ، سنبايعك على أن نقاتل معك لأنك يا رسول الله ، لا تزال موجوداً بكل الذين يحملون رسالتك من موقع الصدق ومن موقع الحق ومن موقع الثبات والعزة والكرامة .

هل تبايعون رسول الله على ذلك ؟!

قولوها بقلوبكم حتى نؤكد لرسول الله أننا معه وأننا مع رسالته ومعنى أن نبايع رسول الله على الأخلاص للاسلام وعلى الثبات في مواقع الإسلام ، وعلى القوة في معارك الإسلام . معنى ذلك أن علينا أن نخلص لهذه البيعة لأنها ستكون ميثاقاً بيننا وبين رسول الله والله لا يريد للمؤمن أن ينقض ميثاقه .

ولهذا ، إذا بايعتم رسول الله على ذلك فإن معنى ذلك أن عليكم أن تكونوا الثابتين عند الهزاهز وأن تكونوا المخلصين والمنفتحين على الله عندما ينفتح الناس على الشياطين ، أن لا تأخذكم في الله لومة لائم ، أن تكونوا كما كان المهاجرون ، وكما كان الأنصار في خط الإسلام .

الحسين الامتداد للرسول (ص) :

ثم في موسم عاشوراء ، ونحن نحدق بالحسين (عليه السلام) كيف أطلق صيحته وثورته في خط المسيرة ، « إنما خرجت لطلب

الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر » إن هذا الخط الذي كان امتداداً لخط رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذي كان امتداداً لخط العزة في الإسلام : « لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد » عندما نحدق بالحسين (عليه السلام) وهو يفسر لنا حركته ويطلق لنا شعاراته ، ثم يؤكد موقفه ، ثم يجسد تضحيته ليقدم كل ما عنده لله ، ليشهد الله على أنه يحبه ، ويحب دينه ويحب رسوله ، ويحب رسالته ثم يقول في فرح روحي : « هوّن ما نزل بي أنه بعين الله » .

عاشوراء إسلامية :

إننا عندما نحدق بالحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء وهو يقدم كل تلك التضحيات في سبيل الله ، علينا إذا أردنا أن نكون حسينيين ، أن نكون الحسينيين في الإسلام ، لأن الحسين (عليه السلام) كان المسلم الذي انطلق من خط الإسلام في كل ما قام به ، ويروى أنه كان يتمثل بقول الشاعر :

« ولست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي جنب كان في الله مصرعي »

إننا عندما نقول له : « يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً » سيقول لنا جميعاً لا تقولوا يا ليتنا كنا معك ، بل قولوا إننا معك ، لأنني موجود في كل ثورة حسينية في خط الزمن ، لأن ثورتي ليست ثورة محدودة في زمن ، إنها ثورة الخط ، وثورة الرمز وثورة النموذج ، فإذا رأيتم في حياتكم إنساناً يمثل ما أريد ، ويمثل ما أتحرك به ، ويمثل إخلاصي فالتزموه ، ليكن حسينكم ولو بنسبة العشرة بالمئة أو بنسبة الخمسين بالمئة ، وإذا رأيتم ثورة تتحرك في الخط السليم على أساس الخط الذي تحركت به فاعتبروها ثورتي .

مع كل قيادة حسينية :

إذاً ، الحسين يقول لنا : كونوا معي ، لا تقولوا يا ليت ، إن كلمة يا ليت هي الكلمة التي تعبر عن المستحيل ، إنكم تتحدثون عن زمن ماضٍ وقد ثرت من أجل أن يكون لكل جيل ثورة ، وأن تكون كل أرض كربلاء ، وأن يكون كل يوم عاشوراء ، فكونوا مع كل ساحة كربلائية ، وكونوا مع كل زمن عاشورائي ، وكونوا مع كل قيادة حسينية .

إننا في موسم عاشوراء والعالم يتحرك في خط الإستكبار من أجل أن يجهز على النموذج الحسيني للقيادة وللثورة والعالم يتحرك من أجل أن يضع لنا في كل موقع إسلامي يتحرك باسم الإسلام كربلاء جديدة . وعاشوراء جديدة .. إن علينا أن ننضم إلى ثورة الحسين في هذا العصر وأن ننضم إلى خط الحسين في هذا العصر ، حتى لا نكون مجرد أناس يحدقون في الماضي ويعتبرون أنفسهم أنهم قد قضوا حق الماضي ببعض دمعات أو ببعض كلمات بل إن علينا أن نحدق بالمستقبل الذي يتذكر الماضي ليأخذ منه العبرة ، وليأخذ منه الدرس ثم يستجمع عبرة جديدة ودروساً جديدة .

إن علينا أن نؤكد بيعتنا للحسين (عليه السلام) ، كما أكد أصحابه بيعتهم له ، كان كل واحد يأتي إليه ليقول له السلام عليك يا أبا عبد الله ، ويجيبه الحسين برد السلام ، ويطلب من الحسين أن يأذن له في أن يخرج للمعركة ويأذن الحسين له ويتمثل بهذه الآية : ﴿ **من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً** ﴾ .

تعالوا نقف خلف الزمن لنقول له السلام عليك يا أبا عبد الله ، لقد استوعبنا ثورتك ، وقد التزمناها ، ونحن نعيش الآن في

أكثر من كربلاء ، ونحن نعيش الآن في أكثر من عاشوراء . وسنظل نستأذنك ، نستأذن كل القيـادات التي تمثلك . أن ننطلق في الخط السليم ، في خطك ، لنكون من الصادقين في عهد الله كما كان منا صادقون في عهد الله ممن قضى نحبه وممن ينتظر ، ولن نبدل يا ابن رسول الله ، لن نبدل في خطنا ، لن نبدل في إسلامنا ، لن نبدل إيماننا ، كما لم يبدل أصحابك ، فتمثلت بقول الله عنهم وقلت : وما بدلوا تبديلا .

حسين العصر . . وقيادة تستلهم قيادة :

ادع لنا ربك يا ابا عبد الله أن يجعلنا نثبت على إسلامنا حتى لو كان العالم كله ضدنا، ادع لنا ربك يـا ابن رسول الله حتى يجعلنـا نؤمن بإسلامنا ونحرص عليه أكثر مما نحرص على إسلامنا ، أن يكون الله أقرب إلينا من آبائنا وأمهاتنا ، وإخواننا وقرابتنا ، ادع لنا ربك أن يثبتنا على ايماننا ، ونحن نبايعك ، كما بايعنا رسول الله ، ونحن في هـذا الـوقت نتمسـك بـالإمـام الخميني الـذي عـاش حيـاتـه وهـو يستغـرق في فهم ثـورتـك ، حتى عنـدمـا أطلق الثـورة قـال لكـل الناس من حوله : « كل ما عندنا من عاشوراء ، وكل ما عندنا من كربلاء » قال لهم . لقد استطاعت كربلاء بكل هذه المواسم الحسينية أن تعبىء كـل مسلم مـرتبط بـأهـل البيت (عليهم السـلام) تعبئـة ثـوريـة حتى نوافي كل زمن رفضاً للظالم وثورة على الظالم .

لقد فهم ثورتك واستطاع أن يعطي العالم كله ، عندما كان العالم يحدث بثورته ويعجب بها ، قال : إنها ليست مني ، وليست من هؤلاء الناس ولكننا استلهمنا ثورتنا من عاشوراء . وعندما استلهم ثورته منك ، وعندما استلهم خطه ودعوته وانفتاحه على العالم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إننا سنبايعه باسمك وباسم رسول

الله (صلى الله عليه وآله) لن نبايعه كشخص ولكننا نبايعه كخط ، على أساس أنه يمثل الخط الإسلامي الحركي المنفتح على الحياة كلها ، وهو الذي قال : « والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل » قالها للشرق والغرب وعندما أطبق عليه الشرق والغرب قال كما قال جده أمير المؤمنين . . لقد قبل بوقف إطلاق النار ولكنه كان يقول : اني أقبله كمن يتجرع السم ، وقال جده قبله : وصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا .

الانتماء للإسلام وحده :

لقد انطلق في خطك ولا يزال في خطك ونحن معه على أساس الالتزام بخطك . . في بداية هذا الموسم لننطلق من هذه النقطة ، نقطة التأكيد على انتمائنا للإسلام ، والتأكيد على انتمائنا لحركية الإسلام في الهجرة والتأكيد على إنتمائنا لحركية الإسلام في ثورة الحسين (عليه السلام) . لأن الإسلام المنفتح على الدعوة والمتحرك في خط الواقع هو الإسلام الذي أراد الله له أن يستمر وأن يبقى ولذلك فإن علينا أن نحصل على هذا الشرف الكبير ، أن نكون جنود الإسلام ، وأن نكون حزب الإسلام ، وأن نكون الدعاة للإسلام إنه شرف كبير ، لا يعرفه إلا الذي يقف غداً بين يدي الله تعالى لتخاطبه الملائكة وقد عاش الصبر كله والعناء كله والجهد كله : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم ﴾ . .

قيمة العقل في الإسلام[1]

نحن في بداية سنة هجرية إسلامية جديدة ، هي السنة التاسعة بعد الألف والأربعمائة من الهجرة ، وعندما نقف في بداية هذه السنة لا بد لنا من أن نقف وقفة تأمل وتفكير ، لأن الإسلام يريد من الإنسان دائماً أن يستشعر مسؤولية فكره في حياته ، فكرك الذي ينطلق من عقلك هو حجة الله عليك يحاسبك الله يوم القيامة على أساس أن لك فكراً يمكن لك من خلاله أن تدرس كل القضايا التي تحيط بك وأن تتعرف الحسن والقبيح وقد ورد في الحديث أن الله سبحانه وتعالى لما خلق العقل قال له : أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال : «وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز عليّ منك ، إياك آمر وإياك أنهى وبك أثيب وبك أعاقب» .

معنى ذلك أن طاقة العقل التي جعلها الله سر عظمة الإنسان وسر إبداعه وسر خلافته التي جعلها له في الأرض بحيث يتميز على كل ما خلق الله ، حتى الرسول عظمته في عقله الذي يستطيع من

(١) من محاضرات عاشوراء ٣ محرم ١٤٠٩ هـ .

خلاله أن يستوعب رسالة الله وأن يفكر في آفاق الله وأن يحرك الرسالة في الدروب التي يريد الله منه أن يحرك الرسالة فيها ، وقد ورد في بعض الأحاديث أن الله يثيب الإنسـان بمقدار عقله ، ويعاقب الإنسان بمقدار عقله ، فقد تقـوم بعمل بسيط ، ولكن عقلك الـذي يحرّك العمل ويحيط بالعمل ، كان عقلاً كبيراً مميزاً يفهم روحية العمل ، وطبيعته ، ونتائجه وآثاره وكل الظروف المحيطة به فيعمله بعد دراسة ذلك كله ، فإن الله قد يعطيك من الثواب على هذا العمل البسيط ، إذا كنت واعياً له بعقلك أكثر مما يعطي إنساناً آخر قد يأتي بعمل أكبر من حجم العمل الذي أتيت به ولكنه يأتيه بدون وعي ، أو بوعي بسيط ، إن الله يجعل العمل القليل أكثر ثواباً من العمل الكثير ، ولهذا ورد في الحديث أن : ركعتين يصليهما العالم ـ والمراد من العالم ليس هو الذي تزيّ بهذا الزي ليكون عالماً بالمصطلح الرسمـي لكن من كان عالماً يعيش العلم في عقله فكراً وانطلاقاً وانفتاحاً على الحياة من حوله ـ خيرٌ من عبادة سنة أو أقل أو أكثر يصليهما العابد ، والمـراد من العابد، هو الذي يعبد الله في الليل والنهـار ولكنه لا يملك وعي العبادة ، ولا يملك روحية العبادة . لأن الإنسان الذي عمل العمل البسيط كان منطلقاً من عقل كبير بينما ذاك كان منطلقـاً من عقل محدود .

العقل . . الرسول :

وقد ورد عندنا في بعض الأحاديث أن : « العقل رسولٌ من داخل والرسولُ عقلٌ من خارج » بحيث أن الله جعل عقلك رسولاً أرسله إليك . ولهذا هناك أناسٌ في العالم لا تبلغهم الرسالة . هناك أناسٌ لم يسمعوا بموسى ولا بعيسى ولا بمحمد (صلى الله عليه وآله) ولم يقرأوا إنجيلاً في وقت نزول الإنجيل ولا توراة في وقت نزول

التوراة ، ولا قرآناً في وقت نزول القرآن ، كيف يحاسبهم الله ؟ هؤلاء الذين يعيشون في مجاهل العالم ولم تصلهم الدعوة ؟! كيف يحاسبهم الله ؟. إن الله يحاسبهم على الأشياء التي تدركها عقولهم . أما الأشياء التي لا تدركها عقولهم ويحتاجون فيها إلى أن يأتي هناك رسول يبلغهم إياها ، فلا يحاسبهم الله عليها ، لأن الله يحاسبهم بعقولهم ، سيأتي الإنسان الذي يعيش في مجاهل العالم غداً بين يدي الله فيحاسبه الله على إيمانه ، هل آمنت بالله أو لم تؤمن بالله ، عندما يقول : لم يأتني رسول ، يقول له الله : إن الإيمان بالله لا يحتاج إلى رسول ، بل إن الايمان بالله ينطلق من خلال ما تنظر في كل حياتك ، وما تشاهد ، ثم ما تستنتج وأنت تملك عقلاً يستطيع أن يدلك على الله باعتبار أن العقل عندما يدرس ما حوله يدرك أن الأشياء لا بد أن يكون لها خالقٌ وموجد ، ومن هنا قيل إن الإسلام هو دين الفطرة .. أي أن فطرة الإنسان ووجدانه هو الذي يدفعه إلى ذلك :

« وفي كل شيء له آيةٌ تدلُ على أنه واحدُ .. »

الإشراقة الرسولية :

فالعقل هو رسول ، سيقول الله للناس الذين جحدوه ، إنني أرسلت إليكم رسولاً ، فيقولون يا ربنا لم نلتقِ برسولٍ ولم نستمع إلى رسول ، فيقول : ألم أعطكم عقلاً هو الإشراقة الرسولية في داخلكم : ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ أي لو كنا نسمع من الأنبياء ، ولو كنا نعقل الأمور في ادراكنا ، ما كنا في أصحاب السعير . فأنت تكون في النار لأنك لم تحرك عقلك ، وأنت تكون في النار لأنك لم تشغّل سمعك . ولهذا فالعقل رسولٌ من داخل والرسول عقلٌ من خارج ، يأتي الرسول بوحي الله سبحانه وتعالى ليكمل لك ما لم يستطع عقلك أن يدركه ، ومن هنا فلأن الله اعطانا

عقلاً ، أرادنا أن نشغله ، وأرادنا أن ننميه ، وأرادنا أن نقويه ، تماماً كما أنك مسؤولٌ أن تقوي جسدك حتى لا تموت ، أنت مسؤول أن تقوي عقلك حتى لا تضل ، وحتى لا تسقط ولهذا رأينا الله سبحانه وتعالى يحرِّم الأشياء التي تذهب العقل ، وهي الخمر ، المخدرات ، وغيرها ، على أساس أن الخمر يُذهب عقلك ويجعلك تعيش في عالم شعوري ليست له ضوابط ، ويجعلك تعيش في عالم فكري ليست له ركائز ، ولذلك فإنك بذلك تعيش حالة انعدام الوزن العقلي والشعوري والحسي والله لا يريد لك أن تأخذ إجازة في عقلك في أية حالة إلا حالة النوم .

بعض الناس يقولون نريد أن نهرب من آلامنا ، نريد أن نهرب من أحاسيسنا القاسية ، نريد أن نهرب من مشاكلنا التي تحيط بنا من كل جانب ، إن الله يقول لك ، لقد أعطيتك حالة هروب طبيعية ، إذا أردت أن تريح جسدك وأن تهرب من أفكارك الصعبة ، ومن أحاسيسك القاسية ، نم قليلاً ، نم النوم الطبيعي ، وفي النوم عوالم أخرى سترى أشياء كثيرة ، وستحلم أحلاماً كثيرةً ، ربما تعطيك حالات نفسية مريحة . وإذا أردت أن تريح نفسك فبإمكانك أن تلهو في حياتك لهواً بريئاً تعطي نفسك حريتها في لذاتها بغير محرَّم ويكون عقلك موجهاً للهوك ولا يكون لهوك بعيداً عن عقلك .

مسؤولية التفكير :

وهكذا لا يريد الله منا أن نغيب في حياتنا اليقظة عن حركة عقولنا سواء كان ذلك في شرب الخمر أو كان ذلك في ممارسة المخدرات لأن معنى ذلك أنك تعيش وقتاً أنت غيرُ مستطيع لممارسة المسؤولية والله يريد منك أن تعيش حس المسؤولية في كل لحظة . ولهذا كانت خطورة شرب الخمر من جهة أنه يجعلك تبتعد عن عقلك

وعن مسؤوليتك ، وإذا تحركت في الحياة من دون عقل ، ومن دون مسؤولية فإنك تكون خطراً على نفسك وعلى الحياة .

وهكذا عندما تتناول المخدرات فإنها تضعف طاقتك العقلية ، وتضعف إحساسك بالمسؤولية في هذا المجال .

لهذا يريدنا الله دائماً أن نفكر . لنعرف ما حولنا ، وأن نفكر لننمي عقولنا ، وأن نجرّب ونفكر ونحن نستخدم التجارب من أجل أن تستزيد في عقولنا : « خير ما جرّبت ما وعظك » والامام علي يقول : « في التجارب عقلٌ مستحدث أو مستأنف » .

أرادنا الله دائماً أن نفكر في الأشياء الغامضة لنفتحها فإذا أعوزنا عمق التفكير قال الله لنا اجمعوا أفكاركم الى أفكار الآخرين ، اختر إنساناً يملك عقلاً مثل عقلك أو أكبر من عقلك وشاوره ، لأن المشورة معناها أن تضم فكرك الى فكر الآخرين وعند ذلك يمكن أن تنتج فكراً جديداً ، ولهذا تحدث الله عن المجتمع المسلم أنه مجتمع الشورى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ وقال لرسوله : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ شاورهم في الأمور وإن كنت لا تحتاج لمشورتهم حتى تعودهم على ذلك .

دراسة التجارب :

في هذا الجو لا بد لنا أن نعيش حياتنا من خلال ارادة العقل فينا ، ومن خلال إرادة الايمان فينا ، ومن خلال حركة التجارب في واقعنا ، أن تمر بك التجربة فلا تنظر إليها نظرة بلهاء ، بل ادرسها ، هذه تجربة ربما تختزن الفشل ، وربما تختزن النجاح ، إذا كانت تجربة فشل ، سواء في حياتك الاقتصادية والاجتماعية ، او العاطفية أو السياسية ، إذا مرت بك تجربة تحركت بها في حياتك ، ادرس

التجربة ، هل هي تجربة فاشلة أو هي تجربة ناجحة ، إذا كانت تجربة فاشلة فادرس من أين جاء الفشل حتى لا تكرر التجربة الفاشلة مرة اخرى ، وإذا كانت التجربة ناجحة ، ادرس ما هو سر النجاح فيها ، حتى تستزيد منه في تجاربك المستقبلية ، . أن تعطيك التجربة خطوة للامام ، أن لا تتجمد لتكون إنساناً يكرر الفشل . كالكثيرين من الناس الذين إذا مرت بهم التجربة الفاشلة ، حاولوا أن لا يتوقفوا عندها ، أو أن يفسروها تفسيراً عشوائياً وبذلك تتكرر هزائمهم ويتكرر فشلهم . لأنهم لم يعرفوا سر الفشل وسر الهزيمة ، لا بد لنا أن نتحمل مسؤولية أن نواجه تجاربنا وأن نجرب ، لا تقفوا على التل لتواجهوا الذين يخوضون التجارب لتنتظروا النتائج الجاهزة حتى تأتيكم من خلال ذلك ، بل انزلوا الى ساحة المعركة ،كلٌ في دائرته،جربوا كما يجرّب الآخرون وفكروا كما يفكر الآخرون ، حتى تستطيعوا ، وأنتم تعيشون مع الآخرين أن تعطوا لأنفسكم شخصيتها وأصالتها .

أما الذين يجلسون على التل ويقولون للآخرين جربوا واعطونا النتائج فسيجرب الآخرون وسيأخذون التجارب لحسابهم لا لحسابك ، لن يعطوك كل نتائجهم ، بل يعطوك بعض النتائج التي تجعلك تابعاً لهم ولا تجعلك أصيلاً .

إننا نحتاج إلى أن نتعلم تجارب الآخرين لكننا لن نستطيع أن نحصل على الأصالة في كل جيل ، إلا إذا استطعنا أن نؤكد تجربتنا بأنفسنا لتنضم تجربتنا إلى تجربة الآخرين ، وأن نفكر في كل الأحداث التي تمر علينا ، أنت في بيتك وفي بيتك أشياء كثيرة ، فيما يقوم به أبوك أو أمك أو إخوانك وأخواتك فبيتك هو مختصر العالم الذي حولك ، فكر به في الحسنات وفي السيئات ، في الخطأ والصواب ، في الاستقامة والانحراف . ادرسه وفكر فيه حتى لا تعيش مع التيار العاطفي في بيتك ، فلعل التيار ينطلق بك إلى مجالات الضياع .

وهكذا في مدرستك ، في مجتمعك الصغير ، في مجتمعك الكبير ، فكر بحجمك ، لا تقل إني لا أزال طفلاً في العاشرة من عمري ،أو لا أزال في أول الشباب في الخامسة عشر من عمري وأنا لست ممن يفكر ، الكبار يفكرون لي ، فكّر بحجم عقلك الطفولي فإنك قد تصل من خلال صفاء قلبك إلى ما لا يصل إليه الكبار .

ربما تكون لدى الكبار بعض الموانع النفسية التي لا يصلون بها الى الحقيقة ، ينقل عن بعض المراجع الكبار في النجف الأشرف أنه كان يعطي الدروس للعلماء المجتهدين ويلتحق بدروسه الذين فرغوا من مرحلة دراسة السطوح (دراسة الكتاب بنفس الكتاب) .

الطريقة الموجودة هناك في حوزات النجف وقم وغيرهما أن العالم عندما يعطي درسه يحاول أن يستمع لكل وجهة نظر واشكال تصدر من كل طالب ، ويستمع إلى ملاحظات التلاميذ ، وتحصل مناقشة بين الأستاذ والتلميذ ، وهذا الذي يجعل عمقاً عند الذين يتخرجون ويدرسون جيداً ، من النجف أو من قم ، على أساس أنهم يعيشون تعلم الفكرة من خلال مناقشتها مع الاستاذ ، من دون أن يشعر الاستاذ أن هناك وهناً أن الطالب يقف ليناقشه .

في بعض الحالات كان هذا العالم المرجع الكبير يواجه ملاحظات . من طلاب في أول دراستهم في (بحث المخارج) فيستمع لهم ، والتفت إليه بعض العلماء الكبار الذين كانوا يدرسون عنده منذ عشرين سنة تقريباً ، وقال له : يا مولانا لماذا تعطل وقتك بالانتباه الى مناقشات هؤلاء الذين لا يزالون في أول الدراسة ولم ينهلوا من العلم شوطاً طويلاً ، لماذا لا تؤخّر هذا حتى لا تعطّل وقتنا ووقتك .

فقال له : إننا نروي أن العلم ليس بكثرة التعلم ، ولكنه نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء ، وقلب ابن العشر سنوات يكون صافياً لم

تعقده المعاصي ، ومن الممكن أن يلقي الله الحقيقة في قلب هذا الشاب . . ولعل الله يلقي الحق على لسانه فاستفيد أنا منه .

كثير من العلماء ربما ينتبه إلى كثير من النظريات العلمية من دون أن يكون قد حضر لها مقدماتها ، ولكن تأتيه حالة إشراق روحي وفكري يستطيع أن يصل الى هذه الحالة .

لا تكفوا عن الفكر :

ولهذا ربما تكون في بدايات حياتك وقد يعطيك الله الفكر الذي لا يستطيع إنسان هو أكبر منك أن يصل إليه ، ولهذا ، لنعوّد أنفسنا دائماً أن نفكر ، ليفكر كل واحدٍ منا بحجمه في كل شيء ، المهم أن لا نجمد فكرنا ، إنكم إذا جمدتم فكركم تكونون مثل الذي يجمّد عضلاته ، لو أنك جمّدت يديك فلا تتحركان مدة ، ان البعض يقول إن اليد تصغر وتتجمد ، وهكذا إذا جمدت رجليك عن الحركة ومكثت سنين ولا تمشي ، فإنك لن تستطيع أن تمشي بعد ذلك ، ليس هناك فرق بين عضلاتك العقلية ، وعضلاتك الجسدية فكما أن عضلاتك الجسدية لا تقوى إلا بالممارسة فعضلاتك العقلية لا تقوى الا بالممارسة ، لا يهمكم فقط ان يكون عندكم ، الجمال الجسماني والكمال الجسماني لتستعرضوا عضلاتكم أمام الناس وتأخذوا الجائزة الكبرى ، حاولوا أن يكون عندكم الكمال العقلاني بحيث تكون « عضلات » عقلكم قوية تستطيعون من خلالها أن تواجهوا العقل الذي يتحداكم ، لأن تحديات العقل أعظم من تحديات الجسد ، إنك تستطيع إذا قابلك إنسانٌ بمدفع أن تقابله بصاروخ ، لكن إذا قابلك إنسانٌ بفكر ، فهل تستطيع أن تهزم فكره بالمزيد من اللكمات ، أو بالمزيد من الرصاصات ، قد تكسر رأسه ولكنك لن تستطيع أن تكسر فكره .

ونحن قد نحتاج في حياتنا الثقافية ، وفي حياتنا السياسية ، وفي حياتنا الاجتماعية ، قد نحتاج الى أن ندخل معارك الفكر ، ومعارك العقل ، عندما ينطلق هناك عقلٌ يتحدى ما تنتجه عقولنا ، وعندما يكون هناك فكرٌ يتحدى ما تنتجه أفكارنا ، لا بد لنا أن نقوي عضلات عقولنا في ساحة الصراع ، ولهذا أقول لكم ما أقوله لنفسي دائماً لا تكفوا عن الفكر في الأشياء الصغيرة ، وفي الأشياء الكبيرة .

وهذا ما أراده الله لنا دائماً أن نفكر في كل مرحلة زمنية واعتبر التفكير فريضة عقلية ، من لا يفكر يعصي الله لأن من لا يفكر سوف يضلّ ، وسوف يضيع وسوف ينحرف وسوف يسيطر عليه الآخرون ، وسوف يضعف ، وسوف يُضعف مواقع أمته بضعفه .

لهذا ورد في الحديث عن هؤلاءالذين يتقبل الله منهم أحسن ما عملوا ، من هم؟ . . : ﴿ **ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ .

وهكذا ورد في الحديث عن رسول الله (ص) : « تفكر ساعة خيرٌ من عبادة سنة». أن تتفكر في قضية تهمك وتهم الناس ، إن الله قد يجعلها عنده أفضل من أن تعبده سنة ومن دون تفكير ، لأن الفكر هو الذي يعرِّفك بالله ، وهو الذي يفتح آفاقك على الله .

مسؤوليتنا أمام السنة الجديدة :

وعلى هذا الأساس ، عندما نبدأ سنة ، وهي سنة إسلامية لأنها انطلقت من الهجرة التي هي المناسبة الاسلامية التي جعلت هناك إنفتاحاً على الحياة . بعد أن كان هناك إنفتاحاً على الدعوة بعيداً عن حركة الحياة . نحتاج إلى أن نفكر في كل سنة بطريقتين :

- طريقة ذاتية - وطريقة اسلامية :

أما الطريقة الذاتية : فهي أن نفكر كيف كنا في السنة الماضية وكيف نحن الآن ، ما هي خصائصنا العقلية ؟ هل تعلمنا أكثر ، هل استطعنا أن ننمي طاقاتنا أكثر ؟ هل زاد رصيدنا الاخلاقي ؟ هل استطعنا أن نضيف إلى رصيد أمتنا في مسألة التقدم والعزة والكرامة ، رصيداً جديداً ؟. هل استطعت أن أهدي أناساً كانوا ضالّين أو أخدم أناساً كانوا محتاجين أو أواجه تحديات كانت تفرض نفسها على الساحة ؟. هل كنت في هذه السنة عنصراً فاعلاً في داخل المجتمع تماماً كما هي العناصر العضوية التي تتحرك مع بقية أعضائي لتنتج ذلك ؟ أو أني كنت عضواً مشلولاً ، عندما يدخل المجتمع معركة فالتل هو مكاني في الإشراف على المعركة ، وعندما ينطلق الناس في الأوضاع الشاذة فإنني أكون معه في ذلك ؟ كيف كنت ، هل كنت عنصراً مشلولاً . أو كنت عنصراً متحركاً حياً ، كيف كنت في العام الماضي وكيف أنت الآن .

البعض من الناس تمر السنون في حياته ويبقى طفلاً . . . قد يكون عمره ثمانون سنة ولكنه في تصرفاته هو أقل من طفل ، لأن الزمن تجمد في حياته فهو لم يحرك طاقاته ، ولم يتحرك مع الناس ، ولم ينمِ عقله ، ولم ينوع تجربته ، فتراه طفلاً يبلغ الثمانين ، لأن عقليته عقلية طفل ، وتجربته تجربة طفل .

وبعض الناس يعيشيون في الحياة وهم عبء على الحياة ، يخدمهم الناس ولا يخدمون الناس ، يسترخون ويستريحون ويلهون ، ولا يشعرون بأية مسؤولية أمام الناس ، فتراه هذا يخدمه ، وهذا يعطيه ، وهذا ينقله وهذا يقويه . . وهو ليس له شغلٌ إلا أن ينام كثيراً ، ويلهو كثيراً ويأكل كثيراً ويعيش على ظهور الناس السذج كثيراً ، ولا شيء

هناك !! يأخـذ من الحياة ولا يعـطيها . هنـاك نفرٌ كبيـر من الناس يعيش على هذا الأساس ولكن الإسـلام يرفض ذلـك حتى لو جلست في بيتـك تعبـد ربك من الصبـاح إلى المساء ومن المسـاء إلى الصباح صـلاة وذكر ودعـاء ، وخشوع وكـان هناك من يجلب لـك رزقك ويخـدمك في أكلك وشربك ولباسك ، هو أكثر عبادة منك عند الله ، لا أكثر فضلاً فقط . . .

قيل : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) افتقد رجلاً ، أين هو؟ قيل هو في البيت يعبد ربه قال : فمن يقوته ، قـالوا يقـوته فلان ، قال : هو أعبدُ منه » إن عمله في سبيل مسؤوليته يعتبر عبادة أكثر من عبادة هذا الذي ترك المسؤولية وترك الدنيا وانصرف للصلاة وللصيام .

ربما نجد أن الفتن التي تحدث في المجتمعات ، كالفتنة التي تحيط بنـا تجعـل كثيـراً من النـاس بـطالين. بـاسم أنـه لا عمـل لـه، والعمـل موجود ، ولكنهم يريدون العمل الذي يعينهم على الاسترخاء لا العمل الذي يدفعهم إلى الجهد والتعب .

بعض الناس يقفون يتسولون عـلى أبواب المكـاتب التي تقدم الخدمات وهم قادرون في يوم واحد أن يحصلوا على أكثر مما يأخذونه في شهر ، لكنهم أدمنوا البـطالة ، أدمنوا الفراغ ، أدمنوا الجلوس في الشوارع .

وبعض النـاس كـل شغلهم لا يعملون ، ولا يقـرأون ، ولا يدرسون ، لكن كل شغلهم أنهم يتظاهرون ، فكأنهم إذا خرجوا في « كم مظاهرة بالسنة » قد وفّـوا قسطهم للإسلام ، والإسلام يقول لك بقدر ما تعمل تخدم الإسلام ،وبقدر ما تقرأ تخدم الإسلام .

إنك ، إذا كنت التلميذ الفاشل وكنت مؤمناً فإن فشلك ينعكس

على الايمان ، وإنك إذا كنت الإنسان البطّال فإن بطالتك تنعكس على الاسلام .

لهذا في نهاية السنة فكر من أنت ، هل أنت البطال أو العامل ، هل أنت الكسول أو الجاد ، هل أنت المسؤول أو أنت الـذي لا تتحمل المسؤولية ؟ من أنت في صفاتك ، هل صرت صادقاً أكثر ، هل صرت أميناً أكثر ، هل صرت مسؤولاً أكثر ، هل صرت عفيفاً أكثر ؟ لا أريد أن أكرر النماذج أيها الأحبة ، لكن أريد أن أقول إن مسؤوليتنا في مثل هذا اليوم أن نحرّك عقلنا في جلسة تأمل . إنكم تندبون على الحسين بصدوركم وتتحمسون لكن الحسين يريدكم أن تندبوا أنفسكم على ما تعيشونه من مأساة الجهل والتخلف واللامبالاة واللامسؤولية .

هل نحن في خط الرسول :

في هذه السنة لا بد لنا أن نعيش هذه الصفات لنعرف هل تقدمنا أم رجعنا هل اقتربنا من الله أم ابتعدنا عن الله ، اجلسوا وتأملوا واقرأوا قول الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونـوا كالـذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئـك هم الفاسقون * لا يستوي أصحـاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ .

تأملوا في حياتكم الذاتية ؟

أما كيف نتأمل في حياتنا الإسلامية ؟ هل تقـدم الإسلام أو تأخر ، هل أعنّا الإسلام ام خذلناه ، كيف نحن كإسـلاميين ، كيف نحن كمسلمين ؟ هل كانت سنتنا سنة إسلامية ، أو كانت سنتنا سنة جاهلية هذا حديث لا بد أن نثيره في حياتنا ومع أنفسنا حتى ندخل محراب السنة الجديدة بوعي جديد وتجربة جديدة وروح جديدة لنعرف أنفسنا كمجتمع إسلامي أننا في خط الرسول نسير أو أننا في خط أبي جهل نسير . . .

الاستقامة في
حركة الدعوة إلى الله[1]

﴿ . . . فاستقم كما أمرت ومن تبعك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ﴾ .

﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ﴾ .

وهكذا أراد الله لنبيه ولكل الذين يؤمنون به ويتبعونه ، ويلتزمون دينه ، أن تكون الإستقامة عنوان حياتهم ، في كل موقع يكونون فيه ، وفي كل مسيرة ينطلقون فيها .

الاستقامة تعني انك عندما تلتزم خطاً فإن عليك أن تدرسه جيداً قبل أن تلتزمه ، هل هوالخط الذي يمكن ان يؤدي بك الى الفلاح والنجاح ؟ . هل هو الخط الذي يمكن أن يصل بك إلى سلامة المصير ؟ . أو أن هناك إشكالاً في الموضوع . فإذا أردت أن تبدأ خطاً وكانت هناك شبهات وإشكالات تحيط بك ، سواء كان ذلك على

---

(١) من دروس عاشوراء القيت في مسجد الإمام الرضا (ع) في بئر العبد في اليوم الرابع من محرم ١٤٠٩ هـ .

مستوى فكرة الخط ، أو على مستوى القيادة فلا بد لك أن تتوقف قبل أن تلتزم الخط ، وقبل أن تنتمي إليه ، وقبل أن تتحرك فيه ، لأنك إذا سرت وفكرك مرتبك وروحك غير منفتحة فإن معنى ذلك أنك تسيّر وجودك في طريق لا تعرف إلى أين ينتهي بك . تماماً كما هم الناس الذين يركبون الموجات التي تتحرك في البحار التي توجد في ساحاتهم ، سواء كانت الموجات ، موجات سياسية ، أو موجات اجتماعية ، أو موجات شهوانية . إن الذين يركبون الموجات دون أن يدرسوا موقع الموجة وحركتها ، ومدى الارتفاع الذي ترتفع به ومدى إمكانات هدوئها ، فإنهم يضعون أنفسهم في موقع ولا يعرفون فيه مجال السلامة لأن الموجة قد تلقي بك في أعماق البحر لتغرقك ، وربما تنتهي بك إلى الشاطيء عندما تتكسر على الشاطيء ، لكنك تبقى قلقاً ، وتبقى مرتبكاً لأنك لا تعرف نفسك إلى أين تسير .

شرعية الإنتماء :

وهكذا لا بد للإنسان أن يدرس إنتماءه والتزاماته ليعرف إلى أين تؤدي به ، قد تنتمي الى عشيرتك إنتماءً عملياً ، وقد تنتمي الى بلدك إنتماءً عصبياً وقد تنتمي إلى حزب هناك أو منظمة هناك أو حركة هناك أو ما إلى ذلك فعليك أن تعرف نفسك ، هل يؤدي بك هذا الانتماء الى النار ، أو أن هذا الانتماء يؤدي بك إلى الجنة لتحدد خط سيرك على هذا الأساس ، هل أنت سائر الى النار أو أنت سائر الى الجنة ، المهم أن لا تسر ولا تلتزم إلا على أساس دراسة عميقة تفكر فيها مع نفسك وتسأل فيها أولي الرأي من قومك ممن يملكون الفكر ، وممن يملكون النصيحة في ذلك كله .

القيادة الأصيلة :

فإذا وضح لك الحق وعرفت ان هذا الطريق يؤدي بك الى الله

وأن هذا الطريق يؤدي بك الى الجنة فحاول أن تؤكد وعيك أولاً في كيف تفهم حركة هذا الخط، وكيف تتعرف مواقع المراحل التي تريد أن تقطعها حتى تعرف نفسك أنك تسير في نور، حتى في خطك الذي تلتزمه وتؤمن به، حاول أن تلتزم بالقيادة التي يمكن أن تسير بك في الطريق نحو الهدف الكبير، قيادة تؤمن بالخط وقيادة تفهم الخط، وقيادة تعرف ما يخرجك من دينك وما يدخلك في دينك، لأن القيادة عندما تكون جاهلة فإنها قد تخرجك من دينك في الوقت الذي يخيّل إليها أنها تدخلك في الدين، أو أنها تعمل أن تدخلك في غير الدين ويخيّل إليها أنها تدخلك في الدين.

لهذا لا بد أن تكون القيادة التي تقودك في خطك الذي تؤمن به قيادة واعية، وقيادة تعرف كل المعلومات التي تؤكد وقوفها هنا وهناك في المواقع الصحيحة. ثم لا بد أن تكون هذه القيادة قيادة مخلصة بحيث أنك تأمن عليها أن لا تخونك في المواقف الصعبة وأن لا تنحرف بك في مواقع الانحراف، وأن لا تبيعك بالثمن الرخيص الذي تريد أن تلبي به أطماعها وشهواتها.

حاولوا أن تعرفوا صدق قياداتكم، وإخلاصها لله ولرسوله، حتى تأمنوا على أنفسكم عندما تطيعونها فيما تأمركم به وفيما تنهاكم عنه، ولا بد أن تكون هذه القيادة واعية للظروف الصعبة التي تحيط بالواقع فتفهم كل تطورات الواقع، لأن كثيراً من الناس قد يفهمون الإسلام جيداً، ولكنهم لا يعرفون كيف يحركونه في الساحة، ولا يعرفون كيف يوّجهون الخطى في الطريق التي تؤدي بالناس إلى الله.

لهذا لا بد للقائد أن يكون عارفاً بدينه، مخلصاً لله، وللناس وأن يكون عارفاً بزمانه، وعارفاً بأهل زمانه.

وهكذا إذا التزمت خطاً من خلال قيادة صالحة مؤمنة، فكر في

أن هذا الخط الذي تلتـزمه هو خط يحمل لك أكثر من مشكلة ، ويحمل لك في مستقبلك أكثر من صدمة ، ويمكن أن يدفعك إلى أكثر من تجربة ، قد تأتيك المشاكل لتزلزل ثباتك ، وقد تأتيك الشبهات لتهز قناعاتك ، وقد تأتيك الصدمات لتدفعـك إلى الانحراف عـلى أساس ان الصدمة قد تكون قوية بحيث تقتلعك من مكانك وتلقيك في مكان آخر . . .

قوة الفكر والارادة :

لهذا ، لا يكفي أن تلتزم الإسلام ، بل أن تمـرن فكرك على أن يظل ملتزماً بالإسلام مهما أثير حوله من شبهات ، كن المسلم المثقف ، الواعي ، الذي تفهم دينك وتفهم ما يخرجك من دينك حتى إذا جاء الناس ليفتنوك عن دينك بالشبهات وليبعدوك عن قيادتك بالاتهامات ، كنت الإنسان الذي يملك الفكر الذي يستطيع أن يقف ضد الشبهة ليزيلها وضد التهمة ليفندها ، لا أن تكون من الناس الذين يأخذون الفكر اليوم ويتركونه غداً . .

ثم لا بد لك أن تمرن ارادتك ، أن تجلس مع نفسك ، لتقول لنفسك ، إنني في هذا الخط ، أعتقد أنه طريق الإسلام ـ بعد أن تحرز خطك ـ أنت الآن مسلم يلتزم الإسلام كله كعنوان للحياة كلها في عباداتك وفي معاملاتك وفي علاقاتك وفي حربك وفي سلمك ، بحيث أننا نريد أن نلتزم الاسلام على الطريقة التي إلتزمها رسول الله (صلى الله عليه وآله) . فقد التزم الإسلام كله ، وهكذا جـاءنا عن الله ليقول : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ . بحيث تكون الحياة كلها إسلاماً .

إذا التزمت ذلك ، قل لنفسك ، الاسلام هو الـطريق الذي يؤدي بي الى الله ، لأن الله يقول : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ،

ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ معنى ذلك أنك لا بد لك أن تجعل الإسلام ديناً لك يحرّك حياتك ، أن تكون مسلماً في بيتك ، مسلماً في دائرة عملك ، مسلماً في حياتك الاجتماعية ، مسلماً في علاقاتك السياسية ، مسلماً في الحرب وفي السلم ، بحيث أن لا تبتغي غير الإسلام ديناً في كل موقع فإذا وقفت في كل موقف ، فقل أين الإسلام وأين الكفر لتلتزم الإسلام وتواجه الكفر .

اجلس مع نفسك وحاورها وناجها ، وحاول أن تثير مع نفسك الأحاديث ، لأن من لم يجلس مع نفسه ، ومن لم يحدث نفسه ، ومن لم يجعل من نفسه صديقاً يحاوره ويناجيه فسيأتي الناس ليغلبوه على نفسه ، وسيأتي الناس ليقتحموا عليه نفسه ، وسيأتي الناس ليبعدوا نفسه عن الطريق الصحيح .

الثبات عند مواقع الزلزال :

لهذا جربوا أن تجلسوا مع أنفسكم ، قولوا لها إن الإسلام طريق الخلاص ، وأننا اذا ابتعدنا عن الإسلام فإننا نبتعد عن طريق خلاصنا . لهذا قد تواجهك يا نفس في الطريق مشاكل ، فإذا جاءتك المشاكل التي قد تكون مشاكل مالية تخسر فيها بعض المال ، وقد تكون المشاكل عاطفية تبتعدين فيها يا نفس عمن ترتبطين به ارتباطاً عاطفياً وقد تكون المشاكل مشاكل اجتماعية ، أو سياسية ، أو مشاكل جسدية يضطهد فيها الجسد ، أو مشاكل أمنية ، يعيش فيها الإنسان الخوف ، يا نفس كيف تفعلين إذا واجهت هذه المشاكل ؟ هل تسقطين ؟ أمام هذه المشاكل او تتابعين خط السير ؟ ؟! إنك إذا سقطت أمام المشاكل فستفقدين رضا الله وستفقدين النجاة يوم القيامة وستكونين في الآخرة من الخاسرين . أما إذا تصلبتِ يا نفس ووقفت

وركزت الإرادة ، وتحملت الخسارة هنا على أساس الربح هناك ، وتحملت الألم هناك فستحصلين على رضا الله ، لهذا لا بد من الثبات عند مواقع الزلزال ، ولا بد من الاستقامة عند صدمات الانحراف ، والله يقول في كتابه المجيد للذين يستقيمون على الخط ، ولا يستسلمون للضغوط بل يواجهون الضغوط بكل قوة : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون * نزلاً من غفور رحيم** ﴾. وفي آية أخرى : ﴿ **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * اولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ .

إذاً أن تستقيم فلا تنحرف، ولا تسقط معناه أنك تربح الجنة ، والجنة هي ما نسعى إليه باعتبار أنها تعبِّر عن رضا الله سبحانه وتعالى . لهذا لا تجاملوا أحداً في مسألة مصيركم ، جاملوا الناس ، جاملوا أهلكم ، جاملوا أصدقاءكم في القضايا الاجتماعية التي لا تسيء الى مواقفكم الحقيقية، وداروهم فيما لا تتحرك فيه المداراة لتنحرف بكم عن الخط لكن إذا كانت المسألة مسألة تتصل بالله وتتصل بالمصير فإن عليكم أن لا تجاملوا أحداً ، وحده (الله) الذي لا بد لكم أن تراقبوه ، وحده الذي لا بد لكم أن تحسبوا حسابه ، وحده هو الله الواحد .

قالها رسول الله : ﴿ **قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه** ﴾ إنطلقوا في خطة واستغفروه مما أذنبتم فيه ، إذا جاءكم الناس ليشغلوكم عن الله قولوا لهم . لن تنصرونا إذا أراد الله أن يخذلنا ، ولن تنقذونا إذا أراد الله ان يعذبنا قولوا لهم ذلك بكل قوة وربوا أنفسكم على ذلك ، وركزوا إرادتكم

على ذلك ، أن تكون ارادتكم الإرادة الواعية التي تتمرد على اللذات والشهوات عندما تقدم إليكم كـإغراءات وتتمـرد على الآلام وعـلى المصائب عندما تتقدم إليكم على أساس تخويفات وتـرهيبات ، لأن الإنسان مسؤولٌ أن ينقذ نفسه .

الأمثولة من كربلاء :

ولعلكم عندما تـدرسون شخصيـات أصحاب الحسـين (عليه السلام) في مسألة عاشوراء فإنكم ستجدون خط الاستقامة ، هو الخط الذي يتحركون فيه .

نحن نقرأ ونسمع في قصة مسلم بن عقيل الـذي بايعـه في الكوفة ثمانيةعشر ألف رجل على أساس السمـع والطاعـة للحسين (ع) وأرسلت الكتب إلى الحسين ثانياً بعد أن كانت أرسلت إليه أولاً ، وكان أهل الكوفة يؤمنون بالحسين إيماناً حقيقياً ، يحبـونه ، ويؤمنون به ، وعندها أرسلوا إليه الكتب أن : « اقدم إلينا قد أينعت الثمار وإخضر الجناب ، وإنما تقدم على جند لك مجندة » كانوا مؤمنين بذلك ، وهكذا عندما بايعوا مسلم بن عقيل ، بايعوه عـلى أساس الايمان ، ولكن ماذا حدث ؟!

الذي حدث أنهم لم يربوا إيمانهم تربية حركية ترصد النتائج السلبية والايجابية لهذا الايمان . كانوا يتصورون الايمان نزهة واسترخاء لا يكلفهم شيئاً من أمنهم ولا يكلفهم شيئاً من مصالحهم حتى إذا جاء ابن زياد الى الكوفة ، ولم يكن معه إلا قليل من الناس ، بحيث كان من الممكن ان يطرد أو يقتل بشكل بسيط جداً ، لكن جاء ابن زياد وجاءت معه المخابرات الامـوية التي انـدست في صفوف النـاس ، وكانت تهوّل على الناس ، إن يزيد سيرسل عليكم جيشاً عظيماً من الشام ، وإنه سوف يقضي على كل من بايع مسلم ومن لم يعترف

ببيعة يزيد . ثم في الجانب الآخر اعطوا الناس مالاً ومنّـوهم بمال كثير . ثم بدأت المخابرات تأتي الى مجموعة هنا لتثير إشاعة وتأتي الى مجموعة هناك لتثير خوفاً ، واستخدموا عنصر النساء ، هذا العنصر العاطفي الذي يخاطب الولد بالعاطفة ليشغله عن والده ، ويتحدث مع الأب أو الزوج أو الأخ بالعاطفة ليشغلهم عن مسؤولياتهم ، تأتي المرأة الى ولدها لتقول له إذا نقص من الثمانية عشر ألفاً رجلًا واحداً فليس هناك مشكلة وتأتي الأخت لأخيها لتقول له هذا . . وهكذا حتى انفض الناس عن مسلم فدخل الى المسجد ومعه ثلاثـون ، وصلى المغرب ومعه عشرة ، وصلى العشاء ولم يكن معه أحداً .

ثم كان هؤلاء الناس الذين بايعوه ، هم الذين حاربوه ، وهم الذين ربطوا الحبال برجليه وجروه في شوارع الكوفة بعد أن قتلوه . .

هؤلاء كانوا يعيشون الفكرة ، ولكنهم انحرفوا عندما جاءتهم صدمة الخوف ، وعندما جاءتهم الاغراءات ، وعندما فقدوا الـوعي الذي يستطيعون من خلاله أن يواجهوا الأساليب المخابراتية التي تعمل على أن تفتت وحدتهم وصفوفهم .

ثم بعد ذلك عندما دعاهم ابن زياد الى قتال الحسين (عليه السلام) ، انطلقوا على أساس أنه زاد في أعطياتهم ومـنن الكثير من قياداتهم بالوظائف ، حتى كان عمر بن سعد رافضاً للخروج لقيادة الجيش فهدده أن يأخذ منه مرسوم ولايته لمنطقة الري ، وعند ذلك قال له سأفكر وبعد أن فكر تغلبت مطامعه على مبادئه ، وأصبح يقنع نفسه بأنه سيتوب الى الله قبل سنتين من موته ، بعد أن يقتل الحسين (عليه السلام) .

وهكذا عندما سأل الحسين (عليه السلام) الفرزدق (الشاعر) عن خبر الناس بالكوفة فقال له قلوبهم معك وسيوفهم عليك ، ما

زالت قلوبهم مع الحسين ، والعاطفة عندما تكون في مجتمع، فإنها لا بد أن تكون منطلقة من عقل ذلك المجتمع ومن فكره ، على أساس أن هناك عقيدة ، ولكنهم لم يثبتوا عند الصدمة فلم يستقيموا بل انحرفوا .

مع اصحاب الحسين (عليه السلام) :

ونأتي الى الجانب الثاني ، جانب اصحاب الحسين (عليه السلام) ، لاحظوا حبيب بن مظاهر ، اتعرفون كم كان عمره في كربلاء فيما تذكره السيرة الحسينية ؟ ان عمر حبيب بن مظاهر كان تسعين سنة ، شخص في التسعين من عمره يدعوه الحسين (عليه السلام) إلى أن ينصره فيبادر إلى نصرته ولا يعتذر بكبر سنه ، مع أن الإنسان الذي يعيش في التسعين يمكن أن يقبل عذره من كل أحد . لكنه رجلٌ كان يعيش العقيدة من موقع اصراره عليها ومن موقع إستقامته في خطها .

منذ البداية ، في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان صحابياً ، آمن بالإسلام على أساس الخط الذي انطلق به الإمام علي (عليه السلام) او الأئمة من ولده ، وعلى هذا الأساس لم تزده السنون المتطاولة إلا إصراراً على الخط حتى انطلق ليقف هناك (في كربلاء) ويقدم نفسه شهيداً أمام الحسين (عليه السلام) .

هناك بعض الناس في كربلاء كانوا في خط الإنحراف . ولكنهم لم يكونوا ملتزمين بالانحراف عن قناعة ، بل كانوا يتحركون مع الانحراف عن شبهة ، حتى إذا زالت الشبهة عن أفكارهم ، انطلقوا في خط الاستقامة بما لم ينطلق به أحد . .

زهير بن القين ، يعبر عنه كتاب السيرة بأنه كان عثمانياً يبغض علياً ويبغض أهل بيته ، ولهذا عندما التقى بالحسين في الطريق كان

أبغض شيئاً عنده أن يكون وجهه يلتقي بوجه الحسين (عليه السلام)، ولهذا كان إذا نزل الحسين في جانب من الطريق نزل زهير وأهله في الجانب الآخر، حتى لا يلتقي بالحسين، حتى كانا في بعض مراحل التاريخ وبينما زهير جالس في خيمته وإذا برسول الحسين يأتي إليه ويقول له أجب الحسين فإنه يريد أن يتحدث إليك، إرتبك الرجل وتململ ولكن كانت عنده زوجة صالحة، فقالت له: يا زهير يدعوك الحسين ابن بنت رسول الله فتمتنع، إذهب لترى ماذا يريد منك، فقام متثاقلاً وذهب للحسين فتحادثا ساعة، ثم جاء إلى خيمته وقال لقومه: يا أصحابي من كان يريد أن يأتي معي فأنا سائرٌ مع الحسين ومن كان يريد أن يترك فليذهب، وقال لزوجته إلحقي بأهلك، فقالت له ما الذي غيّرك قال: لقد ذكرني الحسين (عليه السلام) بقضية كنت قد نسيتها. كنا في بعض الحروب الإسلامية في بلنجر وكان معنا سلمان الفارسي ففتح الله علينا ففرحنا فقال لنا سلمان، عليكم أن تكونوا أشد فرحاً عندما تكونون مع الحسين فتنصرونه.

هذا الرجل، سار مع الحسين، حتى إذا وصلوا إلى كربلاء، وكانت ليلة عاشوراء قال الحسين لأصحابه: إركبوا سواد هذا الليل واتخذوه جملاً، فإن القوم لا يريدون غيري وليأخذ كل واحد منكم بيد واحد من أهل بيتي. فوقف زهير بن القين وقال: يا ابا عبد الله لوددت أني قتلت ثم أحرقت ثم أحييت يفعل ذلك بي سبعين مرة وأن الله يدفع بذلك القتل عنك ما توانيت عن ذلك أبداً..».

هذه الارادة الصامدة القوية التي عندما انفتحت على الحق التزمت به حتى كانت مستعدة أن تخضع لسبعين قتلة وسبعين إحراقاً بالنار ـ اذا تمكنت من ذلك ـ في سبيل أن تحتفظ بالقيادة قوية حية.

وهذا الجو هو جو عاشوراء الذي نريد أن نفهمه ونركزه.

وعندما نلتقي بالخط الذي ينفتح فيه علينا الحر بن يزيد الرياحي ، الذي كان أول قائد خرج ليعطل مسيرة الحسين مع أنه كان يعيش العاطفة تجاه الحسين ، ولكنها لم تصل إلى ان يلتزم بالحسين إلتزام الخط ، لهذا قال له : إتبع طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يرجعك إلى المدينة . . وهكذا انطلقت المسألة ودخل الحر كربلاء بعد دخول الحسين وجاءت الجيوش والحر يفكر ، وهكذا يجب أن يفعل الكثيرون ، عندما تكون في الموقع الخطأ لا تتعصب للخطأ ، بل يجب أن يظل فكرك مفتوحاً لإمكانية أن تكون على الخطأ ، حتى إذا جاءت الكلمة الحق اوالفكر الحق انفتح عليه .

والحر قائد ، وبعض الناس في عصرنا يقولون ، أنا مسؤول في هذا المحور السياسي كيف سأترك وأفقد هذا المنصب ، فيتعصب حتى لو كان يجد الخطأ في طريقه . .

ولكن الحر لم يفعل ذلك ، وهو قائد لألف فارس ورئيس عشيرة بني رياح ، وفي الوقت نفسه هو لا يزال شاباً . . أخذ يفكر أين موقع الحق هل مع الحسين او مع ابن زياد ، وحاول أن يجمع بين الدنيا والآخرة ، ولكن رأى أن لا فائدة ، جاء الى ابن سعد وقال له أمقاتل أنت هذا الرجل ، قال : إي والله قتال أهونه أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي . قال فليس هناك حل آخر ، قال : أميرك لا يقبل إلا أن يضع الحسين يده بيده ويعطيه إعطاء الذليل والحسين (عليه السلام) لا يقبل .

فعرف الحر أن المسألة حدٌ فاصل إما أن يبقى في مركزه فالنار أمامه وإما أن يسير الى الحسين (عليه السلام) فالجنة أمامه ولكن عليه أن يترك كل الدنيا ، وبدأ الحر يرتعد ، أخذته الهزة الجسدية تماماً كما هو الانسان الذي أصابته الحمى الشديدة أو البرد الشديد ، وجاءه

أحد أصحابه وسأله : أترتعد . والله لو قيل من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك ، قال لا أرتعد من جبن ولكن : « أخيّر نفسي بين الجنة والنار ولن أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت أو أحرقت » لتأتي كل الرئاسات ، كل الاغراء ات ، كل الأجواء ، لا يمكن أن أقدم شيئاً على الجنة ، وهذا يمثل خط الصلابة في الارادة والاستقامة على الخط بالرغم من كل الظروف الصعبة التي تواجه الإنسان ، وعند ذلك ذهب مطأطأ رأسه إلى الحسين (عليه السلام) وقد تاب الى الله وقال للحسين هل من توبة فقال له الحسين إن تبت تاب الله عليك ، وعندما استشهد قال له الحسين : أنت الحر كما سمتك أمك حرٌ في الدنيا وسعيدٌ في الآخرة » .

الانموذج من عاشوراء :

هذا الموقف لا بد لنا أن نلتزمه . وقيمة عاشوراء ـ اذا كنتم تخلصون لعاشوراء ـ أن تأخذوا دروسها لا أن تستنزفوا دموعكم فيها ـ قيمة عاشوراء أن تختاروا نموذجاً منها لتجعلوه المثل أمامكم الذي تركزون حياتكم على أساسه ، هل يعجبكم الحر أن يكون القدوة لكم ؟! إنه مثل كبير ، إنكم ستواجهون ـ وربما واجه بعضكم ـ خياراً بين الجنة والنار ـ ربما واجه بعضكم مسؤوليات او مواقع أو مواقف تعطيكم الدنيا ولكنكم تفقدون رضى الله وتفقدون الآخرة ، ومواقف قد لا تعطيكم شيئاً من الدنيا ولكنكم تحصلون على رضى الله . فكروا في داخل نفوسكم وأنتم في جو عاشوراء هل تريدون أن تكونوا مع الحر ، أن تقولوا لكل انسان يخيركم بين خط الدين وخط الكفر ، بين خط الظلم وخط العدل ، أن يقول كل واحدٍ إني أخيّر نفسي بين الجنة والنار فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت أو أحرقت .

لهذا لنكن المستقيمين في خط الإسلام ، والمستقيمين في خط عاشوراء ولندرس في كل واقع الساحة المستقيمين الذين لا يتغير خطهم ولا تتغير مواقفهم ، ولا تتغير مواقعهم ، إلا إذاتغيرت الظروف بما يوجب تغيير المواقع لمصلحة الإسلام حاولوا أن تكتشفوا الناس من خلال خط الإستقامة وخط الانحراف ، ادرسوا تاريخ الاشخاص على كل المستويات ، وادرسوا حركة القيادات على أساس الاستقامة والانحراف ، كيف كان الحسين (عليه السلام) يعبّر عن أصحابه فلتكونوا مثلهم : **﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾** ، هذا سر المسألة . ما بدلوا تبديلا ، جاءتهم الظروف والأوضاع الصعبة والتحديات والعقبات ولم يبدلوا خطأً ، ولم يبدلوا رأياً ، ولم يبدلوا موقفاً .

سوف نواجه الكثير في مواقعنا الاسلامية من العقبات ومن الصدمات ومن الاغراءات ومن التخويفات ، سوف نواجه الكثير كما واجهنا الكثير ، وسوف نبتلى بكثير من الناس الذين يتحركون في خط النفاق ، الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤ ون ، سنلتقي بأناس كثيرين من هذا القبيل ، ربما يواجهون المؤمنين بأكثر مما يواجههم الكافرون غير المقنعين ، والظالمون والطغاة . سنصل الى مواقع صعبة لأن الله يبتلي عباده المؤمنين **﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾** . . كان أصحاب الحسين في الامتحان الصعب فنجحوا ، وعلينا أن نكون نحن مجتمع عاشوراء وجماهير عاشوراء التي تنجح في الامتحان ، لقد نجح الكثيرون من اخواننا ومن أخواتنا من شبابنا المؤمن او شاباتنا المؤمنات ، لقد نجحوا في موقف التحدي ولم يسقطوا ، ونجح الكثيرون في موقف الاغراء ولم يسقطوا والشيطان لا

يزال يراهن على أن يسقط المؤمنون أو تسقط المؤمنات تحت تأثير المشاكل التي يثيرونها والتهاويل التي يمكن أن يوزعوها في الساحة ، لهذا كونوا الاقوياء بالله ، كونوا الثابتين على دين الله ، كونوا الصامدين في كل موقف الصدمات ، إن الناس الذين يهددونكم بهم ، هم عباد مثلكم مثلهم ، وتملكون قوة كما يملكون . .

إننا الذين نشعر بأن قوتنا من قوة الله ، وأن عزتنا من عزة الله سنقول للجميع كما قال الحسين للجميع هناك : لا والله لا نعطيكم بأيدينا اعطاء الذليل ولا نقر لكم إقرار العبيد ، سنبقى مستقيمين في خطنا ، لن تحرفونا عن خطنا ، سننفتح على كل من يعمل من أجل الحرية ، حتى لو اختلفنا معه وسننفتح على كل من يعمل من أجل العدالة ولو اختلفنا معه ، وسنعمل مع كل من يحارب الاستعمار والصهيونية ولو افترقنا عنه ، سنظل في خطنا . .

أيها الأخوة والأخوات ، قولوها للحسين (عليه السلام) يا أبا عبد الله سنظل معك ، نحن نشعر أن عاشوراء ليست ملهاة لنا ، إن عاشوراء ليست وقتاً نضيعه ، إن عاشوراء مسؤولية نتحملها وإن عاشوراء خط اسلامي نسير عليه ، وإن عاشوراء جهد سوف نحققه وسوف نتكامل معه ، وإن عاشوراء هي أن يكون الحسين هو النموذج وأن يكون أصحابه وأهل بيته هم النموذج الذي نقتدي به .

قالها أصحاب الحسين لبعضهم وقالها أهل البيت (عليهم السلام) لبعضهم قالوها أمام الله : سنعيش معاً بطاعة الله ومن أجل الله وسنموت معاً في خط الله وقولوها لبعضكم وركزوا ارادتكم الصلبة في خط الإسلام ، قولوها لبعضكم هنا وفي كل مكان آخر ، وفي كل موقع ينطلق فيه المسلمون في خط الإسلام وفي خط الجهاد . قولوها : إننا كمجتمع إسلامي وكحركة إسلامية سنعيش معاً من أجل

الإسلام ومن اجـل النصر وسنموت معاً في خط الشهادة وفي خط طاعة الله ولن نعطي بأيدينا إعطاء الذليل ولن نقر إقرار العبيد .

إبـقوا في مواقعكم ، ركزوا ارادتـكم ، إذا أرادوا أن يضعفوكم فخذوا القوة من الله ، وإذا أرادوا أن يهزموكم فانتظروا النصر من الله : ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يـرجون﴾ ﴿فـلا تهنـوا ولا تحـزنـوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قـــرح فقـد مس القــوم قـرح مثله وتلك الأيــام نـداولهــا بين الناس ﴾ .

هذا هو خط السير ، فأين هم السائرون فيه ، الحسين يدعوكم من جديد فاستجيبوا له . . .

من وحي الرسالة

- في رحاب الرسول الداعية .
- من مشاكل العمل للاسلام .
- بين أساليب الحق وأساليب الباطل .
- عيد المرأة في يوم الزهراء .
- نظرة الاسلام إلى دور المرأة في المجتمع .

في رحاب الرسول الداعية

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين .

لم يحدثنا الله عن مولده ، وإنما حدثنا عن مبعثه لأنه يريدنا أن نتصوره وهو يتحرك في الرسالة ولا يريد لنا أن نكتفي بتصوره وهو يدرج إلى الحياة .

ليست القصة أن يولد ، وأن ينمو ، وأن يتحرك في حياته كما يتحرك الأحياء . تلك قصته كإنسان ولكن المسألة أن قصته بالنسبة إلينا هي قصة صفته كرسول لأننا عندما نستغرق في ذاته فسوف يكون هذا الجو الذي نعيشه . ما هي صفة عينيه !! وما هي صفة وجهه ؟ وما هي صفة منكبيه ؟ وما إلى ذلك من كلماتٍ ليست تهمنا من قريبٍ ولا من بعيد .

كيف نعيش ذكراه (ص) ؟

لكن ما هي شخصيته ، ما هي أخلاقه ؟ ما هو أسلوبه في

الدعوة؟ ما هي طريقته في الحركة ، ما هو فعله في مواجهة قضايا الناس . ما هو رد فعله أمام التحديات . ما هي خطته في بناء الحياة على أساس الرسالة ؟ ما هو صبره؟ ما هو هدوء طبعه ، ما هو انفتاح روحه على الله ؟ ما هي سعة صدره للناس ، ما هو قلبه عندما ينبض بالحب؟ ما هي كلماته عندما تتحرك بالدفء وبالحرارة وبالروح تلك هي قصته كرسول ، فتعالوا بنا إلى محمدٍ الرسول . . .

في ذكراه هل نريد أن ننتقل إليه لنعيش في عام الفيل أو بعد عام الفيل أربعين سنة ؟ هل نريد أن نعيش هناك في مكة ؟
لقد كانت مكة أرض الرسالة التي عاشها الصحابة الأصفياء وأهل البيت (ع) العظماء ، عاشوا بكل فكرهم وكل صبرهم ، وكل تجربتهم وكل خطواتهم التي سارت مع خط الرسول في حركة الرسالة . عاشوها في التجربة و ﴿ **تلك أمةٌ قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عمّا كانوا يعملون** ﴾ . .

لنصنع نحن التاريخ أيضاً :

ذلك تاريخهم ، جهدهم ، جهادهم ، وعيهم ، دعوتهم ، حركتهم ، هل نريد أن ندخل في التاريخ فنكتفي بأن نتذكر التاريخ ، لنعظّم الذين كانوا في التاريخ ولنختلف على الذين كانوا في التاريخ ، ولنتقاتل باسم الذين عاشوا في التاريخ ، ثم نكون خارج التاريخ ؟! .

هل نريد ذلك ؟ أن نأخذ التاريخ الماضي ونكف نحن عن صنع التاريخ ليصنع التاريخ غيرنا ليبنوا لنا تاريخنا ، ليبنوا لنا تاريخاً غربياً حتى نكون غربيين ، أو تاريخاً شرقياً حتى نكون شرقيين ، أو تاريخاً مخلوطاً يتحرك في قطعة من هنا وفي قطعة من هناك حتى نكون صورةً مشوهةً كما يراد لنا أن نكون صورة مشوهةً لا تعرف معنى الملامح الأصلية لهذا الجانب أو ذاك ؟! .

هل نريد للآخرين أن يصنعوا لنا تاريخنا ونتذكر نحن فقط تاريخنا ثم نجعل العواصف تتحرك ليكون كل جهدنا أن ننحني للعواصف ، لا أن نواجه العواصف ، ولتتحرك كل القوى في ساحاتنا لنكون الذين يباركون القوي ، ولنكون الذين يخضعون للقوي ولنكون الذين ينسحقون أمام القوي ، لا أن نصنع القوة ونصنع التاريخ ؟! . .

لنبدأ من حيث انتهوا . .

إذاً ، نحن لا نريد أيها الأخوة في حفلنا هذا ، وفي مواقفنا هذه ـ أن نرجع إلى عام الفيل ـ ولكننا نريد أن نبدأ من حيث انتهت تلك الأجيال التي صنعت لنا الإسلام ، والتي استطاعت أن تكمل المرحلة التي بدأها رسول الله (ص) فقد كان هو الهدى في رسالته ، وقد كان هو خط الحياة في دعوته ، لكن كان جهاده مرحلةً في الرسالة وقال لنا الله ، إذا إنتهت المرحلة فعليكم أن تكملوها : ﴿ **وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ .

كان هو كل الرسالة ولكن كانت حركته في حياته هي المرحلة الأولى التي تشير للآخرين ممن ولد وعاش بعده ، وممن لم يولد لتقول بأن المسألة أنني فتحت لكم الدرب ، وقد كلّف فتح هذا الدرب جهاداً وجهداً ودماءً وتضحيات كثيرة ، أيها المسلمون اذا كنتم المسلمين حقاً فتحملوا مسؤولية الرسالة في روحية الرسول . كونوا المجاهدين كما كان وكونوا الدعاة كما كان ، وكونوا المنفتحين على الناس وعلى الحياة كما كان . أعطوا الرسالة من كل جهدكم ولا تجعلوها على هامش حياتكم .

نريد أن ندعوه إلينا

نحن نريد أن ندعوه إلينا ولا نريد أن ننتقل إليه لأنه رسول الحياة

وإذا كان رسول الحياة فإنه يأتي إلينا في كل مرحلةٍ نحتاجه فيها ، لن يأتي إلينا بجسده ولكنه يأتي إلينا يحمل كتاب الله ، ويأتي إلينا يحمل كل ما أعطاه في سنته ، ويأتي إلينا يحمل كل ما جسّده في سيرته ليقول لنا كما قال ، صلوا كما أصلي ، وحجوا كما أحج ، وخذوا عني مناسككم ، كذلك يقول انفتحوا على واقع الحياة كما انفتحت وكونوا العالميين في وعيكم ، لا تكونوا المختنقين في الزوايا التي تتعفن فيها أفكاركم ، وتتعفن فيها أرواحكم وتختنق فيها انطلاقاتكم ، كونوا الأمة التي تعيش في الهواء الطلق التي تنفتح على الإنسانية كلها لأن الإسلام جاء للإنسانية كلها ، لم يأتِ لحارةٍ أو قرية أو مدينة ، إنما جاء للعالمين كافة ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ .

الخط الرماديُ ليس خط محمد (ص)

وفي هذا الضوء الذي يشع علينا من خلال هذه الآفاق الرسالية لننطلق . . محمد (ص) معنا الآن فقولوا لي ـ أيها الأخوة ـ ما هي الدعوة التي يطلقها بيننا ، هل يحاول ، كما نحاول نحن الذين بهرتنا حضارة الغرب ، وعشنا في استغراق في كل مادياتها وفي كل لهوها وعبثها وفي كل فلسفاتها ، هل يحاول أن يأتي ليوفق بين الإسلام وبين هذا الفكر الذي جاء به هذا المفكر وذاك النهج الذي جاء به هذا الفيلسوف ليحاول أن يقول لنا إن الإسلام يتفق مع هذا الإتجاه ومع ذاك الإتجاه ليقدم لنا الإسلام لا من خلال أصالته ولكن ليعطي الإسلام بعض الملامح من هنا وبعض الملامح من هناك حتى يرضى الناسُ عن الإسلام لأن الإسلام يتوافق مع أفكارهم !! .

هل يطرح لنا العناوين التي نطرحها الآن ؟! .

وهل يخشى من أن نطرح الإسلام كما نخشاه ؟!! .

لن يكون كذلك ، لأنه رفض ذلك في حياته :

عندما جاءت قريش إليه وقد اشتدت ضغوطها عليه ، وحاولت أن تحاصره ، وحاولت أن تسيء إلى كرامته ، وحاولت أن تعمل بكل الوسائل في سبيل أن تزرع الخوف في نفسه ، وقالوا تعال ، هناك اللون الأبيض ، وهناك اللون الأسود ، تعال إلى اللون الرمادي فالأبيض لا يمكن أن يعيش في الحياة طويلاً ، والأسود لا يمكن أن يعيش في الحياة طويلاً ، الأسود يرهق ، والأبيض يوحي بالخطر ، فتعال الى اللون الرمادي ، وكيف هو اللون الرمادي : حركة التسويات ، حركة اللاغالب واللامغلوب ، « تعال يا محمد نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة » ، وعند ذلك يكون الصلح فلسنا مغلوبين ولسنا غالبين ، تعالَّ لنطَّريها إذا شئت أنت أن تطرّيها .

أليست هذه هي لغتنا الآن فيما نتحدث فيه أمام كثير من الطروحات الصعبة لنعطيها صفة التطرف ؟!. كونوا المعتدلين حتى يمشي وضعكم ، وكونوا الواقعيين حتى يرضى الناس عنكم ، أليست هذه لغتنا ؟! .

قالها الله لرسوله أن يقول لهم : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى** ﴾ يقول له الله ما يريد أن يقوله ليعرف كل الناس أن الله يريد منهم أن يقولوه ، لأن الله لا ينزل قرآناً في مسألة شخصية يعيشها رسول الله في تجربته ، ولكن الله ينزل قرآناً ليقول للنبي أن يقول ذلك في هذه التجربة وليقول للمسلمين بعد ذلك ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنة** ﴾ أن تقولوا كما يقول ، وأن تفعلوا كما يفعل لأن قوله رسالة ولأن فعله رسالة :

﴿ **قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم**

دينكم . . . ﴾ إذا لم تشاؤ ا أن تدخلوا وأن تعيشوا جوّ اللامبالاة ﴿ لكم دينكم ولي ديني ﴾ . إني أملك القناعة المطلقة في أن هذا الدين حق . ولذلك فلا يمكن أن انحرف قيد شعرة بعد أن عرّفني الله أنه لا شرعية لما تعبدون ، وأن الشرعية كلها فيما أعبد ، فكيف أعطي الشرعية لما لا شرعية له .

الله يثبّت الرسول

وهكذا صور الله لنا هذا الموقف الحاسم ، وصوّر لنا بعد ذلك أن الله كان يؤيد رسوله وكان يربي فيه القوة . وكان يدعم موقفه : ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره ، وإذاً لاتخذوك خليلاً * . . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذاً لأذقناك ضعف الحياة ، وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** ﴾ .

إن المسألة هي أنهم كانوا يقولون له لن نمنحك صداقتنا ، ولن نجعلك في موقع الوجاهة عندنا إلا إذا حاولت أن تعمل على أن تجعل منك شيئاً تتفق فيه معنا ، زد شيئاً في القرآن ! ! . أعطِ شيئاً من نفسك ، إن قومك لا يتحملون ذلك ؟ ولكن الله سبحانه وتعالى يقول له ، القدرة البشرية لا تتحمل مثل هذا الضغط ، ولكن الله أعطاه شيئاً من قوته فثبّته في كل مواقع الاهتزاز ، وهكذا كان الله يثبّت فؤ اد رسول الله (ص) .

لا مجال للتسويات في الفكر

من خلال ذلك نريد أن نفهم أنّ في مسألة الفكر، وأصالة الفكر وإستقامة الفكر ، لا مجال للتسويات ، لان معنى أن تدخل في التسويات ، معناه أنك تكون انساناً غير الانسان الفكر ، أن تكون

مسلماً أن يكون كل فكرك إسلاماً ، وكل عاطفتك إسلاماً ، وكل حركتك في الحياة إسلاماً : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** ﴾ المسألة ليست موجودة في الحساب . لك حرية أن تفكر ، أطلق فكرك ، ناقش الإسلام في عقيدته ، ناقش الإسلام في شريعته ، ناقش كل شيء ، وإذا اقتنعت بالإسلام فإن عليك أن تغلق الأبواب عن كل فكرٍ يزحف إليك ليختبىء في زاوية من زوايا فكرك .

لهذا نحن ننطلق في ذكراه من أننا نريد أن نحتوي كل إسلامه فلا نعمل على أساس أن يكون عندنا شيءٌ من الكفر وشيءٌ من الإسلام ، شيء من الكفر لأن الكفر يمكن أن يتجول في الساحة ليأخذ كثيراً من المقاعد في الساحة ، وليأخذ كثيراً من مراكز القوى في الساحة ، المسألة هي أن الحق لا يكون باطلاً إذا اقتنعت بما هو الحق ، وأن الباطل لا يمكن أن يأخذ صفة الحق إذا اقتنعت بما هو الباطل ، المسألة أن تحترم فكرك ، إذا إقتنعت فاحترم قناعاتك ، ولا تخضع لكل الذين يريدون أن يزوِّروا قناعاتك ، لأنك بقناعاتك ستقف غداً بين يدي الله . التسويات هنا في مسألة الفكر قد « تمشِّي » وضعك ولكن التسويات أمام الله لن تمشِّي وضع أحد : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ . أن تستقيم في هذا الخط .

لهذا فلنقل لرسول الله (ص) وهو معنا في رسالته : يا رسول الله إننا مسلمون نقول كما قلت : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ كلمة تؤكد أصالتك في موقفك في الحياة ، وتؤكد خلاصكَ في موقفك غداً بين يدي الله .

حركة الرسول في مواجهة التحديات

لقد عاش حياةً حافلةً بكل تحديات الصراع على مستوى العقيدة

وعلى مستوى الواقع فكيف نواجه مثل هذه المسائل التي تفرض نفسها علينا لأن الواقع الذي نعيش لا يزال يحتضنها كتحدياتٍ تواجهنا ؟! .

بعد مسألة الكفر والإشراك التي واجهها رسول الله (ص) بالتوحيد الذي يحمل في داخله الايمان بالله و الإيمان بوحدانيته والإيمان باليوم الآخر كإنطلاقة في أفق المسؤ ولية هناك ؟ .

طرحت التحديات عليه في البداية ، بعد المسألة الإشراكية ، المسألة اليهودية .

وطرحت عليه مسألة المستكبرين والمستضعفين .

وطرحت عليه مسألة الظالمين .

فكيف واجه كل ذلك ؟ .

في المسألة اليهودية طرح القرآن الكريم ، وطرح رسول الله (ص) من خلال آيات الله مسألة التعايش مع أهل الكتاب واعتبر اليهود من أهل الكتاب كما اعتبر النصارى من أهل الكتاب ، وقال لهم من الممكن أن نعيش معكم في مجتمع واحد ينطلق فيه الإسلام ليؤ كد نظامه باعتباره القوة التي تحتوي المجتمع ولكن يمكنكم أن تأخذوا حريتكم فيما لا يتنافى مع النظام العام ، لكم الحق في أن تعبدوا الله بالطريقةِ التي تتعبدون فيها ، ولكم الحق في بعض عاداتكم وفي بعض أوضاعكم ولكن هناك أموراً تتعلق بالشأن العام ولا يمكن لأية أقليةٍ في أي مجتمع ان تفرض مواقفها ومواقعها في الشأن العام بعيداً عن خط الأكثرية . والمسألة عندما طرحها الإسلام لم يطرحها على أساس أنها أكثرية أو أقلية لأن الإسلام لا يعتبر الأكثرية تساوي الحق لأن اكثر الناس لا يعلمون ، لا يفقهون ، فاسقون ، إلى آخر ما هناك . . لكن طرحها على أساس أن هناك خطاً للحق وان هناك خطاً

لغير الحق .

رسول الله (ص) والمسألة اليهودية

قال لهم ذلك وعندما دخل رسول الله (ص) المدينة أجرى معاهدة مع اليهود ، على أساس أن تكون هذه المعاهدة خطاً إسلامياً واضحاً لطبيعة إمكانات التعايش بين المسلمين وبين أهل الكتاب وعالج المسألة مع اليهود بصفة أنهم أهل كتاب .

وهكذا أطل القرآن بآياته على النصارى في هذا المجال ، ولم يكن النصارى آنذاك في المجتمع الأول الذي عاشه رسول الله (ص) يمثلون أية مشكلة أمنية أو فكرية بالمستوى الذي كان يمثله اليهود آنذاك ولكن القرآن الكريم تحدث عن أهل الكتاب في مقابل الذين أشركوا ولكن المسألة اليهودية مسألة معقدة في التاريخ لأنهم قومٌ عاشوا العقدة من خلال العقلية العنصرية التي تفكر بتفوق العنصر اليهودي على كل بني الإنسان ، ومن هنا بدأوا يكيدون للإسلام وللمسلمين وبدأوا يرعون مجتمع النفاق هناك ويقوونه ويتحركون مع المشركين ليتحالفوا معهم بطريقة وبأخرى وهنا بدأ رسول الله (ص) يتعامل معهم من منطق أنهم في عقليتهم تلك وفي عقدتهم تلك يمثلون الخطر على الإسلام في حاضره . ويمثلون الخطر على الإسلام في مستقبله لأنهم أمة لا يمكن أن تندمج مع أية أمة أخرى بل تظل تضع الفواصل بينها وبين كل أمة على أساس أن تكون المصالح مصالحها وأن يكون المستقبل مستقبلها ، وهكذا لم يهجم النبي (ص) عليهم دفعة واحدة ، بل كان يعامل كل فريق من خلال طبيعة الإنحرافات التي كانوا يمارسونها ، وهكذا أخرجهم من المنطقة هناك وقال : « أخرجوا اليهود من جزيرة العرب » .

تلك كانت المسألة في الواقع العملي في حياة رسول الله (ص)

وقد قال لنا الله وهو يحدثنا عن طبيعة العقدة الواقعية التي يعيشها اليهـود : ﴿ **لتجدن أشـد الناس عـداوة للذين آمنوا اليهـود والـذين أشركوا** ﴾ وفتح لنا النافذة على مسألة النصارى : ﴿ **ولتجـدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى** ﴾ على أساس أن هناك قيمـاً إذا عاشوها فيمكن أن تلتقي بحركة القيم وبحركة الواقع عندنا ولكنهم إذا لم يعيشوها وعاشوا العنصرية التي عـاشها اليهـود ، أو بطريقـة وبأخرى ، فإنهم سوف يأخذون نفس الدور وسوف نأخذ نحن نفس الدور أيضاً .

تلك هي المسألة فكيف يجب أن نتعامل معها ؟!

إن الواقع يفرض نفسه علينا ونحن نريد أن نثير ذكرى رسول الله (ص) ، . . إننا نريد أن نأخذ هذه التجربة العملية التي عاشها رسول الله (ص) في هذا المجال لنأخذ منها خطاً سياسياً يتحرك في ذهنيتنا السياسية ليقول لنا لا تكونوا البسطاء ، لا تكونوا السذج ، لا تكونوا الذين يتحركون في حياتهم على أسـاس الكلمات الفضفـاضة التي تحاول أن تفهم بأكثر من شعار ، هناك ﴿**أشد النـاس عداوة للذين آمنـوا اليهود**﴾ .

أدرسوهم ، ليست العقدة عقدة أن يكونوا يهوداً في طبيعة المعنى الـديني الانتمائي ولكن العقـدة هي عقدة هـذه العداوة المتحـركـة المنفتحة على كل مواقع الجريمة وعلى كل مواقع الشر في العالم .

ادرسوا المسألة ، ادرسوا اليهود كيف هي علاقتهم بكم ، كيف هي سياستهم ، ما هي طموحاتهم ؟! ما هي خططهم ؟! .

لا تفكروا في المسألة اليهودية بعقلية الأمر الواقع ، لأن اليهود يفكرون أن يفرضوا الأمر الواقع ، وأن يـطوروا الأمر الـواقع ، وأن

يتحركوا في المستقبل ، ليكون المستقبل هو الأمر الواقع الذي يفرضونه على حياتنا كلها .

إذا كانت المسألة كذلك فإن معنى أن ترضخ للأمر الواقع ، معناه أنك مستعدٌ لأن تزحف من موقعك في كل مرحلة من المراحل ليكون زحفك تراجعياً إلى الوراء ، وعند ذلك لن يبقى لك شيء من أرضك لأن الآخرين يحتاجون أرضك ، ولن يبقى لك شيء من حضارتك ، لأن الآخرين يريدون أن يفرضوا حضارتهم على أنقاض حضارتك .

لهذا المسألة هي أن نواجهها بالوعي الإسلامي الذي يقول لك ممنوع أن تسلّم أرض المسلمين لليهود .

أن تعترف هذا أمرٌ لا يمكن أن يقبله مسلم لأن الإسلام لا يقبله . لماذا ؟. المسألة بسيطة ؟.

لو أن إنساناً أغتصب بيت إنسان بغير حق . فهل يجوز أن تقول إن البيت ملك هذا الإنسان ؟.

« الغصب حرام » . « لا يحل مال امرىءٍ مسلم إلا بطيب نفسِه » . إذا كان الغصبُ حراماً فكيف تقول عن الحرام إنه حلال !!.

هل يمكن لمسلم أن يقول إن الخمر حلال ؟!..

الغصب حرام كما هو الخمر حرام ، وربما كان أخطر من الخمر ، لأن الخمر يسيء إليك وحدك ، بينما الغصب يسيء للناس الذين يفقدون أراضيهم أو يفقدون أملاكهم .

إن مسألتنا في قضية الاعتراف بالكيان الصهيوني ليست هي مسألة سياسية فقط ولكنها مسألة حكم شرعي فقهي بسيط جداً يمكن

لك أن تطرحه على كل مؤمن بعيداً عن كل التعقيدات السياسية .

وعلى هذا الأساس قلت لبعض الصحفيين لو أن اليهود تحولوا إلى دولة إسلامية في فلسطين ، لقلنا لهم اخرجوا من فلسطين لأن أرض فلسطين للفلسطينيين ولمن كان يسكنها سابقاً . .

ليست قضيتنا فقط تتعلق بالمسألة السياسية لنتحدث عن دولة يهودية او إسلامية او عربية ، لأنه وإن كانت هذه المسألة مهمة لكنها لن تقف عند هذا الحد ، وإنما تنطلق إلى المسألة الفقهية في مراحلها الجزئية الطبيعية في هذا المجال . . .

قالها رسول الله : « أخرجوا اليهود من جزيرة العرب » فلنخرج اليهود من جزيرة العرب .

هل نستطيع أن نواصل السير ، حدقوا بالمستقبل وثقوا بالله : ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ عندما نكون نحن مع الله .

المسألة الإستكبارية

ثم هناك المسألة الإستكبارية ، مسألة المستكبرين والمستضعفين ، لقد واجهها القرآن بشكل مكثف وبطريقة عميقة جداً لأن القصة في مسألة المستكبرين والمستضعفين ليست فقط هي قصة الواقع العملي الذي يعيش فيه المستضعفون تحت ضغط المستكبرين ، ولكن المسألة هي أن المستكبرين يعملون على إحتواء فكر المستضعفين ، ويعملون للسيطرة على كل أفكارهم حتى لا يكون لهم أي استقلال في فكر ، وأي ثبات أو قوة في الارادة .

مسألة الاستضعاف هي مسألة أن الاستكبار يعمل على تحطيم إنسانية الانسان المستضعف ، ليكون التابع ، ليكون الكمية المهملة ،

ليكون شيئاً مثل « أثاث » البيت يمكن له أن يبيعه ويشتريه ويدفع به إلى سلة المهملات ، المسألة أن هناك إنساناً يسقط في مسألة صراع المستضعفين والمستكبرين ، سواء كان الاستكبار ناشئاً من مشكلة مالية أو من مشكلة سياسية أو من أية مشكلة أخرى . .

الإسلام يقول للمستضعفين إنكم غير معذورين في ضعفكم لأنكم تستطيعون أن تأخذوا القوة . إذا لم تستطيعوا أن تأخذوا القوة هنا في مواقعكم ففكروا في موقع آخر تحصلون فيه على القوة ثم ترجعون إلى مواقعكم لتحركوا القوة هناك : ﴿ **الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا فيما كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** ﴾ .

لا حجة للضعف

ثم يحدثنا الله عن موقف المستضعفين والمستكبرين يوم القيامة : ﴿ **وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ، قالوا لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ .

أنت تتحمل مسؤوليتك حتى لو كان الاستكبار يضغط عليك ، لأن الله لا يريد أن تكون لك شخصية التابع ، بل تكون لك شخصية الأصيل الذي يملك فكره من موقع الأصالة ، حتى لو أردت أن تتّبع ، أن تتّبع من خلال اختيارك في هذا الاتباع لا من خلال ضغط الآخرين عليك ، حتى الاختيار . . لاحظوا الأسلوب القرآني . . ألستم تقولون دائماً « لعنة الله على الشيطان ، دهانا الشيطان ، ورطنا الشيطان » ألسنا نقول ذلك، الشيطان ليس مستعداً أن يتحمل المسؤولية بحسب

المنطق ، الله يصور لنا موقف الشيطان ، والناس الذين يلعنون الشيطان ، ويرموا الحمل كله على الشيطان .

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، إني كفرت بما أشركتموني من قبل ﴾ .

الشيطان يقول للناس ، أنا عندي طبل وعندما أضرب عليه تتجمعون جميعاً ، فما هو ذنبي أمامكم ، لكن عندما يأتي وقت الآذان ، ونداء الله ، فلا تتجمعون ، إذن المسألة هي مسألة اختياركم وليست مسألة اختياري .

من خلال هذا المنطق الذي يعرضه لنا الله سبحانه وتعالى في مشاهد القيامة في القرآن نستطيع أن نستنتج بأن الله لا يجد الضعف عذراً ، بل يقول لك أنت ضعيف ولكن هناك أكثر من فرصة لكي تكون قوياً ، لماذا تستسلم لضعفك ولا تحاول أن تحرّك كل عناصر القوة في شخصيتك .

لهذا هناك في العالم استكبار واستضعاف ، استكبار على مستوى الدول الكبرى ، واستكبار على أكثر من مستوى ، إن الله يريد لنا أن نعيش المسألة الاستكبارية لتكون همنا الفكري ولتكون همنا السياسي ولتكون همنا الجهادي ، ولتكون همنا في كل ما نخطط له في الحياة . لأن الوقوع تحت ضغط المستكبرين لا يصلح أن يكون عذراً يوم القيامة .

ومن خلال ذلك نشعر أن حركتنا في هذا الاتجاه هي حركة المسؤولية من خلال مسؤوليتنا في الحياة .

شخصية الرسول وسلوكه

ثم علينا أن ننطلق إلى شخصه ، (شخص الرسول (ص) كيف قدمه الله لنا حتى يكون لنا في سلوكنا العملي بعض ما نستطيع أن نجسده في واقعنا من سلوكه .. سلوكه وسلوك الذين اقتدوا به : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ خلقه الذي انفتح على الناس كلهم هو سر نجاحه في دعوته : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ . خلقك هو الجسر الذي يربط بينك وبين الناس . قد تكون لك خصوصياتك ، كل بحريتك كل ما تريد ، واشرب ما تريد ، بشرط أن يكون حلالاً ، والبس ما تريد ، واسكن في البيت الذي تريد ، وحاول أن تمارس لذاتك وشهواتك كما تريد ، تلك خصوصيتك ، لكن أخلاقك ، لست حراً في أخلاقك أن يكون مزاجك مزاجاً حاداً يرهق الناس من حولك ليس من حريتك أن تحتفظ بمزاجك الحاد لتقول « أنا حر » .. إذا كنت تريد أن تقول إنك حر فاجلس في بيتك وأغلق الأبواب عليك ، وقل لكل جدران البيت إنك حرٌ أن تنطح رأسك في هذا الجدار ، أو ذاك الجدار ، تلك حريتك ، أما أن تعيش مع الناس ، مع زوجتك ، مع أولادك ، مع جيرانك ، مع عمالك ، مع موظفيك ، مع كل الناس ليتحملوا مزاجك الحاد .. فمن الذي سلطك على الناس ، أنت عندما تسلط مزاجك الحاد على الناس بدون حق ، ومن دون أساس فأنت تمثل حالة عدوانية ، وليست من حقك أن تعتدي على الناس .

لهذا ، أخلاقك في كلماتك ، أخلاقك في ابتساماتك ، أخلاقك في إدارة علاقاتك ، أخلاقك في دراستك لمشاعر الناس من حولك تلك هي مسألة أن تكون إنساناً اجتماعياً كجزءٍ من المجتمع أو أن تكون أنانياً كفردٍ لا علاقة له بالمجتمع .

الأساس الأخلاقي

ولهذا فإن الله يـريد لـلإنسان أن يـربي أخلاقـه ، كما يـربي جسده ، أن يبتعد عن كل الوسخ الأخلاقي ، كما يعمل على أن يبتعد عن كل الوسخ الجسدي لأن قصة الأخلاق هي قصة السلوك العملي والروحي الذي من خلاله تستطيع أن تفتح قلوب الناس لك ، أو أن تغلق قلوب الناس عنك ، والله يريدك أن تفتح قلوب الناس عليك ، أن تفتح قلب زوجتك لـك ، قلب أولادك ، قلب جيرانـك ، قلب موظفيك ، أن لا تكون قوتك هي التي تجعلهم يخضعون لك ، بل أن يكون لطفك يجعلهم ينطلقون ليضحوا في سبيلك .

وهذا ما جعل النبي (ص) يختصر الإسلام كله بكلمة : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » معنى ذلك أن كل حكم شرعي صغيراً أو كبيراً يمثل جزءاً من الهيكل الأخلاقي الذي حاول الإسلام أن يركزه في الحياة . ولذا فإن طاعة الله في ذلك تعني أنك تبني نفسك أخلاقياً .

الرسول الرحيم

ثم ننطلق خطوة أخرى :

﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم .. ﴾ هذا الإنسان الذي جاء من بينكم ، من مجتمعكم ، عاش معكم .. وعندما يتطلع إليكم ويرى ما تقاسونه من الجهد ، ومن المشقة ومن الآلام ومن الأحزان فإنه يعيش ذلك في قلبه . يعز عليه ذلك ، يؤلمه ذلك يثقله ذلك ، يتعبه ذلك ، يظل يفكر في كل ذلك ، كيف يمكن أن يعطيكم الراحة في مواقع التعب) (حريص عليكم) يحرص عليكم أن لا تنحرفوا ، أن لا تسقطوا ، أن لا تقتلوا ، أن لا تجرحوا ، أن لا تفتقروا ، يحرص عليكم كما تحرص الأم على أولادها .

﴿ . . . بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ ، يرأف بهم ويرحمهم ، لا ينطلق في موقعه الكبير ليتخذ موقعه أساساً للإطلالة عليهم من فوق ، بل علمه الله أن يخفض جناحه : **﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدو عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾** .

أو «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ، وأي أدب أعظم ، وأي إنسان أعظم من الإنسان الذي يؤدبه الله ويربيه الله ويرعاه الله ويتعهده الله في كل حياته . . .

ثم ننتقل خطوة أخرى : (محمد رسول الله . . .) ارتبطوا به من خلال رسالته ، حاولوا أن تستغرقوا في صفته الرسالية ، فهو رسول الله ، لا تسمعوا لمن يقول لكم إنه ثائر ، الا اذا كانت الثورة منطلقة من رساليته ، أو أنه فيلسوف ، إلا اذا كانت فلسفته تتحرك من خلال فكر اسلامه ، او انه المصلح ، أو ما إلى ذلك . . .

إنهم يريدون أن يضخموا شخصيته الإنسانية ليربطوكم به كإنسان حتى تبتعدوا عن شخصيته الرسالية : **﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾** تلك هي الصفة التي لا بد أن نختزنها في وعينا الإسلامي عندما نريد أن نتصور رسول الله .

صفته (ص) وأصحابه . .

(محمدٌ رسول الله والذين معه . .) لاحظوا أن القيادة هنا لا تلغي القاعدة فالله لم يتحدث عن رسوله وحده ، تحدث عنه ومن معه ، ليقول لكل قيادة مهما كانت وفي أي موقع .

ان القيادة مهما بلغت في عظمتها فإنها تأخذ عظمتها من خلال القاعدة التي أعطتها كل شيء ، لهذا على القيادة أن تتكامل مع قاعدتها وأن تتواضع لقاعدتها وأن تتحرك مع قاعدتها لا أن تكون وحدها هي التي تسير وتبقى القاعدة تسبِّح وتهلِّل دون أن يكون لها دور . .

﴿ . . .أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ تلك هي الصفة للرسول وأصحابه : .

عندما تواجه الذين يريدون أن يسقطوك ، كن الشديد عليهم ، من موقع أن شدتك هي التي تحمي لك موقعك ، وهي التي تحمي لك خطك ، وهي التي تحمي لك رسالتك ومستقبلك ، ولكن في المجتمع الداخلي الإسلامي ، كونوا الرحماء ، أن ترحم ظروف الآخرين الذين تختلف معهم ، أن ترحم نقاط ضعفهم ، أن ترحم أوضاعهم ، أن تعيش الرحمة والله اراد من المسلمين أن يكونوا من الذين تواصوا بالرحمة .

ذلك هو الذي يمكن أن يعطي القوة ، وذلك ما حدثنا الله عنه ، عندما كان المسلمون أشداء على الكفار ، رحماء بينهم انتصروا ، وعندما كان اليهود ﴿ **بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى** ﴾ انكسروا ، وعندما صاروا أشداء على المسلمين رحماء بينهم انتصروا . .

المسألة إن الله لا ينصرك من خلال انتمائك إذا لم تعش عمق انتمائك ، لأن للنصر وللهزيمة أسبابهما الموضوعية في حياة الناس وفي السنن الإلهية التي أودعها الله في الكون . . .

لهذا عندما كانوا شتى في قلوبهم ، وإن كانوا مجتمعين في

وضعهم ، وعندما كان بأسهم بينهم شديد انتصر المسلمون عليهم وعندما انعكست المسألة انتصروا على المسلمين .

﴿ ... تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ يعيشون روحية العبادة لله ويعيشون خشوع الابتهال لله ، وعندما يفكرون في أية حاجة وفي الحياة فإنهم يبادرون الى الله ليطلبوا من فضله ما يحتاجون إليه من فضله ، وليطلبوا من رضوانه ما يتطلعون إليه من رضوانه : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزّراع ليغيض بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾ . .

تلك هي صفته ، وتلك هي صفة الذين معه ، فهل نستطيع أن. نكون مثل هذا الزرع الذي يخرج شطأه ثم يؤازره، ونتحرك ليكون بعضنا قوة لبعض ، وبعضنا سنداً لبعض ، هل نفكر في أن يكون كل إنسان لا الانسان الفرد ، ولكن الإنسان المجتمع .

لنفكر أن نكون جزءاً من المجتمع حتى نستطيع أن نبني القاعدة الاجتماعية التي يشعر فيها كل إنسان منا أنه إذا تألم فإن الآخرين يتألمون معه ، وإذا فرح فإن الآخرين يفرحون معه .

إننا نتعب أنفسنا كثيراً بكل هذه الضوضاء الأخلاقية ، وبكل هذه المواقع التي نختلف فيها ويعمل الآخرون على أن يعمقوا خلافاتنا بطريقة وبأخرى . . .

هل لنا أن نمنح أنفسنا فرصة من فكر لنفكر ، وفرصة من روح لننطلق ، وفرصة من عقل لنعرف كيف نستطيع أن نركز خطانا على الطريقَ المستقيم .

ان الله سوف يسألنا غداً عن كل طاقاتنا كيف حفظناها أو كيف أهدرناها ، وسيسألنا عن الإسلام ماذا عملنا له ، وماذا خططنا له وكيف إلتزمناه وكيف وعيناه ، وكيف حفظناه .

فكروا أن تستقبلوا رسول الله بهذه الآفاق الواسعة ، لأن رسول الله كان في الأفق الواسع المنفتح على الله .

مِن مشَاكل العَمل للإسلاَم

عنـدما يبـدأ الانسـان في اعتبـار الـواقـع الحيـاتي « مشكلة » تثيـر اهتمامه ، وتشغل تفكيره ، وتهز وجدانه . . فمعنى ذلك انـه بدأ يتحـرك في طريق المعرفـة ، ويحيا واقعـه في اتجاه جـديد ، قـد يتحول بـه الى تغيير جذري لمظاهره ، وتطوير حي لأهدافه واتجاهاته .

أمَّـا كيف تـرتبط القضيـة بهـذه الاثـار ، وكيف تنـطلق عن تلك النتـائج ، فلن يعـوزنا التعـرف على ذلك ، من خـلال ملاحـظة الوضـع الـذاتي الذي يعيشـه الانسان في ظـل واقعه ، في إطـار « اللامبـالاة » و « التسليم اليائس » ، الى جانب الـوجه الآخـر لهذا الـوضع الـذي يعيشه في إطار « الواقع ـ المشكلة » .

فقـد نجده في الـوجه الاول انسـاناً يصيـر مع الـواقع في انخـذال العاجز ، وتسليم اليائس ، فهو قد وجد نفسه مع هذا الواقـع فعاش معـه واعتـاد على اجوائـه ، واستسلم لعاداتـه وتقاليـده ، ولهـذا فهـو لا يفكـر

(*) الأضواء : العدد الأول للسنة الخامسة ١٣٨٤ هـ ، اب / ١٩٦٤ .

بالخروج منه ؛ ولا بالخروج عليه ، مهما تألم ومهما تحطم ، لانه لا يريد أن يتعب نفسه ، ولا يحملها مسؤولية العمل ومتاعبه . . ومن هنا كان الرضا بالواقع عنده يمثل انهيار الارادة في شخصيته ، والهروب النفسي في داخله ، لا الاقتناع الفكري والروحي بهذا الواقع .

وربما نستطيع ان نلمح في بعض نماذجه ، من لا يحب لهذا الواقع ان يتغير حتى ولو لم يكلفه ذلك التغيير شيئاً ، إذا قام به شخص آخر غيره لان مثل ذلك قد يتعبه بما يستتبعه من تحول بحياته الى جهة اخرى ، الامر الذي يرهق فيه طبيعة حب الراحة والسلامة .

ومثل هذه النماذج تصر كثيراً على ان تجد لكل مشكلة حول الواقع ، ولكل قضية تعرض عنده ، جواباً ينطلق من طبيعة وضعها الذي يريد ان ينتهي من القضايا التي تشغل الفكرَ وتعكره بيسر وسهولة .

فقضية العمل تصطدم ـ في جوابه ـ بألف مشكلة ومشكلة ، وموضوع الانطلاق بالواقع إلى قاعدة فكرية متينة ، تحفظ له سلامته وتهيء له استقراره ، وتسير به في خطوط واضحة ثابتة ، تتعثر ـ بألف مستحيل ومستحيل .

فالعمل غير ممكن ، وتغيير الواقع مستحيل . . إذن فالرضا بالعيش متعين .

أما في الوجه الثاني ، فسنجد « الانسان ـ الحركة » الذي لم يستطع الواقع ان يخضع فكره وعقله ، ويهزم ارادته وقوته ، ولم يقدر لحب السلامة والراحة ان يسيطر على روحه ووجدانه . .

فهو قد وجد نفسه في ظل هذا الواقع فحاول ان يفهمه ويحياه ويعيه ، ليفهم حياته ويحيا قضية وجوده ، ويعي مركزه الطبيعي في هذه الحياة ، ودوره العملي في هذا الوجود .

انه لم يتصل بهـذا الواقـع ليذوب فيـه ويستسلم اليه بـل حاول ان ينفصل عنه ويحرر نفسه من مؤثراته ليستطيع الحكم عليه أو له .

ومن هنا يبدأ الشعـور بالمشكلة في ظـل الواقـع أو الواقـع في ظل المشكلة لأنَّ طبيعـة المشكلة تنبع من مـلاحظة الـواقع في نـظرة اتهام ، وفي موضوع دراسة . فذلـك هو الـذي يخلق المشكلة ويتحول بـالواقـع الى مشكلة .

والشعـور بـالمشكلة بعمق ، يفـرض العمق في دراسـة الـواقـع ، والشمول في معرفته والوعي اليقظ في النفاذ الى جوانبه .

ومتى توفرت هذه الجهات في قضيـة ، فاستـطعنا ان نحصـل على الـوعي والعمق والشمول في اطـار النظرة اليهـا . فاننـا نستطيـع الادعـاء حينئذ اننا نقف على أبواب معرفة جديـدة وحل جـديد ، وبـالتالي ، الى « حيـاة جديـدة » لا تنحرف فيهـا الخـطى عن قصـدهـا وانمـا تتجـه إلى أهدافها باتزان واستقامة .

* * *

والعمـل في سبيل الله . . والـدعوة الى دينـه . . من بين القضـايـا التي يلتقي بهـا الإنسان المسلم في حيـاته العمليـة ، عبـر وعيـه العميق لمسؤوليته تجاه دينه ، وشعـوره بالحـاجة الملحـة الى ان يعمل شيئـاً من اجـل تعريفـ النـاس به ، وتجميـع القوى العـاملة حولـه . ليتسنى له ان يحتـل مركـزه الطبيعي في الحيـاة كقاعـدة للتفكير والعمـل .

واذا قدر للانسـان ان يلتقي بمسؤولية العمـل داخل ذاتـه وحاول ان يبدأ الدرب نحـو اخضاع طـاقاتـه العملية للقيـام بتلك المسؤ ولية ، فانـه سيلتقي ـ حتمـاً ـ بهذين النمـوذجين من النـاس ، وسيكـون مـوقفهمـا من العمل تابعاً للموقف العام الذي يتخـذه كل منهمـا من المشكلات العـامة للواقع الحياتي .

فيبدأ النموذج الاول في إثارة علامات الاستفهام أمام طبيعة العمل ونوعيته وجدواه ومدى امكانيات النجاح فيه ، والمضاعفات التي تترتب عليه وتنشأ منه ، ولن يقف ليجري معك في التفكير بالأجوبة الصحيحة على هذه التساؤ لات . . بل يحاول (جاهداً) وبغير انتظار ، أن يؤ كد لك خيالية العمل ، وقلة جدواه ، وعدم توفر شروط النجاح فيه وخطورة المضاعفات الناتجة عنه ، ومدى إساءته للعقيدة فكرة واسلوبا .

أمّا إذا حاولت اثارة علامة استفهام واحدة ، أمام هذا الحشد الضخم من الاحكام السريعة فلن تجد الا اللف والدوران الناشيء من عدم الوعي للقضية ، وعدم دراسة الموضوع جملة وتفصيلا ، وبالتالي من الرغبة في ايجاد المبررات الذاتية لنفسه وللاخرين للتقاعس عن العمل ، والوقوف بعيداً عن المعركة .

ولن يجديك ـ بعد ذلك ـ ان تطلب منه الوقوف قليلا أمام هذه القضية ، وعدم التسرع بالجواب ، فلعل لها وجهاً غير ما يتخيله ، أو ربما يكون هناك جانب لم يطلع عليه بل قد تكون الظروف التي هيأت لحكمه غير الظروف التي نعيشها الآن .

لن يجديك هذا كله حتى لو قدر لك ان تطلب اعتبارها مشكلة عامة قابلة للدرس والتحليل أو مجرد مشكلة خاصة كبقية مشاكله الحياتية الخاصة .

انه قد اصدر حكمه عليها قبل كل شيء .

ومن الطريف لهذا النموذج من الناس انه قد يتساهل ـ في بعض الاحيان ـ مع أعداء العقيدة وخصومها وقد يجاملهم ويبحث لهم عن المبررات ولكنه لن يتساهل أبداً مع العاملين في سبيل الله ، فهم ـ دوما ـ موضع اتهام وهم ـ ابداً ـ محل شبهة .

أمّا اذا حاولت ان تستفهم منه عن الحيثيات التي استند اليها في هذا الاتهام أو تلك الشبهة فانك واجد حديثاً ينقله فلان عن فلان وهكذا لا تتعدى القضية في أغلب الاحيان موضوع وشاية من شخص قد يكون هو موضع الشبهة والاتهام .

* * *

اننا نحاول اثارة الحديث في هذا الموضوع لأن القضية ليست فكرية مجردة بل هي قضية العمل في سبيل الله . فنحن لا ننكر ان هناك كثيراً من المحاولات الرامية الى الانحراف بالاسلام على أهدافه والابتعاد به عن الصراط المستقيم الذي رسمه النبي الاعظم (ص) ولا ننفي ان تتبع هذه المحاولات في تنفيذ أغراضها واهدافها طريقة تشكيل المنظمات والمؤسسات التي تنتحل لنفسها صفة الاسلام .

اننا لا ننكر ولا ننفي هذا . . وقد ننطلق الى أبعد من ذلك فنلاحظ وجود اشكال عديدة تتنوع وتختلف باختلاف الاسلوب الحياتي لصاحبه وتنوّعه وقد نجد ـ في بعضها ـ ما يبتعد عن الهدف وينحرف عن الغاية كما نلمح في البعض الآخر ما يسيء اليها ويشوه بعض معالمها . .

ولكن هل يبرر لنا هذا كله اتهام العمل نفسه واثارة الشكوك حول العاملين جميعاً والوقوف عند الاتهام وإثارة علامات الاستفهام اللاذعة دون ان نتعداها الى البحث عن الموقف الايجابي الذي يلزمنا اتباعه والوقوف عنده في اصلاح الاخطاء ، ودراسة واقع العمل نفسه بعيداً عن المؤثرات النفسية والنوازع الشخصية .

قد يكون بعض العاملين على خطإٍ في أساليبهم أو في أهدافهم وقد نلمح كثيرا من الانحرافات في بعض خطوط العقيدة في اعمالهم ولكن قد يكون الكثيرون منهم على صواب أو ممن يبحث ويفتش عن

الحقيقة والصواب في طريق العمل واتجاهه . . الأمر الذي يفتح أمامنا المجال الواسع للبحث عن الاخطاء باخلاص ومعالجتها بهدوء وحذر . .

وأخيراً أحب ان أشير الى قضية حيوية جداً في حديثنا هذا هي اننا نعيش في معترك الصراع بين قوى تحاول ان تقضي على القيم والمفاهيم الاسلامية بكل جهدها وطاقاتها . وبكل اساليبها وسبلها وبين قوىً تحاول ان تنحرف بالاسلام عن أهدافه وتفرض عليه حلولا تتنافى وطبيعته العادلة . .

واذا كانت القضية تسير في هذا الاتجاه فانها تفرض علينا الاحتفاظ بما عندنا من النماذج الواقعية للعمل الاسلامي ومواصلة الجهد في سبيل ابعادها عن التيارات الكافرة والضالة . لئلا تذوب شخصيتها الاسلامية وتنحرف عن أهدافها العملية .

تلك هي المهمة التي يقع على عاتقنا عبء مسؤوليتها كسبيل من سبل حماية ما تبقى من كيان المجتمع الاسلامي من الانحلال والاندثار .

ومن الطبيعي لهذه المهمة ان نلجأ الى اعلان الحرب على هذه النماذج ومحاولة الاطاحة بها والاجهاز عليها بل نحاول اتباع سبيل الحذر والدقة في معالجتها ، لنحصل ـ بذلك ـ على النتيجة الحاسمة التي ترتكز على حماية هذه النماذج من الضلال الى جانب حمايتها من ضغط القوى الكافرة . .

وبكلمة أخيرة . . نقولها ـ لهؤلاء الذين يمعنون في محاربة العاملين للاسلام ـ ان هؤلاء العاملين قد يكونون على خطأ أو على ضلال في بعض خطوطهم العامة والخاصة إلا ان اعلان الحرب عليهم وابعادهم عن الخط الاسلامي للعمل في الوقت الذي لا يملك فيه المحاربون قوة اخرى تحتضن هذه المشاعر وهذه الاتجاهات .

إن اعـلان الحـرب عليهم ـ في ظـل هـذا الـواقـع ـ قـد يؤدي الى ابتعـادهم عن الاسلام وانتقـالهم الى صفوف الكفـر والضلال التي تملك كل قوى المادة والاغراء ، وكل اساليب الاثارة والتوجيه . .

اننـا نقف ازاء هذه النمـاذج الاسـلاميـة ـ على اختـلافهـا ـ بين ان نبقيهـا سائـرة على الخط الاسلامي المستقيم مـع التوفـر على اصـلاحهـا والتـركيز على انقـاذها من بعض مفـاهيمها الخـاطئة ، وبين ان نحـاربهـا ونجعلهـا تتجه إلى الخط الكـافر حيث يـذوب الاسـلام في داخلهـا كمـا يذوب الملح في الماء .

انـنا نقف على مفترق الطرق ، فعلينا ان نحدد اتجاهنا وخطواتنـا ، على أساس الشعور بـالمسؤولية ومـراقبة الله سبحـانه وتعـالى في الاسـلام والمسلمين .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

بَين أساليب الحق وأسَاليب الباطل

يمثل الصراع الفكري والروحي ، في حياة انساننا المسلم ، دور الواقع الحركي لحياته كمسلم ، والطبيعة الحية لحركة اسلامه في الحياة . .

وذلك . . انطلاقا من السمة الرسالية التي تطبع الدين الاسلامي في ضمير معتنقيه الأَمر الذي يفتح المعركة أمامهم في داخل ذواتهم من أجل ان تعيش وعي الرسالة وحيويتها ـ وفي خارجها من أجل ان ينتشر الاسلام في الارض وينطلق المد البشري في موكبه ، في يقظة اسلامية رائدة .

وإذا كان الصراع هو واقع حياته ، كمسلم ، وطبيعة حركة اسلامه في الحياة . . فلا بد له من ان يعد له عدته ، فيهيء له أدواته ، ويحفظ له طابعه الاسلامي ، الذي يحاول ان يمد العقيدة بالروح قبل ان يمدها بالاتباع .

(*) مجلة الأضواء العدد الثاني جمادى الأول ١٣٨٤ هـ ايلول ١٩٦٤ .

أمّا لماذا يلزم في الصراع ان يعيش الطابع الاسلامي ، وهو يستخدم أدواته ، ويؤكد على حيوية هذا الطابع وهو يستوحي أساليبه . ؟

فهو سؤال لن نجد في جوابه أيّة صعوبة ، ولن نضطر في التعرف عليه الى ارتكاب أي تكلف .

فالانسان المسلم . . ليس فاتحاً تسيطر عليه شهوة الحكم والسيطرة ، وليس تاجراً يعيش قضيته في ميزان الارباح والخسائر . .

فهو لا يستهدف من وراء حركة اسلامه ان يحكم الحياة للحكم ذاته . . والا لانحرف عن خطه الاسلامي الواضح الذي يحارب في الانسان كل شهوة للحكم ، وكل رغبة في السلطان ، لمجرد العلو والرفعة . . كما نجده ماثلا في الحقيقة القرآنية الحاسمة التي انطلقت لتقول بكل قوة . .

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ .

بل كل ما يستهدفه ، انساننا المسلم ، في جميع ذلك . . هو الوصول الى أهداف الاسلام في العمل وغاياته في الصراع . . من بناء الاسلام في نفس الانسان واشاعة العدالة لكل كائن حي . . كما نتمثل ذلك في الكلمة الخالدة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ التي انطلقت ـ من كل قلبه ـ لتقول لأولئك الذين ظنوا حبه للسلطة في صراعه المرير الذي خاضه ضد القوى التي حاولت ان تنحرف بالاسلام عن طريقه ، وتوجهه الى غير وجهته ـ . .

« لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ان لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم . . لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ، ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز . . »

وفي حديث آخر ـ مع ابن عباس .. عندما وجده يخصف نعله .. قال : ـ مشيراً الى النعل ـ ما مضمونه .. انها أعظم من إمـرتكم هذه الا ان اقيم حقاً أو أدفع باطلا » .

تلك هي الـروح التي يعيشها الانسـان المسلم ؛ في أهدافـه نحـو العمـل ، تلك هي الاهداف التي يستهـدفهـا من عمله ـ وهـو يعمـل ـ ، وحـركته ـ وهـو يتحرك ـ .. أن يـرتفع الحق وينهـزم الباطـل .. وينطلق العدل في رحاب الحياة حباً ورفاهاً وسلاما .

وتلك هي الحقيقة التي لا يزال ينتـظرها المـلايين من المسلمين ، في روح يقظة مطمئنة ، لتملأ الارض قسـطاً وعدلا بعـد ما مـلأت ظلماً وجوراً .

واذا كانت الاهداف هي هـذه الاهداف .. فمـا الذي يتحتم على الانسان المسلم الذي يحمل عبء الرسالة ، وثقل القضية على أكتـافه ، ويتحمل مسؤولية العمل في سبيل ذلك ؟

ما الذي يجب على هذا الانسان أن يعمل ؟

هل يحاول سلوك كل طريق يجده أمامـه في سبيل البلوغ الى هـذه الاهـداف ؟ هل يخلط الحق بـالباطـل في حـدة الصـراع وقـوتـه دون ان يلتفت الى طـابـع الصـراع وطبيعتـه ، فـلا تهمـه نـظافـة الـوسيلة التي يستخدمها ما دام الهدف الذي يستهدفه حقاً ..

واذاً فلا مانع لديه من ان يكذب ويخـادع ويراوغ في سبيـل تأكيـد حجته ، وإتمام برهانه .

أمّا نحن فنحسب أن الجواب لن يكـون ايجابـا على هذا السؤال ، كما نظن ان طبيعة الاهداف التي ألمحنا اليها فيمـا سبق .. تستطيـع ان تحدد لنا نوعية الجواب عن ذلك .

ومعنى ذلك . . انه يريد لحياة الناس أن ترتكز على الحق ، وتسير عليه .

فيكون الحق هو الذي يحدد أهـدافهم في الحياة ، واذاً فـلا بد ان تكون الاهداف سائرة في نطاق الحق . . لتكون اسلامية .

وهو الذي يحـدد وسائلهم نحـو الاهداف . . فلن تكـون الوسـائل اسلامية ، ما دامت ترتكز على الباطل ، وتبتعد عن الحق .

ولن يجدينا القول بأن وسائل الباطل تنفع في الوصـول الى الهدف الحق . . لاننا ان ربحنا حقاً في الوصول الى الهدف الحق . فقد خسرنا حقاً آخر في طريق الهدف .

وتلك قضيـة لن يكون لهـا مجـال في حسـاب الـرسـالات . . لان الخط الرسالي وحدة لا تتجزأ .

والحق في رسـالة الاسـلام . . هو الخط الرسالي المستقيم . . فالانحراف عنه ، ولو في بعض الحالات ، انحراف عن الرسالة نفسها .

ومن جهـة اخرى . . نجـد هذه الحقيقـة منطلقـة من طبيعـة واقـع العمـل الاسلامي وذلـك . . فاننـا لا نستطيـع ان نربـح ايمان أي انسـان وعقيـدته ، ونجعله منسجمـا مع الخط الاسـلامي العام . . اذا أعطيناه ـ من اسلوبنـا ـ الحجة على انحـرافنـا عن هـذا الخط ـ ونحن في سبيـل الاخذ بيده للوصول اليه ـ

لا أحسب ان القارىء يختلف معي في ان الصدمـة ستكون عنيفـة جداً . . بالنسبة اليه ـ فيما اذا اطّلع على واقع الامر . .

ومن ناحية ثالثة . . اننا نعتقد ان الاصرار على الاستقامة في الخط الاسـلامي للعمل . . من الامـور التي تفرضهـا حاجـة العمـل في سبيـل الله . . فقـد يكـون من المؤكـد أن الكثيـرين من الـنـاس يتـهمـون

الحلول الاسلامية التي يقدمها الاسلام لمشاكل الحياة ، ويصفون الاساليب التي يتبعها في سبيل الوصول الى ذلك الحل ، بأنها غير عملية وغير واقعية ، وان المثالية والخيال يسيطران عليها . . الى غير ذلك من النعوت المترادفة وغير المترادفة . وقد يذهبون الى أبعد من ذلك ، فيستدلون ببعض المحاولات التطبيقية لهذه الحلول التي يزعمون ـ في سبيل اخفاقها ـ انها لا تلائم واقع الحياة .

واذا عرفنا وجود هذه النظرة لدى الكثيرين من الناس عن طبيعة الاسلام نفسه وأدركنا ضرورة السعي نحو تحطيم هذه الصورة المشوهة ، وابعاد الناس عن التأثر بها .

استطعنا ان نعرف كم يكون من الضروري ان لا نعطي هؤلاء حجة على ما يقولون فقد يكون خلط الحق بالباطل في أساليب الصراع . . دليلا في نظرهم على ان الحق لا يستطيع الاستقلال بنفسه في قيادة الحياة بكل الوانها واشكالها ما لم يطعَّم بالباطل ولو في أساليبه .

وقد حاول الامام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ان يثير هذه القضية مع اصحابه ، ويشير الى خطورتها في مجال الصراع .

فقد استمع الامام الى عدة من اصحابه ـ وهم يناقشون رجلا شامياً ، في امر الإمامة ، ويحاورونه في سبيل اثبات ما يعتقدونه في امرها . وحاول كل انسان ان يقيم الحجة على قضيته ، باسلوبه الخاص الذي يعتقد انه يوصل الى الهدف ، ويؤدي الى النتيجة .

وكان قيس الماصر ـ وهذا اسمه ـ احد هؤلاء . ويبدو انه حاول ان يربح المعركة بالحق والباطل ، وينتصر للعقيدة بكل ما يمكن ان يكون حجة دافعة توقف الخصم عند حده .

وربما كانت الفكرة التي تسيطر عليه . . هي انه امام خصم عنيد لا بد له من ان يهزمه . بحيث كان لمعنى « الخصومة » ـ بكل ما تدل

عليه ـ الاثر الكبير في طبيعة موقفه . . ولم تكن فكرة انه أمام انسان يخالفه في الرأي ، أو لا يوافقه على الاقل . واردةً لديه .

قد تكون تلك الفكرة هي المسيطرة عليه عندما كان يحاور ويجادل . . ومن هنا لجأ الى كل وسيلة تصل به الى القضاء على خصمه والانتصار عليه . . معتقداً شرعية ذلك . . ما دام الهدف هو الانتصار لفكرة الحق .

أمّا موقف الامام منه . . فقد كان موقف الناقد الموجه الذي يأخذ عليه هذا الاسلوب في الجدل . . وهذه الطريقة في الصراع الفكري من اجل العقيدة . . ويحاول توجيهه نحو الاسلوب الاسلامي في العمل والدعوة الى الله .

وكان فيما قال له الامام الصادق :

« لا تمزج الحق بالباطل . . وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل . . »

واذا وقفنا قليلا مع هذه الكلمة . لوجدناها ـ في الوقت الذي يحاول فيه ان تأخذ على هذا الانسان موقفه ـ تبدأ في توجيهه وتنبيهه الى الحقيقة الاصيلة التي ترتكز على أساس أن الحق يستطيع أن يهزم الباطل وحده دون حاجة إلى باطل معه ، فليست وسائل الحق لهداية الناس وايصالهم الى الغاية . . محصورة في نطاق محدود ، وليست مجالا مختصاً بآفاق ضيقة ، بل هي ممتدة في آفاق الحياة ومجالاتها الى أبعد حد . . ففي كل ظاهرة من ظواهر الحياة دليل على الحقيقة . .

وفي كل حقيقة من حقائقها ارشاد الى الواقع . .

وفي كل مجال من مجالاتها . . متسع للقول ، ومنطلق للعمل . . على اساس اسلامي سليم .

واذا كانت القضية في هذا المستوى من الامتداد والاتساع . . فلا بد للرائد من التوفر على دراسه سبل الحق ، والتعمق في مصادره ومـوارده ، والانطلاق إلى البعيد والقريب من آفاقه . . ليستطيع السير بالحياة تحت ظلال الحق ، وفي هداه . . دون حاجة الى الباطل في أي شأن من الشؤون العامة والخاصة .

وقد نجد ملامح هذه الحقيقة في بعض الاحاديث المروية عن الامام الصادق فقد روي عن الامام الصادق انه قال : ـ وقد ذكر عنده الجدال في الدين ـ وان رسول الله (ص) والأئمة «ع» قد نهوا عنه ـ لم ينه مطلقاً ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن . أما تسمعون الله يقول :

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ .

فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين .

والجدال بغير التي هي أحسن محرم حرمه الله على شيعتنا .

وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ .

قال الله تعالى : ﴿تلك أمانيهم هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ فجعل علم الصدق الإتيان بالبرهان ، وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدال بالتي هي أحسن .

قيل : يا ابن رسول الله ، فما الجدال بالتي هي أحسن ، والتي ليست بأحسن. قال: اما الجدال الذي بغير التي هي أحسن ، فان تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجة قد نصبها الله . ولكن تجحد

قوله ، أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل ان يعين به باطله ، فتجحد ذلك الحق مخافة ان يكون له عليك فيه حجة لأنك لا تدري كيف المخلص منه ، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين ، أمّا المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم اذا تعاطى مجادلته وضعف ما في يده حجة له على باطله ، وأما الضعفاء منكم فتغم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل .

وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياءه له فقال الله تعالى : ـ حاكياً عنه ـ **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾** فقال الله تعالى في الرد عليه «قل» يا محمد **﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنت منه توقدون﴾** فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال : كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم ، فقال الله : **﴿ قل يحييها الذي انشأها أول مرة ﴾** أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء ان يعيده بعد ان يبلى بل ابتداؤه أصعب عندكم من اعادته. ثم قال: **﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾** أي إذا كان قد كمن النار الحارة في الشجر الاخضر الرطب ثم يستخرجها فعرفكم أنه على إعادة من بلي أقدر. ثم قال: **﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾**. أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم فكيف جوزتم من الله خلق الأعجب عندكم والأصعب لديكم ولا تجوزون منه ما هو أسهل عندكم من اعادة البالي .

وقد نقلنا هذا الحديث بطوله ، لاشتماله على بعض النماذج الحية للاسلوب الاسلامي في الجدال والصراع . .

قال الصادق فهذا الجدال بالتي هي احسن ، لان فيها قطع عذر الكافر وازالة شبههم واما الجدال بغير التي هي احسن فان تجحد حقاً لا يمكنك ان تفرق بينه وبين باطل من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو المحرم لانك مثله جحد حقاً وجحدت حقاً آخر[1] .

وسواء أصحت هذه الرواية عن الصادق ام لم تصح . . فاننا واجدون فيها الحقيقة التي تلتقي مع اكثر من آية ومع اكثر من حديث . .

وهي التي تشجب صدور الباطل من المسلم وجحود الحق في اي زمان ومكان لانه ان لم يتبع ذلك فلا يبقى هناك فاصل بينه وبين المبطل كما ورد في الحديث لانه جحد حقاً وجحدت حقاً مثله » .

واخيراً ان على المسلم اذا اخلص لرسالته ووعى اهدافها ـ ان يدرك مسؤوليته امام الله تعالى فيما يعمل وفيما يهدف . . فلا يحاول الانحراف عن ارادة الله تعالى في وسائله كما لا يحاول الانحراف عنها في غاياته فان الله تعالى لا يطاع من حيث يعصى في اية حالة من الحالات .

كما ان عليه ان يدرك ايضاً ـ إذا اراد العمل في سبيل الله ـ ان اية خطوة يخطوها في هذا السبيل ، واية كلمة يتكلم بها في هذا المجال . . تعتبر حجة على رسالته او لرسالته . فليفكر طويلا ، وليحذر قبل ان يضع قدمه في بداية الطريق . .

والله سبحانه ولي النصر والسداد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) البحار ج ٩ ص ٢٠٥ الطبعة الجديدة .

عيد المرأة في يوم الزهراء (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ص) ، وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين ، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين . .

هذا اليوم هو يوم مولد الزهراء (ع) فقد ولدت في العشرين من شهر جمادى الثانية ، وقد أراد قائد المسلمين آية الله السيد الخميني حفظه الله أن يكون هذا اليوم يوماً للمرأة المسلمة على أساس أن فكرة أي عيد تنطلق من خلال النموذج الأكمل الذي يمثل المناسبة ، وأي امرأة أولى من فاطمة الزهراء (ع) أن تكون النموذج الكامل للمرأة المسلمة في كل زمانٍ ومكان .

القدوة بنتاً وزوجة وأماً

فإن الزهراء (ع) تتميز أنها من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فهي طاهرة مطهرة من كل ذنب ومن كل دنس ومن كل خبث . .

وعندما تتطلع المرأة الى فاطمة الزهراء (ع) فإنها تجد في هذه

الانسانة العظيمة نموذجاً للطفلة المسلمة الواعية فعندما كانت طفلةً كانت تعيش الرسالة والمسؤولية أمام أبيها وهي طفلة فكانت مثالاً للطفلة المسلمة الواعية . وكانت مثالاً للابنة المسلمة عندما كانت تشعر بمسؤوليتها عن أبيها ، الذي حمل رسالة الله إلى العالم ، فكانت ترى أن عليها أن تتحمل مسؤوليتها كبنت مسلمة أمام الأب الذي يحمل رسالة الاسلام فكانت ترعى أباها بأفضل رعاية حتى قال عنها إنها « أم أبيها » .

وعندما تريد المرأة القدوة الكاملة للزوجة فإنها تجد في فاطمة الزهراء (ع) الزوجة الكاملة الفاضلة التي تعيش مسؤوليتها تجاه بيتها ، كما تعيشه أية امرأة اخرى فكانت تقوم بكل ما تستطيع أن تقوم به من أعمال البيت ومن اشغاله حتى كانت تعاني الكثير من ذلك ، دون أن تتأوه ودون أن تتألم ، ودون أن تجزع من ذلك ، ودون أن ترى في عمل البيت شيئاً يحط من قدر المرأة ومن كرامة المرأة ، بل كانت تعتبرَ ان قيامها بعمل البيت هو عبادة وأن فيه رضى لله وأن فيه حملاً للمسؤولية .

وهكذا عاشت مع علي (ع) الحياة الزوجية العظيمة التي تتمثل فيها الزوجة الصالحة أمام الزوج الصالح . يقال إنها عندما جاءتها الوفاة قالت له (لعلي) : ما رأيتني خائنة ولا كاذبة ولا خالفتك منذ عاشرتك (مضمون الحديث) وذكرت لعلي كل التاريخ الذي عاشته معه ، حيث هي الزوجة المطيعة التي تحافظ على زوجها في كل المجالات التي تفرضها الحياة الزوجية ، سواء كانت في الأمور الواجبة او كانت في الأمور غير الواجبة التي يحبها الله ورسوله لكل امرأة مسلمة ، ولكل زوجة مسلمة .

وإذا أرادت المرأة أن تبحث عن المثال الكامل للأم فإنها تجد في فاطمة الزهراء (ع) مثال الأم الفاضلة الكاملة التي تتحمل كل المسؤولية في تربية اولادها ، وأي امومة أعطت كما اعطت امومة الزهراء (ع) في تربيتها للحسن والحسين (ع) وفي تربيتها لزينب ولأخوات زينب (ع) حيث انطلقت من أمومتها كل صيحات الجهاد ، وكل صيحات الوعي ، وكل صيحات الايمان في كل المجالات ، قبل كربلاء وفي كربلاء وبعد كربلاء . .

ثم كان دور الزهراء (ع) دور الانسانة المجاهدة التي كانت تخرج مع أبيها وزوجها في كثير من الحالات في الحرب ، كما كانت تخرج بعض نساء المسلمين من أجل أن يقمن ببعض المسؤوليات التي كانت تستطيع أن تقوم بها المرأة في الحرب من سقي العطاشى ومن تضميد الجرحى وما الى ذلك من الأمور .

ثم كانت وقفتها بعد وفاة أبيها ـ رسول الله (ص) ـ في المسجد حيث خطبت الخطبة البليغة التي عرّفت فيها أدق أسرار الشريعة الاسلامية ودافعت فيها عن الحق ـ الذي كانت تعتقده كما نعتقده ـ لزوجها في ولاية امور المسلمين وكانت تتكلم بكل قوة وبكل صلابة وبكل جرأة ، لا من موقع أنها كانت تدافع عن زوجها كزوج ، او عن ابن عمها كابن عم ، ولكنها كانت تدافع عن الانسان الذي اعطاه الله ولاية امور المسلمين من صفتها الرسالية والجهادية .

هذه الحياة الغنية التي تستطيع ان تكون رمزاً لكل امرأة في كل مرحلة من مراحل عمر المرأة ، مرحلة البنت والشابة ، والطفلة والأم والانسانة المسلمة كإنسانة مسلمة تشعر أن من واجبها أن تعيش المسؤولية كأفضل ما تعيش المسؤولية فيما تفرضه عليها المسؤولية من

رعاية امور المسلمين ، تماماً كما هي مسؤولية الرجل في حجمه ان يرعى امور المسلمين بما يستطيعه من رعاية أمور المسلمين .

لهذا كانت ولادة الزهراء (ع) هي المناسبة التي يجب أن تنطلق منها المرأة المسلمة لتجعل منها عيداً سنوياً لها في العالم كله ، كما يجعل الناس أعياداً للمرأة وللطفل وللأم ولغير ذلك .

نظرة الاسلام للمرأة

ونحن الآن نريد ان نتحدث عن بعض من نظرة الاسلام الى المرأة حتى تتصحح كثير من النظرات التي ننظرها نحن خطأً . .

في الاسلام المرأة كائن مسؤول ، تام المسؤولية ، كما هو الرجل كائن مسؤول تام المسؤولية ، فكما ان الرجل مكلف بالعبادات ، فكذلك المرأة مكلفة بالعبادات الا ان المرأة تختلف عن الرجل في حالة واحدة ، وهي حالة العذر ، حالة الدورة الشهرية ، فإن الله سبحانه وتعالى قد أعفاها من العبادة في هذا الوقت .

مساواة في العقوبة

وبالنسبة الى المحرمات ليس هناك فرقٌ بين ما حرّمه الله على المرأة وبين ما حرمه الله على الرجل، فلم يحرّم الله شيئاً على المرأة لم يحرمه على الرجل ، والعكس بالعكس ـ في القضايا العامة ـ كالكذب والغيبة والنميمة والسرقة وقتل النفس بغير حق ، والزنا ، وما إلى ذلك . .

والعقوبات التي تترتب على المرأة هي نفسها العقوبات التي تترتب على الرجل ، لا فرق بينهما في هذا المجال ، فالله قال : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ﴾ والله قال :

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ﴾ .

لم يفرق الله تعالى بين الرجل والمرأة في العقوبة في كل مجالات العقوبة ، خلافاً للعقلية الجاهلية التي تعتبر خطأ المرأة يسيء الى شرف العائلة بينما تعتبر أن خطأ الرجل لا يسيء الى هذا الشرف ، ولهذا إذا اخطأت المرأة فإنها تقتل ـ عند الجاهليين أو عند الذين يفكرون تفكيراً جاهلياً ـ ولكن الولد إذا اخطأ وانحرف واعتدى على أعراض الناس فإنهم يدافعون عنه ويحاولون أن يحلوا القضية بالطرق السلمية .

الله لا يتعرف على هذا التمييز بين وضع وآخر وبين المرأة والرجل .

وفي الثواب

وهكذا في عالم الثواب ، حيث لا فرق بين المرأة والرجل : ﴿ ان الله لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ﴾ ليس هناك أي فرق ، بل ربما في بعض الحالات اذا احسنت المرأة فإن عملها قد يكون احسن من عمل الرجل ، فالله عندما يريد أن يثيب على العمل ، لا ينظر الى العامل هل هو امرأة أو رجل ، بل ربما تكون بعض النساء اعلى درجة عند الله من بعض الرجال .

وهناك بعض الفروق التي جعلها الله في قضية المرأة ونحاول أن ندرسها هل فيها انتقاص من قدر المرأة وكرامتها أو أن المسألة غير ذلك .

القوامة

في الحياة الزوجية ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله

بعضهم على بعض وبما انفقوا ﴾ يعني القوامة ، وإنما هي في حياة الزوجية ، بمعنى أن الرجل يملك من امر الحياة الزوجية ما لا تملكه المرأة ، فبيده الطلاق مثلاً ، انهاء الحياة الزوجية بيد الرجل وليس بيد المرأة إلا أن يجعل لها ذلك في ضمن عقد الزواج ، فإذا لم يجعل لها ذلك فهو بيد الرجل جملة وتفصيلا .

لماذا هذا ؟! .

هذا من جهة أن الحياة الزوجية تعتبر الخلية الأولى من خلايا المجتمع فلا بد لهذه الخلية من مدير ومسؤول . قد يطرح السؤال ، من المسؤول هل الرجل أم المرأة أم كلاهما معاً ؟! .

المرأة من الصعب أن يحمّلها الاسلام مسؤولية الحياة الزوجية باعتبار أنها تبتلى بأوضاع جسدية من خلال الحمل والارضاع ، أو من خلال الحالات الصحية الخاصة ، وما الى ذلك . . والاسلام يـريد للمرأة أن تشعر برسالة الأمومة في البيت .

ثم الجانب العاطفي الموجود عند المرأة الذي ينطلق من طبيعة دورها كأم ، ودورها كأنثى هذا الجانب العاطفي يترك تأثيراً كبيراً على كثير من القرارات وعلى كثير من الحالات التي يمكن أن تصدر عن المرأة .

لهذا على أساس أن الرجل أقل عاطفة من المرأة وعلى أساس أن مجالات الرجل العملية اوسع ، لأنه لا يبتلى بما تبتلى به المرأة ، فلهذا جعل له ادارة الحياة الزوجية : **﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾** هذا التفضيل الناشىء من قلة الرصيد العاطفي عند الرجل ، في مقابل الرصيد العاطفي الموجود عند المرأة و . . . **﴿ بما أنفقوا ﴾** من أموالهم، لأن الرجل هو الذي يتحمل مسؤولية الانفاق على الزوجة

وعلى الأولاد ، ومن الطبيعي عندما حملّ الله الرجل مسؤولية الانفاق على البيت الزوجي ، أن يكون امر الحياة الـزوجية بيـده لأنه هـو المتضرر بلحاظ الخسارة التي تطرأ عليه في هذا المجال .

أما في غير هذه الحالات ، فليس للرجل أية سلطة على المرأة خارج هذا النطاق ، فقضية العمل المنزلي داخل البيت مثلاً ، إذا لم يشترط الزوج على الزوجة في ضمن العقد ، بمعنى ان تقوم بأعمال البيت وتربية الأولاد ، فهذا هو عمل كبقية الأعمال ، فلا يحق له أن يجبرها على العمل أو التربية كأي امرأة أجنبية .

وأما خارج نطاق الشرط في العقد الزوجي كإجبار المرأة على الطبخ والغسيل وإرضاع الأولاد ، وتربيتهم ، وكل ذلك لا يجوز شرعاً الا اذا كان شرطاً ضمن العقد ، وبذلك يريد الله سبحانه وتعالى أن يبين للرجل بأن دوره في البيت ليس دور « الديكتاتور » أو دور الانسان الطاغية الذي يجب ان يعبد من دون الله ، حتى يحسن معاشرتهـا ويحسن احترام انسانيتها ، والمرأة إذا رأت أن الرجل يحترمها كإنسانة وإذا أحسن الرجل إدارة مشاعر المرأة فعليها الطاعة في ضمن الحدود الشرعية والأخلاقية .

وعمل المرأة حقيقة هو عملٌ شاق وإن كان في داخل البيت ولهذا أعطاها الاسلام ـ أو أجاز لها ـ الأجر على ذلك ، والآن هناك في اوروبا وأمريكا ما يسمى « بلجان حقوق المرأة » تلح وتطلب أن يعتبر العالم العمل المنزلي هو عمل تستحق المرأة عليه الأجر والمـال ، وهذه اللجان تعقد المؤتمرات في العالم لأجل ذلك . .

وصحيح ان الاسلام أعطى المرأة هذا كله ولكنه أوجد لها جواً روحياً دعاها للعمل به فقال بأن « جهاد المرأة حسن التبعل » ، وقال

لها انها إذا تبرعت وعملت لزوجها وأولادها فإنها تنال أجر المجاهدين في سبيل الله سبحانه وتعالى . واعطاها هذا الجو الروحي حتى جعلها تقدم كل شيء قربة الى الله .

ليس للرجل على المرأة من حق شرعي الا بالنسبة للعلاقة الزوجية الخاصة ، فليس لها ان تمنعه من نفسها في أي حال الا بالحالات المحرمة وحالات المرض الشديد ، على اساس انها اذا منعته عن نفسها فقد يضطر للانحراف ، وأن لا تخرج من بيته بغير اذنه ـ في وقت حاجته إليها . بعض الأزواج بناءه أن يغيب شهراً ويقول لها لا يحق لك أن تخرجي من البيت . . هي يستحب لها ان تبقى ولكن ليس عليه أن يجبرها على ذلك . .

حق الزوج الشرعي

الحق الشرعي للزوج في هذا المجال هو ان لا تخرج من بيته بغير اذنه فيما يتنافى مع حقه الزوجي ، اما فيما لا يتنافى مع حقه الزوجي فهنالك الكثير من المجتهدين الذين يقولون لا حق للرجل على المرأة في هذا المجال . وطبعاً هذا لا يعجب الكثير من الرجال الذين تعودوا على ان يعتبروا أن المرأة طوع أيديهم في كل شيء .

بعض الناس لو كان ينظر الى حقوقه كما ينظر الى أخته المتزوجة أو ابنته المتزوجة ، فهل يقبل أن تحبس أخته في البيت ، أو هل يقبل اساءة معاملتها بالضرب أو القهر أو ما الى ذلك . .

من ناحية شرعية لا يجوز للرجل ان يضرب زوجته في اي حالة من الحالات الا في حال امتنعت عليه في حقه الزوجي فقط والله قال : ﴿ فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ﴾ ففي البداية

موعظة ونصيحة ، ثم هجران في المضـاجع ، وأخيـراً يكون له حق الضرب . .

اما أن يضربها لأن « الطبخة » لم تعجبه ، أو لم تعجب والدته أو ما الى ذلك . . فإن ضربها كضرب أي انسان آخر والله لا يضيع حق هذا الانسان .

وشتم المرأة وسبها لا يجوز ، لا فرق بين ان تشتم زوجتك او تشتم أي انسانٍ آخر ، السباب معصية . .

والله قال : ﴿ **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ﴾ . فيما هو الحق الشرعي للرجل .

هذا في داخل الحياة الزوجية .

أما في المجال الآخر ، أنت أب وعندك بنت ، الآن شرعاً ليس لك سلطة على ابنتك أو ابنك ، أنت ولي عليهما قبل ان تبلغ ابنتك أو يبلغ ابنك ، فطبابة الولد أو تعليم الولد او ما الى ذلك هذا لا يجوز ان يتصرف فيها اي انسان الا برضى الولي ، معاملات الولد لا تصح الا بإذن الولي ورعاية الولي ، لكن انت كولي لا تأخذ حريتك ، بـأن تقول : « هذا ابني ولي كامل الحرية في التصرف » . لا يجوز لك ان تضرب ولدك الا في حالات التأديب بشرط أن لا تكون هناك وسيلة للتأديب الا الضرب . بمعنى انه اذا استطعت ان تؤدب ابنك بالكلمة فالضربة تصبح حراماً ، أو إذا يتأدب من خلال اعطائه بعض النقود فالضربة أيضاً حرام . أو إذا يتربى بضربة واحدة فالثانية حرام ، واذا ضربتين فالثالثة حرام وهكذا . . .

اخطار تعطيل الزواج او تعقيده

واذا بلغت الابنة فمن ناحية شرعية ، لهـا أن تشتغل بمالها اذا كانت راشدة ، ولا يحق لأحد ان يتصرف بمالها ، وكذلك بأمورها الخاصة والعامة إلّا في حالة الزواج فأكثر العلماء يحتاطون احتيـاط وجوبي في أن البنت لا تتزوج الا بإذن أبيها . هنا بعض الآباء يعتقد بأنه لا بد أن يزوج البنت على مزاجه ، عندها ابن عم فلا بد أن تتزوج منه وإلا تبقى بدون زواج ، حتى لو كان ابن عمها غير كفؤ . . يتقدم لها انسان كفؤ في الدين والخلق والاخلاق ، ولكن لا يعجبه لأنه من عائلة أخرى ، وهناك مشاكل مع هذه العائلة وما إلى ذلك . هذا حرام ، فالأب الذي يمنع ابنته من الزواج بالكفؤ لا يجوز له شرعاً والله سوف يحاسبـه على ذلك ، خـاصة اذا تعـطّل زواج ابنته في المستقبل .

وفي عرف البعض انه اذا قالت البنت لوالدها انها تريد أن تتزوج اعتبرها انحرفت عن الدين والأخلاق ، ولكن الاسلام أوسع من عقليتنا الجاهلية .

فيروى ان هنالك احدى النساء جاءت الى رسول الله ، قالت له يا رسول الله انني اريد ان اتزوج .

لو كانت المسألة حدثت الآن وأتت لنا فتاة وطلبت منا ذلك ، لأنها تخاف على نفسها من الوقـوع في الحرام ألا نقـول ما هـذا الزمان ، ألم ينقطع « شر ش » الحياء من البنات ؟!

ولكن في الاسلام كما انه من حق الابن ان يتزوج ويحفظ نفسه من الحرام فمن حق الابنة ان تتزوج وتحفظ نفسها من الحرام ، فكما

خلق الله غريزة لهذا خلق غريزة لتلك ، وكما انه قد ينحرف ، فهي قد تنحرف ايضاً . .

فالنبي (ص) قدم المسألة بشكل طبيعي ، فالتفت وقال : « من لها » ، فقام شخص وقال : أنا يا رسول الله (ص) فسأله رسول الله عما يملك فقال : « لا شيء » ، ومرة ثانية لم يقم إلا هذا الشخص ومرة ثالثة كذلك ، عند ذلك سأله الرسول هل تحفظ بعض سور القرآن ، القرآن أو لبعض الآيات قال : نعم ، قال : « زوجتك إياها بما معك من القرآن » .

لاحظوا بساطة الاسلام وكيف لا يريد ان يعقّد هذا الموضوع حتى يمنع الانحراف بينما الناس عقدت ذلك من جهة المهر ومن جهة الطبقية ومن جهة العصبيات ، والمزاج ومن جهة أثاث البيت وما إلى ذلك ووقعنا بالانحراف ؟! . من الذي دفع الى الانحراف ، أنتَ وأنت والمجتمع كله لأنه عقد هذه القضايا فأوجد ذلك . .

إذاً أنت عندما يكون عندك بنت فكما تفتش لابنك عن زوجة ففتش لها عن زوج ، غاية ما هناك ان البنت تمنعها التقاليد من أن تشكو لها أمرها والولد لا يمنعه شيء في هذا المجال .

وخصوصاً في هذه الأيام فالأب هو الذي يدفع ببناته الى الفساد ، فمن ليس في بيته تلفزيون ، وتجلس بناته لتتطلع إليه مع الآخرين ، وكل البرامج او معظمها تثير الغرائز ، حتى لو كانت أفلاماً اجتماعية ، ولكن مناظرها الخلاعية تفوق هدفها الاجتماعي النبيل ، وعندما تذهب البنت للسينما ـ كما هو موجود ـ وتجلس دائماً أمام التلفزيون وأمام أفلام الفيديو التي أصبحت في هذه الأيام خلاعية كأبشع ما يكون ، وعندما تقرأ القصص كيفما كانت ، والمجلات على

أنواعها ، فكيف تقول لها اتقي الله ، فأنت هيأت لها الجـو الذي استيقظت فيه غرائزها ولأن تعيش هذا الجو ، فلا بد أن لا يعقّد مسألة زواجها دفعاً للانحراف الذي قد تقع فيه ، وعليه ان لا يتشنج كيف أتى هذا ليطلب الزواج منها أو كيف أتى ذاك ، وأين رآها وما إلى ذلك ، عليه أن يدرس المسألة دراسة طبيعية فكما تزوج هو كذلك لا بد للناس من أن يتزوجوا وهكذا . .

عليك أن تعتبر أن هناك نعمة من الله أن يأتيك إنسان متدين كفؤ صاحب أخلاق . إدفع من جيبك وليتزوج ابنتك ، لأنه سوف يستر ابنتك ويستر حياتها وحياتك . .

لا سلطة للأب على ابنته في ان يمنعها من التزويج بالكفؤ وإذا منعها من التزويج بالكفؤ ، يجوز شرعاً عند كل العلماء أن تذهب وتتزوج بمن تشاء من دون رضا أبيها والشرع يحميها وإذا كانت هناك سلطة شرعية فهي تحميها أيضاً .

بعض الآباء يعمل على تعطيل زواج ابنته بشكل مستمر ، فيقول ربما ماتت زوجتي ولم أتزوج فتبقى للخدمة في البيت ، وكلما أتى زوج يقول ما زال هناك وقت وهكذا . . حتى تبقى عانساً ، وفي هذه الحالة يجب على المجتمع أن يخلّص هذه الفتاة من أبيها ويزوجها . . لأن هذا ظلم فلا سلطة له عليها أن يمنعها من الزواج ، على الولد أن يحسن لأبويه ولكن أن لا يطيعهما فيما يظلمانه وفيما ليس لهما عليه حق ، ولا يمكن للعلاقات الانسانية ان تتطور في هذا المجال ، اذا عاش المجتمع الظلم الاجتماعي بكل قساوته ، والله لا يقبل الظلم بكل أنواعه ، فلا يقبل ظلم الزوج لزوجته والأب لابنته ولا يقبل ظلم الأولاد لأهلهم ، فالظلم حرام بكل أشكاله وأنواعه ، أنت إذا ضربت

طفلاً فقد ارتكبت معصية وسوف يحاسبك الله عليها .

الحظ الزوجي بين المـرأة والرجل

في اطار آخر بعض الناس يقولون بأن الاسلام ظلم المرأة لأنه يقول : ﴿ **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ ولكننا نقـول ان حصة المـرأة ونصيب المرأة في الاسلام أكبر من حصة الرجل ونصيبه وقد نضرب مثلاً على ذلك : لو اعطاك رجلٌ ألف ليرة وكلّفك ان تصرف الفين ، وأعطى آخر مئة ليرة ولم يكلفه ان يصرف شيئاً فمن يكون قد أخذ اكثر بحسب عملية الربح والخسارة ؟

من الطبيعي أن يكون الذي أخذ المئة قد فاز بالنصيب الأوفر لأنها تبقى معه وذلك يصرف كل ما معه ويزيد عليه . .

ففي الحياة الزوجية يجب على الزوج أن ينفق على زوجته ولا يجب عليها ان تنفق من مالها ، فأموالها مـجـمدة ، وليس من واجبها ان تنفق على أولادها ايضاً .

أما بالنسبة للزوج فسوف يدفع المهـر ، ثم ينفق على زوجته ويسكنها في بيت ، ويشتري لها الثياب ثم ينفق على أولاده وهكذا . . فمن الرابح أكثر في هذه العملية ؟ المرأة هي التي تربح اكثر لأنها أخذت مالاً من دون ضريبة ، وذاك المال تأكله كل الضرائب .

الشهادة

والبعض قال إن شهادة امرأتين بمثابة شهادة رجـل واحد هـو انتقاص من كرامة المرأة ، ولكن القرآن وضحّ الخطة تماماً : ﴿ **ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى** ﴾ لأن المرأة عاطفية وفي بعض الحالات قد ترى ان هذا المدّعى عليه فقير مسكين وغير ذلك فلا

تشهد عليه ، فإذا اجتمعت امرأتان لا تتفقان على رأي ، ففي بعض الحالات اذا ضلت واحدة تذكرها الثانية وعند ذلك تعرف القضية ، ومعنى ذلك ان يحدث الاحتياط في العدالة . وهذا ليس من باب الانتقاص من كرامة المرأة بقدر ما هو من باب الاحتياط في العدالة.

فالفرق بين الرجل والمرأة هو بلحاظ الناحية التنظيمية وأما من ناحية تقييمية فليس هناك فرق . .

وعلينا أن نتعلم أدوارنا في الحياة وفي يوم مولد فاطمة الزهراء (ع) وفي يوم المرأة الذي انطلق من هذا اليوم علينا ان نعرف مسؤولياتنا أمام المرأة في المسائل التي ألزمنا الله بها ودفعنا إليها من خلال احترامها أماً وأختاً وبنتاً وزوجةً .

والحمد لله رب العالمين

نظرة الإسلام إلى دور المرأة في المجتمع (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ورسوله المنتجب أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . . .

عندما تطرح الذكريات في أي موقع من المواقع قد تتحرك بعض الذكريات تحركاً تقليدياً يستعيد فيه الانسان شيئاً من الماضي ، يهرب فيه من حاضره . ويحاول أن يجتر فيه ما يجتر . وبذلك تتحول الذكريات إلى أشياء ميتة . ماتت في نفس الإنسان قبل أن تموت في كلماته . ولكن هناك بعض الذكريات التي لا تمثل إنساناً يعيش في التاريخ ويتأطر في التاريخ ، ولكنه فيما يمثل من قيم حيّة ، وفيما يمثل

(*) ألقيت في ١٥ أيار ١٩٨٠ .

من أفكار يمكن أن تتحرك في اكثر من موقع ، وفي اكثر من زمن . عند ذلك لا يشعر الإنسان أنه يتعامل مع التاريخ الميّت ولكنه يشعر أنه يتعامل مع الحياة لأن هذا الانسان الذي تُثار ذكراه هو انسان الحياة .

لماذا نقدس الزهراء (ع)

ونحن عندما نقف امام ذكرى فاطمة الزهراء (ع) لا نقف امام ذكرى امرأة نحترمها على أساس انتسابها إلى الرسول الذي نقدسه. ولكننا نحترمها ونقدسها على أساس أنها عاشت القيم الحية التي يمكن ان تعيش لها المرأة في كل زمان ومكان . عاشت محبتها لله ، لا المحبة التجريدية التي تجعل الانسان يبتعد عن الحياة عندما يذوب في الله ولكنها المحبة الواقعية التي تجعل الانسان عندما يحب الله . يحب الحياة وعندما يحب الله يشعر بأن هذه المحبة تفرض عليه أن يعطي للحياة التي هي خلق الله معنى جديداً وفكراً جديداً ، وممارسة جديدة . ونحترمها ونقدسها لأنها عاشت مع أبيها لا كأبنة تعيش عاطفة البنوة مع أبيها ، ولكنها عاشت مع أبيها كإنسانة تشعر بأن عليها أن تملأ الفراغ الذي تركه يُتم رسول الله(ص)في نفسه فكانت تشعر أن عليها أن تغني في نفسه هذه العاطفة ، عاطفة الأمومة . فكانت أماً لأبيها بشهادة رسول الله (ص) عندما قال عنها : « أم أبيها » .

وكانت في كل مجالات حياتها القصيرة تحترم البيت وتقدسه ولكن احترامها للبيت وتقديسها للبيت لم يمنعها من أن تشعر أن للمرأة دوراً آخر يتحرك في مجال الحياة بما يمكن أن تقدمه من فكر لمن يحتاجون الى فكرها . وبما يمكن أن تقدمه من عمل وفي المجالات العامة . وتاريخ الزهراء ينقل إلينا أنها كانت تعمل في صعيد الدعوى

الاسلامية في الاطار النسوي تماماً كما كانت تعمل في البيت .

ونجد موقف الزهراء بعد وفاة أبيها عندما اختلف المسلمون في بعض شؤون الخلافة والإمامة أنها وقفت وخطبت في مسجد رسول الله خطبة تعتبر من الوجهة الفكرية والوجهة البلاغية وثيقة هامة من الوثائق التي تعطينا الفكرة فيما هو دور المرأة في الإسلام .

من المناسبة إلى الآفاق العامة

في هذا الجو ، وعندما نلتقي بالزهراء نلتقي بالمعاني الحيّة التي تتحرك في حياتنا ونريد لها أن تتابع حركتها في الحياة لئلا يتجمّد الانسان عند مواقع التخلف التي فرضتها القرون المظلمة التي مرت على هذا الشرق فجمّدت المعاني الكبيرة وتحولت بها إلى معانٍ صغيرة جداً ، ذابت في نفوس أصحابها وأتباعها حتى لم تعد تمثل شيئاً . . من هنا تأتي هذه المناسبة لننطلق بها إلى فكرة عامة . لأننا لسنا في مجال أن نثير كلمات المدح والاطراء للزهراء (ع) ولكننا نريد أن ننطلق من ذكراها لنفهم شيئاً مما اختلفت فيه الآراء ، او الافكار ، او الممارسات ، ودخلت السياسة في هذا الجانب لتجعل الفهم والوعي لهذه القضايا فهماً سطحياً ارتجالياً لا ينطلق من موقع الفكر الهادىء وإنما ينطلق من موقع المزايدات التي يريد منها كل فريق أن يُسجّل نقطة ضد الفريق الآخر .

وهذا هو ما واجهناه في ظروفنا الحاضرة . فقد كان الإسلام يدرس في كثير من المعاهد او في كثير من المجالات كدين يرتبط به كثيرٌ من الناس دون أن يترك في حياتهم تأثيراً عاماً ، ولكن الإسلام الذي انطلق من خلال الثورة الإسلامية في ايران اعطى الناس مفاجأة

جديدة غيرت مفهومهم التقليدي عن الدين ، بالمفهوم الجديد ـ القديم ، المفهوم الحقيقي ، الى الواجهة من خلال الممارسة التي كانت تشبه الزلزال فبدأ الناس يفكرون ما هو هذا الإسلام الذي استطاع أن يعطينا نموذجاً فريداً من نماذج الثورات التي تعارف الناس على ان تتحرك ضمن أساليب معينة يعيشها المفكرون ولم يجد الناس في الثورات التي عاشها الانسان في القرون الأخيرة نموذجاً يشبه مثل هذه الثورة .

إذاً ، ماذا هناك ! وبدأ الناس في الشرق والغرب يفكرون ماذاهناك وبدأ الناس يبحثون من جديد فيما يقولون عنه إنه الكتب الصفراء . بدأوا يبحثون عن سر هذا الجو وعن سر هذه الاندفاعة ، وعن سر هذه الانطلاقة .

وعندما بدأ الباحثون المفكرون ، الذين يشعرون بمسؤولية الفكر ، وبمسؤولية البحث ، يدرسون . بدأت السياسة تتحرك من أجل أن تستغل كثيراً من مظاهر السلبية الموجودة في المجتمع الاسلامي في سبيل تسجيل نقاط ضد هذه الثورة وضد أية ثورة مشابهة لها يتطلع إليها الآخرون .

وبدأنا نشعر أننا بعيداً من ساحة الفوضى وساحة السياسة أن علينا كأناس نحترم قضية المصير في حياتنا ، ونحترم قضية الايمان في حياتنا ، أن علينا أن نفكر في القضية تفكيراً جديداً ، تفكيراً لا يتصل بالاسلوب التبريري لكل شيء وتفكيراً لا يحاول أن يعطي العصمة للواقع الذي نعيشه ولكنه تفكير يحاول أن يدرس القضية دراسة موضوعية علمية تنطلق من فهم الفكرة على أساس المصادر الأصيلة

للفكرة . لأننا نحتاج إلى هذا في هذه الحمّى التي نعيشها من الانفعال في كل مجالاتنا الفكرية التي ينطلق الناس فيها على أساس فكرٍ معين ولكنهم لا يعرفون من هذا الفكر شيئاً وانما نُقدّم اليهم قوالب جاهزة مقدّسة تقديساً يأخذ صفة الدين تارة ، وصفة الفلسفة أخرى وما إلى ذلك .

دور المرأة في المجتمع :

ما نريده في هذا اللقاء ، أن نأخذ فكرة عن دور المرأة في المجتمع ، من وجهة نظر إسلامية حتى نستطيع أن ننطلق في التفكير ونحن هنا لسنا في مقام إعطاء أفكار مسبقة ولكننا في مقام استجلاء ما هي القضية وما هي الفكرة من خلال المصادر الأصيلة لهذا الفكر ولهذا الدين ولهذه الشريعة .

عندما نتحدث عن دور المرأة في المجتمع لماذا يُطرح هذا السؤال ؟. لماذا لا يطرح السؤال ما هو دور الرجل في المجتمع . او ما هو دور الانسان في المجتمع ؟! لأن المجتمع بما عاناه من أجواء التخلف التي انعكست حتى على تصوره لدينه وممارسته له . أفقد المرأة دورها العملي فبدأ الناس يفكرون أن لا دور للمرأة في الحياة الاجتماعية وإنما يتلخص دورها فقط في أجواء البيت .

والكثيرون من المؤمنين ومن غير المؤمنين يعتقدون أن الاسلام لا يريد من المرأة إلا أن تكون ربة بيت فحسب . لا يريدون منها أن تنمي فكرها وممارساتها ودورها في الحياة ولكن عليها أن تتقن شؤون بيتها وتنتهي القصة عند هذا الحد ويكون في ذلك القيمة كل القيمة .

لا بد لنا قبل الانطلاق مع مسار الفكر الإسلامي في هذا المجال . لنجد هل أن هؤلاء على صواب أو على خطأ ، من أن نأخذ لمحة موجزة عن طبيعة التصور الإسلامي للمرأة . كيف يتصور الإسلام المرأة في علاقتها بالخطيئة الأصلية . او كيف يتصور الاسلام إرادة المرأة . هل لها إرادة مستقلة ام لا . ما هي شخصية المرأة القانونية . هل أن المرأة شخصية قانونية في كل المجالات القانونية التي يتعامل فيها الناس . او انها شخصية قانونية تابعة .؟؟.

كذلك المرأة قد تنطلق في حياتها لتقوم بأعمالٍ إيجابية ، وقد تنطلق لتقوم بأعمال سلبية كما هو الرجل ، كيف ينظر الإسلام إلى عمل المرأة في المجالات الايجابية في الحياة . وكيف يمكن أن ينظر الى عمل المرأة في المجالات السلبية ، وهل أنه يحمل المرأة مسؤولية اكثر مما يحمل الرجل أو ان القضية في هذا سواء ؟؟.

الخطيئة ليست أصليّة :

إنني أفترض قبل أن ننطلق مع النصوص أننا سنجد في هذه النصوص القرآنية ـ باعتبار أن القرآن يمثل المصدر الأصيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بإجماع المسلمين كافة ، يُعتبر المصدر الأصيل للفكر الإسلامي .

ونحن الآن نريد أن نخرج بهذه النتيجة أن الإسلام لا يفرق بين المرأة وبين الرجل في كل هذه المجالات التي عرضها .

في علاقة المرأة بالخطيئة الأصلية ، ربما نجد هناك فكراً يعتبر المرأة مسؤولة عن ضلال الرجل وضلال الإنسان وابتعاده عن جنة

الله . ولكن القرآن يتحدث في هذا المجال عن الرجل والمرأة حديثاً واحداً في مجال الانطلاق نحو الخطيئة ويتحدث أيضاً حديثاً واحداً في مجال التراجع عن الخطيئة . فالخطيئة عنصر طارىء لا أصيل في شخصية الإنسان . الإنسان ليس خطيئة في تكوينه ، هو يعيش الضعف الإنساني كما يعيش قوة الإنسانية، فيه ضعف وفيه قوة ، ويمكن أن يستسلم لضعفه كما يمكن أن يقف مع قوته رجلاً كان أو امرأة . الانحراف شيء ظارىء في شخصية الانسان وتصحيح المسار بعد الانحراف ايضاً شيء أصيل في نفس الانسان .

لنتابع الآيات الكريمة التي تتحدث في هذا المجال : **﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكُلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما من الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين﴾** .

ماذا نفهم من هذا النص .

إن الآيات بدأت تتحدث عنهما عندما أخطأا، وعنهما عندما خدعا ، وعنهما عندما انتبها إلى الخطيئة ، وعنهما عندما تراجعا عن الخطيئة .

إذاً ليست هناك خطيئة أصلية يمكن أن تطبع شخصية المرأة كما

ليست هناك خطيئة أصلية تطبع شخصية الرجل .

المساواة في الثواب والعقاب :

في المجال الثاني قيمة العمل السلبية والايجابية ، ليس هناك أي فرق في التقييم وفي المسؤولية بين الرجل وبين المرأة .

تقرأ هذه الآيات ، في الجانب الايجابي :

﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ .

كذلك في المجالات الايجابية :

﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ .

إنها القيمة الإيجابية ، الرجل والمرأة هما سواء ليس هناك فرق بينهما في أيّ موقع من مواقع الغمل الايجابي ، ليس هناك فرقٌ في القيمة وليس هناك فرقٌ في نتائج المسؤولية .

ننتقل إلى الجانب السلبي :

﴿ السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ﴾ . ليس هناك امتياز للرجل عندما يسرق ، وليس هناك امتياز للمرأة ، المرأة والرجل سواء .

﴿ السارق والسارقة ﴾ من دون فرق بينهما في الذكورة والانوثة وليس هناك فرقٌ في أي جانب من جوانب الحياة الاخرى والصفات الأخرى.

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مئة جلدة ﴾ الانحراف في هذا المجال يعتبر خطيئة يتحمل مسؤوليتها الرجل ، تماماً كما تتحمل مسؤوليتها المرأة . اما الواقع الذي يعيشه الناس ، لا سيما في المجتمعات العشائرية وشبه العشائرية الموجودة في الشرق ، حيث ان المرأة عندما تنحرف او تتهم بالانحراف ، يحاولون أن يعتبروا أنفسهم أنها قد ألحقت بهم عاراً بالعشيرة كلها وأن عليهم أن يغسلوا هذا العار بالدم . اما الرجل إذا أخطأ اوانحرف فإنهم يدافعون عنه ما امكنهم من الدفاع .

هذا الواقع جاهلي ليس واقعاً اسلامياً ، ولا يتحمل الاسلام مسؤوليته في قليلٍ ولا كثير بل بالعكس ، الإسلام يعتبر شرف الإنسان يرتبط بذاته وبممارساته ، ليس هناك شيء اسمه شرف العشيرة الذي يتلطخ بممارسة إنسان ، او شرف الأمة الذي يتلطخ بممارسة إنسان ، الانسان هو الذي يكون شريفاً وشرفه يخصه ولا يخص الآخرين في الاطار السلبي او في الاطار الايجابي لأن الإسلام يقول في القرآن الكريم ، ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ففكرة شرف العشيرة أو فكرة شرف البلد ، أو أي نوع من أنواع هذه التجمعات . هذه الفكرة مرفوضة اسلامياً . بل يعتبر الإسلام الانسان يتحمل مسؤولية عمله بالذات ولا يحمل الآخرين أيَّ شيء من هذا ، حتى لو انحرفت المرأة اوانحرف الرجل فالإسلام لا يعطي السلطة لا للأب ولا للأخ ولا لابن العم ولا لأي إنسان ومن الأقرباء اوالأصدقاء لا يعطيه أية سلطة على إنهاء حياة هذه الانسانة أو هذا الانسان ، بل يخضع

القضية لموازين شرعية تحاول أن تتابع أية قضية ضمن ظروفها وضمن أجوائها وضمَن واقعها . كما أن الإسلام لا يعطي السلطة لأحد بل انه ينفذ الحدود . لو كانت هناك حدود ، في اطار السلطة العامة ولا يترك الممارسات الشخصية حرة في هذا المجال .

من خلال هذه الفكرة نفهم أن الإسلام لا يُفرّق في مجال التقييم السلبي والايجابي وفي نتائج المسؤولية بين الرجل وبين المرأة .

في العمل :

المرأة تعمل وعندما تعمل قد تكسب من عملها مالاً . قد ترث مــالاً من أبيها قد تحصل على مالٍ من أية جهة خاصة ، المرأة حرة في مالها ابنة كانت أو أختاً أو زوجاً أو أماً أو أي شيء من هذه الأمثال هي حرةٌ في ذلك : ﴿ **للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن** ﴾ . ليس هناك أي إنسان يملك أية ولاية مالية على المرأة . تماما كما أنه ليس هناك أي انسان يملك ولاية مالية على الرجل . عندما يكون الرجل بالغاً راشداً وعندما تكون المرأة بالغة راشدة .

في الارادة :

المرأة تملك إرادتها عندما تكون بالغة راشدة فهي مستقلة في ارادتها لا يملك أيُّ انسان أن يقهر إرادتها في أي جانب من جوانب الحياة . إلّا أن تقهر هي إرادتها ضمن الالتزامات التي تلزم بها نفسها في أي جانب من الجوانب .

حتى الزواج ، كل زواج يقع عن اكراه باطل ، الزواج الذي لا ينال رضى المرأة هو باطلٌ من وجهة نظر شرعية إسلامية بحيث ان المرأة التي تكره من قبل أخيها أو من قبل أبيها أو من قبل أية سلطة

أخرى على الزواج بإنسان لا ترضى به ولا تريده . تستطيع أن تخرج من مجلس العقد لتتزوج أي انسان شاءت ، لأن العقد لا قيمة شرعية له ما دام يفقد الإرادة المستقلة التي تملكها المرأة في تقرير مصيرها الزوجي في الحياة .

وهكذا ، إن الإسلام يعطي المرأة الإرادة المستقلة فلا يعترف بشرعية أية علاقة ولا يعتبرها قانونية ما لم تكن منطلقة من إرادة المرأة في كل مجال .

القرآن يضرب الأمثال من النســاء :

ثم ننطلق إلى القرآن عندما يتحدث عن المرأة في نطاق القصة ، إننا نجد أن القرآن تحدث عن عدة نماذج من النساء كمثالٍ أعلى للمرأة يطلب من الرجل أن يحتذيه وأن يأخذ منه المثل ، وكـذلك تحدث في المقابل عن المرأة في نطاق الانحراف .

لقد تحدث عن السيدة العذراء مريم (ع) في مساحة كبيرة من القرآن الكريم وأراد من حديثه عنها أن تكون وابنها آية للعالمين في كل زمان ومكان .

وعندما تحدث أيضاً في هذا الإطار المشرق ، تكلم عن امرأة فرعون عندما ضربها الله مثلاً للذين آمنوا . الذين قد يشعرون بضغط البيئة عليهم فيدعوهم شعـورهم بضغط البيئة عليهم إلى الانحـراف ، ويجدون في قوة ضغط البيئة مبرراً للانحراف عن الخط .

إن الله يطرح أمامهم نموذج المرأة التي استـطاعت ان تملك الارادة القوية التي تقف من خلالها ضد كل بيئتها بالرغم من أن بيئتها

كانت تتميز بطغيان لا طغيان فوقه وجبروت لا جبـروت فوقه . . .

﴿ ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربي ابـنِ لي عنـدك بيتاً في الجنـة ونجني من فرعـون وعمله ونجني من القـوم الظالمين ﴾ .

والمثل السيء :

وفي المقابل تحدث لنا عن المرأة التي تنحرف ، ولكنها تعيش في أقدس بيت وفي أقدس علاقة . تحدث لنا عن امرأة نوح ، وامرأة لوط واعتبر أنهما تتحملان مسؤولية انحرافهما وأن علاقتهما الزوجية بنبيين لا يمكن أن يفيداهما أي شيء .

﴿ وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوحٍ وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ .

وهكذا نجد في هذا العرض أن الإسلام عندما تحدث عن المرأة في الجانب المشرق او في الجانب المظلم ، لم يتحدث عنها بأكثر مما تحدث عن الرجل .

وتلك هي الفكرة الإسلامية العامة حول المرأة كإنسان وحول الرجل كإنسان ، في المسؤولية هما سواء . وعندما يكونان سواء في المسؤولية فلا بد أن يكونا سواء في وعي المسؤوليـة وفي طريقـة تصورهما للمسؤولية ، فلو كانت المرأة أقل عقلاً من الرجل كما نفهم العقل لما كانت هناك عدالة في أن تحمّل المسؤولية بنفس المستوى الذي يُحمّل فيه الرجل .

إذاً ، لا بد أن يكون الوعي مشتركاً فيما بينهما وفي مستوى متوازن حتى يمكن أن تكون المسؤولية مشتركة في هذا المجال، وحتى تكون نتائج المسؤولية مشتركة ايضاً .

من خلال هذا التصور نعرف أن الدور الذي أعده الإسلام للمرأة لا يختلف كثيراً في الخطوط الرئيسية العامة للحياة ، عن الدور الذي جعله الإسلام للرجل .

مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فالمرأة من وجهة نظر اسلامية مكلفة بالدعوة الى الله وهداية المجتمع بمقدار طاقاتها كما هو الرجل ، والمرأة مكلفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يمثل الرقابة العملية الاجتماعية ضد الانحراف في أي مجالٍ من مجالات الحياة والذي قد يرتفع الى أن يتمثل في الثورة على الظلم والطغيان والانحراف ، ونعرف ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتحجّم في الممارسات الشخصية التي اعتاد الناس أن يطلقوا عليها اسم المعروف واسم المنكر بل ينطلق حتى في الممارسات العامة .

نفهم هذا من خلال تحرك الحسين (ع) وثورته التي اعطاها هذا الطابع وقال : (اني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولكن خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي رسول الله (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) . إنه جعل مضمون الثورة يتلخص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إذاً،عندما يتحدث القرآن الكريم عن المرأة وعن الرجل وعن دورهما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفهم من خلال ذلك أنه

يعطي المرأة الدور الكبير، ويحملها المسؤولية الكبيرة في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف ضد الانحراف سواء كان خاصاً أو عاماً . . .

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويأتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله . ان الله عزيزٌ حكيم ﴾ .

المؤمنون والمؤمنات ، ينطلقون في مجتمع واحد ومسيرة واحدة يطيعون فيها الله ويشعرون بمسؤوليتهم الاجتماعية إزاء ذلك كله في كل مجال من مجالات الحياة .

عمل المرأة داخل المنزل :

وهناك شيء يثار دائماً في قضية أن الإسلام يريد من المرأة أن تكون ربة بيت ، وهنا نحب أن نشير قبل أن ندخل في صلب الموضوع ـ الى نوعين من الأحكام في الإسلام . هناك أحكام إلزامية تفرض على الإنسان الفصل او تفرض عليه الترك ، وتسمى بالوجوب والتحريم ، وهناك أحكام ترخيصية تتمنى على الإنسان أن يفعل ولا تمنعه أن يترك ، او تتمنى عليه أن يترك ولا تمنعه من أن يفعل وتسمى بالاستحباب والكراهية او تخيره بين اثنين وتسمى بالاباحة .

المرأة ربة بيت هل الإسلام يفرض عليها ان تكون ربة بيت ؟ .

المرأة قبل أن تتزوج والمرأة بعد أن تتزوج ، قبل أن تتزوج ليس لأي أنسان من أب أو أم أو أخ أو أي قريب أن يفرض عليها العمل المنزلي تستطيع أن تمتنع من العمل المنزلي من وجهة نظر الزامية شرعية ، فليس هذا شيئاً مفروضاً عليها تماماً كما لا يملك الأب او

الأم أن يفرضا على الولد الذكر أن يشتغل في شؤون البيت ، كذلك من وجهة نظر إلزامية .ليس هناك وجوب، وليس هناك إلزام . بل هي من خلال اختيارها وإرادتها تستطيع أن تشعر بمسؤوليتها الطوعية الانسانية العائلية بأن تقدم لهذا البيت الذي يرعاها شيئاً في مقابل رعايتها . وتكون القضية منطلقة من موقع العطاء .

وفي هذا المجال تستطيع الفتاة التي تعيش في منزل أهلها أن تعمل من دون أن يكون هناك أي ضغط على حريتها في العمل ، ولكن هناك إطار لعمل الفتاة ، كما هو الإطار لعمل الشاب . الإطار الأخلاقي، أن تعمل في جوٍ يحمي لها شخصيتها وأصالتها وأخلاقيتها تماماً كما يطلب الإسلام من الرجل أيضاً أنه عندما يريد أن يعمل في أي مجال فعليه أن يعمل في مجال يحفظ له شخصيته وأصالته . وعندما تكون المرأة زوجة ، فهل يحبس الزواج المرأة من ناحية شرعية في ضمن البيت وهل يفرض عليها عمل البيت ؟ هل يجب على المرأة من ناحية شرعية على أساس عقد الزواج فحسب بعيداً عن الشروط التي يمكن أن يشترطها الزوج أوالزوجة . هل يجب على المرأة ان تربي الأولاد ؟ ان ترضعهم او تحضنهم ؟ او تخدمهم أو تعمل في شؤون البيت ؟.

لا الزامية للعمل :

إن الإسلام لا يعتبر العقد الزوجي ملزماً للمرأة في هذه المجالات ، ولا يعتبر من نتائج العقد الزوجي أن تشتغل المرأة في البيت . بل نفقتها واجبة على الرجل ، ولا يجب عليها من ناحية شرعية أن تمارس أي عمل . واكثر من هذا . قبل مدة قرأت أنه عقد

في امريكا أو أحد بلدان اوروبا مؤتمر نسائي عـالمي ومهمة هـذا المؤتمر أن يبحث عن العمل المنزلي للمرأة وعن العمل غير المنزلي الذي تشارك فيه المرأة الرجل في الحقل او في المؤسسة أو في أي جانب ، وأنها تفكر أن الاخلاص لانسانية المـرأة أن يكون عملهـا يخضع للأجر ، أن يكون لهـا في داخل البيت الـزوجي شخصيتها العاملة وأن تستحق على عملها الأجر .

وكانوا يبحثون في شرعية هذا ، وفكرت أن الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة احترم انسانية المرأة واعتبر عملها في داخل البيت عملاً تستحق عليه الأجر لو أرادت .

أترون عملاً اكثر حميمية في شؤون المرأة من إرضاع الطفل ؟ الإسلام لا يجبرها على أن ترضع طفلها . بل يمكن أن تأخذ أجرة على ذلك لو أرادت ، ليس للرجل على المرأة في نـطاق العلاقـة الزوجية في الإسلام إلا موضوع العلاقة الزوجية الخاصة ، وكل ما يرتبط بهذه العلاقة ، اما العلاقة المنزلية التي تدور حول تنظيم المنزل وإدارته فهو ليس فرضاً عليها .

كيف تنطلق الأسرة إذن ؟

وقد يتساءل المتسائلون أن القضية اذا كانت بهذا الأطار فكيف يمكن لنا أن نخلق اسرة تعيش جو التعاون والمشاركة لو قالت المرأة للرجل أنا لا أريد أن أشتغل وأطبخ أو أقوم بأي شيء ، ومن ناحية شرعية ؟ . ولكننا نقول في هذا المجال إن الإسلام أراد للبيت الزوجي أن لا تحكمه القوانين الإلزامية لأن مؤسسة الزواج ـ كما يطلقون عليها هذا الأيام ـ ونحن لا نريد أن نتعـامل مـع هذا المصـطلح المادي

الضيق . هذه المؤسسة لا يريدها الاسلام أن تخضع للمادة كذا والمادة كذا في جميع مجالات حياتها لأن المواد القانونية الالزامية اذا سيطرت على اجواء الحياة الزوجية تحولت الحياة الزوجية الى علاقةٍ مادية تحكمها المصالح المادية الضيقة جداً . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد للعلاقة الزوجية أن تعيش جواً حميماً ينبع من روحية العطاء التي تمارسه المرأة في ما لا يجب عليها أو يمارسه الرجل فيما لا يجب عليه، فجعل حدوداً إلزامية تكون بمثابة الضوابط لهذه المؤسسة او لهذه العلاقة حتى لا يظلم أحد الآخر ثم جعل هناك مساحة واسعة اختيارية أوصى فيها للمرأة من ناحية روحية أنها بمقدار ما تعطي من خدمة للبيت الزوجي ورعاية له فإن لها ثواباً كبيراً عند الله تعالى .

وقد ورد في الحديث : « ان جهاد المرأة حسن التبعل » يعني أن تكون زوجة صالحة خيّرة لزوجها . فالإسلام أراد للمرأة أن لا تدخل البيت الزوجي وهي تشعر بأنها تمثل مجرد خادمة للمنزل تُفرض عليها الخدمة من موقع الشريعة ومن موقع الإلزام ، بل أراد لها أن تدخل المنزل لتشعر بأنها تملك جانباً كبيراً من الحرية وأنها عندما تعطي وتقيد حريتها إنما تقيّد حريتها من موقع إرادتها لا من موقع إرادة الآخرين .

من خلال ذلك نفهم أن الإسلام لم يشرع في تشريعاته الالزامية أن تكون المرأة ربة منزل او خادمة ، وإنما أراد لها هذا من موقع أخلاقي ومن موقع إنساني ، ومن موقع يريد لها أن تعرف جيداً أن العمل المنزلي ليس عملاً بعيداً عن العمل الاجتماعي ، لأن الكثيرين منا يعتبرون أن المرأة التي تعمل في داخل المنزل بالاسلوب الجيد الذي يمكن فيه أن تخلق من المنزل خلية اجتماعية صالحة ، خارجة

عن نطاق العمل الاجتماعي . ولكننا نعتبر أن هذا هو من صلب العمل الاجتماعي بشرط أن تكون واعية له كما يجب أن تكون واعية لأي عمل مـن الأعمال الاجتماعية . ألسنا نحن نفتح دور حضانة ونعتبرها عملاً اجتماعياً ؟! ألسنا نفتح دوراً للأيتام ونعتبر رعايتهم وتربيتهم عملاً اجتماعياً ؟. ما معنى ذلك ، هل هناك فرق في العمل الاجتماعي بين أن تخدم مئة أو تخدم عشرة ؟!. ان القضية لا تختلف في طابع العمل وانما تختلف في حجم العمل الاجتماعي .

العمل للأجر:

من خلال هذا يريد الإسلام للمرأة من موقع العطاء أن تمارس عملها المنزلي من موقع أنه نموذج من نماذج الخدمة الإجتماعية في إطار خاص وفي دور خاص .

ان الإسلام لا يحجّر عليها ذلك وانما يمكنها أن تنطلق في المجالات الاخرى بالنحو الذي لا يؤثر على عملها في التأخير .

من خلال هذا هل نفهم أن الإسلام لا يعزل المرأة عن العمل الاجتماعي ؟!.

انه لا يعزلها لأنه لا يكلفها بالعمل المنزلي بشكل ضاغط وبهذا تبقى المساحة مفتوحة لها في اكثر من مجال وفي اكثر من موقع .

وعندما تخضع المرأة لبعض التزامات العقد الزوجي فإنها لا تخضع لها من خلال الآخرين ، بل من خلال التزامها وإرادتها . فهي عندما تدخل الحياة الزوجية . تدخلها من موقع إرادتها المستقلة ، لأن الإرادة المضغوطة التي تتحول الى اكراه وإجبار لا تمثل أي شيء محترم في أية علاقة قانونية من وجهة نظر الإسلام .

القضية في هذا المجال تنطلق من أنها هي تلزم نفسها ، هي تقيّد حريتها ونحن نعرف أن المجتمع لا بد له من أن يُقيّد حريته من أجل الحرية العامة ، ومن أجل السلامة العامة . لأنه لا يمكن أن تكون هناك حرية مطلقة .

وعندما ننطلق في المجالات العملية تاريخياً وحاضراً ، في التاريخ تقف أمامنا شخصية الزهراء (ع) وتقف امامنا شخصية زينب ، وتقف امامنا الكثير من الشخصيات الإسلامية في أي موقع من المواقع فنجد أن المرأة قد استطاعت أن تخوض مجالات ويمكن أن نصطلح على تسميتها في هذه الأيام باسم المجالات السياسية او أية صفة أخرى مما يقترب من هذا المصطلح او هذا المجال . وكان طبيعياً أن تقف المرأة في مجلس الحاكم وبملأ من المسلمين وتتحدث وتحتج وتعترض ويسمع لها الآخرون وقد يناقشونها فيما يريدون أن يناقشون به .

والواقع الذي نعيشه الآن في الثورة الإسلامية في إيران . إننا نشعر أن المرأة انطلقت في المظاهرات وانطلقت في التخطيط وفي كل مجالات الثورة ، من حيث انطلق الرجل والثورة كما يقولون « ثورة علماء الدين » وعلماء الدين هم الذين كانوا يقودون المسيرة وكانوا يجدون في مسيرة المرأة الى جانب الرجل شيئاً ، لا يبتعد عن الإسلام بل قد يفرضه الإسلام في اكثر من مجال .

إذاً ، دور المرأة في المجتمع دور أصيل .

قد يثير بعض الناس بعض الأشياء . كفكرة القوامة : ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ أو فكرة الإرث ﴿ **للذكر مثل حظ الانثيين** ﴾ . وقد يثير البعض قصة الشهادة باعتبار أنه جعل شهادة امرأتين في حجم شهادة رجل واحد . قد يثير بعض الناس قصة الحجاب والمجال لا يتسع

للإفاضة في هـذا التفصيل ولكننا نلمح إليه إلماحاً . .

في قصة القِوامة :

ما معنى القوامة . هل هي السيطرة . أن يسيطر الرجل سيطرة مطلقة على المرأة ؟؟ . وقد عرفنا ان الإسلام لم يمنح الرجل سيطرة إلا في نطاق العلاقة الزوجية الخاصة .

والقوامة بتعبير بسيط هي الإدارة . فلا بد للحياة الزوجية من ادارة فمن يكون المدير ؟ . هما معاً . لا يمكن أن تكون المؤسسة برأسين كما يتحدث الناس عن أن الرأسين يمكن أن يتناطحا وتكون المشكلة كبيرة .

من يكون المدير للعلاقات الزوجية إذن ؟! إن طبيعة الاوضاع الصحية التي تعيشها المرأة قد تمنعها عن الإنطلاق بعيـداً في هذا المجال بحيث تكون هي المديرة المطلقة لهذا الرجل .

إذاً . الرجل يُحمّل مسؤولية البيت الزوجي وعلى أساس بعض الفروقات التكوينية بين الرجل والمرأة . وعلى هذا جُعل الرجل قوّاماً . ومديراً للحياة الزوجية . وقد عرفنا فيما عرضناه حجم هذه الادارة .

في الإرث :

هل يريد الإسلام أن يعتبر المرأة انسانة من الدرجة الثـانية ؟ فجعل نصيبها نصف نصيب الرجل ؟ .

عندما نريد أن نفكر ماذا أعطى الإسلام الرجل علينا أن نفكر ماذا أخذ منه . وعندما نريد أن نفكر ماذا أخذ الإسلام من المرأة علينا

أن نفكر ماذا أعطاها . وعندما نحسب هذا الحساب يمكن أن لا تكون القضية في مصلحة الرجل .

الرجل يرث ، ولو فرضنا ان التركة ثلاثة آلاف ، فالرجل يرث ألفين والمرأة ألف ، ثم تتقدم بهما الحياة ويتزوج الرجل ومعه ألفان وعليه أن يدفع للمرأة المهر قل او كثر ، ثم عليه ان ينفق على البيت الزوجي ، ولم يُكّلف الإسلام المرأة من وجهة إلزامية أن تنفق حتى على نفسها من مالها الخاص ، وعلى الرجل أن ينفق أيضاً على الأولاد ، وإذا طلبت المرأة أجرة على خدمة الأولاد فعليه أن يعطيها ، فماذا يبقى من ميراث الرجل ؟ . وتأخذ المرأة ميراثها ويضاف إليها المهر بعد الزواج . ونحن نتعامل في هذه الأيام بالمهور الكبيرة جداً . « على قد المقام » كما يقولون لأنهم يعتبرون قيمة المرأة بمقدار حجم مهرها . كما يراه كثير من الناس ، والإسلام يقول العكس « شؤم المرأة غلاء مهرها » لأن الإسلام لا يريد للمهر أن يكون قيمة للمرأة ، هو حقاً وإنما يريد أن يكون رمزاً ، رمز محبة كما عبر عنه ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ والنحلة هي العطية . الهدية بلا مقابل .

وتتزوج المرأة ويضاف المهر إلى إرثها الذي لم تتصرف فيه بأي شيء . وينفق الزوج عليها وعلى الأولاد . فهل للمرأة شخصية مالية من الدرجة الثانية او ان شخصية الرجل من الدرجة الثانية في هذا المجال . إنه يمكن لنا (على اساس النكتة) أن نطالب بالمساواة على ذلك ؟! .

الشهادة :

لماذا يريد الإسلام من المرأة ان تضيف إليها شاهدة اخرى

عندما تشهد ؟ هل هو انتقاص لشخصيتها او هو احتياط للعدالة :

إن العدالة حساسة في الإسلام : هي حساسة في شخصية القاضي ومواصفاته وفي شخصية الشاهد ومواصفاته ، والإسلام يريد أن يحتاط للعدالة وقد تبتلى العدالة بالمواقف العاطفية التي قد يشفق فيها الإنسان على المتهم الذي قد لا يكون الحق في جانبه قد يشفق عليه فيشهد لصالحه في الوقت الذي لا يستحق فيه هذه الشهادة .

أليس هناك كثيرون من الناس يدافعون عن شهادة الفقراء الذين لا حق لهم في الدعوة لمجرد أنهم فقراء . وأنهم لا يتحملون خسارة الدعوة ، بينما يتحملها الغني ؟! .

إن الإسلام لا يريد للعاطفة أن تتدخل في مجالات الشهادة وحيث ان الرصيد العاطفي للمرأة اكثر من الرصيد العاطفي للرجل

أليس هناك كثيرون من الناس يدافعون عن شهادة الفقراء الذين لا حق لهم في الدعوة لمجرد أنهم فقراء . وأنهم لا يتحملون خسارة الدعوة ، بينما يتحملها الغني ؟! .

إن الإسلام لا يريد للعاطفة أن تتدخل في مجالات الشهادة وخيث ان الرصيد العاطفي للمرأة اكثر من الرصيد العاطفي للرجل بطبيعة احتياج المرأة لهذا الرصيد العاطفي من جهة الأمومة ومن جهة رعاية الاطفال الذين يحتاجون لغذاء عاطفي .

لهذا كانت امكانية تأثرها بالمواقف المأساوية من الدعاوى اكثر من الرجل ولهذا علّل الله في القرآن القضية ﴿ **ان تضل إحداهما فتذكر إحداهما الاخرى** ﴾ يعني حتى اذا خضعت احداهما للعاطفة أمكن للثانية أن تنبّه بأن القضية لا تسير في صالح العدالة . إذن ليس في

هذا أي انتقاص من شخصية المرأة .

الحجاب :

الكثيرون يأخذون على الإسلام فرضه للحجاب . والواقع اننا عندما نريد أن ندرس هذه القضايا والتشريعات يجب أن ندرسها في اطارها الطبيعي وهي أن لكل فكرة وتشريع مفاهيم عامة لعلاقات الناس ببعضهم البعض .

عندما نريد أن ننطلق مع كل أجواء الأزياء والعلاقات وما الى ذلك نريد أن نطرح سؤالاً أمام انفسنا ، ما هو المفهوم الذي نحمله في علاقة الرجل بالمرأة . هل نشعر بأنه لا ضرورة لأية ضوابط لهذه العلاقة ؟. وأن الرجل يملك حريته الفردية المطلقة التي لا تقيدها شريعة أو اخلاقية او قانون ؟. والمرأة تملك حريتها المطلقة التي لا تقيدها شريعة ولا قانون ؟. كما يفهم كثيرون من المفكرين في الغرب والشرق ذلـك . عند ذلك تعتبر الحريات شيئاً طبيعياً بما في ذلك الحـريات الجنسيـة ، لأن المفهوم ينـطلق من فكـرة أن لا مفـاهيم اخلاقية .

أما إذا قلنا أنه لا بد أن تكون هناك ضوابط آمنا بشيء اسمه الضوابط الاخلاقية بين الرجل والمرأة . عندما نريد أن نتحرك في اطار تحقيق هذه الضوابط فلا بد من تحقيق جولها في طبيعة الأوضاع التي يمـارسها الـرجل وتمـارسها المـرأة ، والاسلام عنـدمـا شـرع بعض التشريعات التي تتعلق بالزي الذي ترتديه المرأة او بطبيعة الرجل انما أراد أن يحقق بعضاً من الضوابط التي عندما تدعو الانسان الى التقوى فإنها تدعوه في اجواء طبيعية وإلا في الأجواء العامة التي نعيش فيها

أجواء الاختلاط بالشكل المعروف ـ الاختلاط ليس خطيئة في ذاته بل في اجوائه ـ هل يمكن أن نقول للشاب والفتاة في جوٍ بعيدٍ عن التقوى بنسبة ٩٩٪ إنما نكون كقول الشاعر :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال لـه   إيـاك إيـاك أن تبتـل بـالمـاء

في هذا الاطار علينا عندما نناقش هذه القضايا أن لا نناقشها كمفردات تشريعية معزولة عن المفاهيم العامة . بل علينا أن نناقش المفاهيم العامة التي تمد هذه التشريعات بالقوة والحياة لنستطيع من خلال ذلك أن نفهم دورهـا السلبي أو دورها الايجـابي في حياتنـا الخاصة والعامة .

لكن ما أريد أن نقوله إن علينا ان ننعزل عن الواقع الانفعالي الحماسي الذي يحاول أن يسجل فيه كل فريق نقطة على الفـريق الآخر، بمجرد تسجيل النقطة. وعلينا ان نعرف أن قضية الإسلام وقضية الأديان وقضية المبـادىء إنها قضيـة مصيرنـا على المستوى الفـردي والاجتماعي وعلى مستوى الدنيا والآخرة . ونحن نعرف جميعـاً أن قضية المصير لا تتحمل كثيراً من اللعب واللامبالاة ، ولا تتحمل كثيراً من السلبية الفكرية بل أن تكون أنت مصيرك ، أن تكون إيجابياً في مواجهة المصيـر ، وعندمـا تكون ايجـابياً في مـواجهة المصيـر فإن الإيجابية تفرض عليك أن تفكر جيداً ، وان تنطلق في مجالات الحوار بعقلية موضوعية هادئة تعرف أن قضية الحوار ليست قضيـة صراع بين اثنين بل صراع بين فكرتين ، وأنها لا تحمل انتصار شخصٍ على آخر وإنما تحمل انتصار الحقيقة على الزيف والحق على الباطل .

والحمد لله رب العالمين

الاسلام وقضايا العصر

- الطرح الاسلامي في هذا القرن .
- الانسان المسلم بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي .
- الاعلام والقضايا الاسلامية المعاصرة .
- الانسان بين التربية الطائفية والتربية الرسالية .

الطرح الإسلامي في هذا القرن(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين ، وصحبه المنتجبين وعلى جميع انبياء الله المرسلين .

السلام عليكم أيها الاخوة المؤ منون ورحمة الله وبركاته :

الطرح الإسلامي في هذا القرن :

ما هو الطرح الإسلامي في مطلع هذا القرن ؟ هذا السؤ ال الذي نطرحه أو تطرحه المحاضرة على الواقع الاسلامي الذي يتحرك من أجل تطلعات جديدة وفهم جديد ، فقد إعتاد الناس أن يعتبروا نهاية كل مرحلة تاريخية نقلة لواقع جديد ونقلة لمستقبل جديد ولهذا دأب الناس على أن يقفوا أمام بدايات التاريخ ليتحدثوا كيف يمكن أن

---

(١) من محاضرة سبق أن ألقاها سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله في قاعة بلدية صيدا بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٨١ تحت عنوان « ملامح حول الطرح الإسلامي في هذا القرن » .

يبدأوا هذا التاريخ الجديد ، ولكننا بكل بساطة عندما تكون القضية ماذا يطرح الإسلام أو ما هو الطرح الإسلامي في مطلع هذا القرن ، اننا لا نجد هناك شيئاً جديداً نقدمه .

إن الإسلام في القرن الخامس عشر الهجري يطرح نفسه تماماً كما طرح نفسه في القرن الأول للهجرة ، أن تتحدث عن طرح اسلامي جديد معناه أن الإسلام انطلق من خلال رحلة زمنية محددة كما يقول الكثيرون من متفلسفي التاريخ ومتفلسفي الاجتماع في واقعنا المعاصر عندما يتحدثون عن الإسلام انه نتاج بيئة محددة وانه نتاج إنسان عاش آلام بيئته وعاش مشاكل أمته أو أنه نتاج وضع اقتصادي معين أفرز مثل هذه الأفكار وافرز مثل هذا الانسان العظيم ، كانت مرحلة وانتهت تلك المرحلة فيما يقولون وبقي لنا من تلك المرحلة بعض الأفكار التي قد يعتبرها البعض سلبية وقد يعتبرها البعض إيجابية ومن يعتبرها إيجابية يقول إن علينا أن نأخذ من الإسلام روحه ونأخذ من الإسلام بعض تشريعاته ونترك للزمن أن يملأ الفراغ الذي لم يستطع الإسلام أن يملأه ، هكذا لا يزال الكثيرون يريدون أن يقنعونا بهذا الطرح ويقنعونا أن نترك الإسلام ولا نقف معه الان كما يقف الإنسان أمام الذكريات الطيبة للتاريخ الطيب .

الحجة والبرهان في مواجهة السباب :

ولكننا نقولها من موقع الانتماء الذي ينطلق عن قناعة مرتبطة بالأسس الفكرية التي وقفت لتتحدى الفكر المضاد وهي على استعداد ان تقف الآن لتتحدى الفكر المضاد فتطرح المشكلة وتطرح الحلول وتواجه كل حلول يريد الآخرون أن يطرحوها ، وتواجه كل نقدٍ يريد الآخرون أن يطرحوه . لقد قال الإسلام في قوله تعالى في القرن الأول

من الهجرة أو ما قبله قال : ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ وما زال القرآن يقول لكل هؤلاء بكل محبة العلم الذي يريد أن يقابل بعلم ، ومحبة الحجة التي تريد أن تقابل بحجة لا العلم الذي يقابل بالشتائم ولا الحجة التي تقابل بالأساليب القاسية تماماً كما كانت القضية في البداية ، الرسول الأعظم (ص) يطرح الفكرة بكل انفتاح والآخرون يطلقون السباب والشتائم بكل انغلاق هل تغيرت الصورة ؟! ربما تغيرت كلمات السباب فأصبحت كلمات عصرية وأصبحت كلمات تقدمية أو يمينية أو وسطية أو غير ذلك مما يحفل به قاموس الشتائم الذي لا نزال نحتفظ به كوثيقة سياسية اجتماعية نعيشها في الواقع !!

القرآن ينقل الفكر المضاد بأمانة :

إن الإسلام يطرح نفسه لا يطرح شيئاً غير نفسه ولا يطرح نفسه كشيء جديد وإنما تظل الدعوة تعرض نفسها على الواقع لأنها وحي الله ولأنها كلام الله ووحي الله الذي لا يتنكر للذين يشكون في أن يقدموا شكوكهم ولا يتنكر للذين يرفضون في أن يعبروا عن رفضهم ، من الذي نقل لنا كل الفكر المضاد الذي كان يعيش في مكة . من الذي نقل لنا فكر المشركين ومن الذي نقل لنا فكر أهل الكتاب، ومن الذي نقل لنا فكر الملحدين ، إن القرآن هو الذي نقل لنا الفكر المضاد بكل امانة ، ونقل لنا في الوقت نفسه الحلول والاجابات التي كان يقدمها أمام هذا الفكر المضاد حتى الكلمات التي تحدثت عن شخص رسول الله لم يهرب منها القرآن لم يحاول أن يقصيها عن الأجيال القادمة لم يحاول أن يخفي أنهم يقولون، عنه أنه مجنون ولم يخفِ أنهم قالوا عنه أنه ساحر وأنه كذاب «وأنها أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلاً » « وانه يعلمه بشر » ، لم يخلدها لنا تاريخ آخر مضاد وفكر آخر مضاد ولكن القرآن خلدها لأنه

يعرف مقدماً أن كل جيل يأتي يستطيع أن يفهم خطأ هذه الأفكار بمستوى أعلى مما كان يفهمه الجيل السابق .

الطرح الإسلامي بعيداً عن الإطار الطائفي :

لذلك الإسلام يطرح نفسه وعندما يطرح الإسلام نفسه في الساحة ، لا يطرح الإسلام نفسه كما يطرحه الكثيرون ممن يتحدثون عن الإسلام في البازار السياسي التقليدي الذي نعيشه الآن . الإسلام يطرح نفسه لا في الاطار الطائفي الضيق الذي تحفل به الساحة في لبنان ، وفي غير لبنان . يطرح نفسه ديناً يحمل الفكر وفكراً يحمل المفاهيم العامة عن الكون والحياة ويقدم للناس من خلال مفاهيمه شريعة الله ولا يترك هناك أي فراغ تشريعي في أي جانب من جوانب الحياة وقد عاش الإسلام التجربة كأعظم ما تكون التجربة. . ربما يختلف المسلمون وغير المسلمين في طبيعة الحكم والحاكمين الذين عاشوا في اطار الخلافة من الأمويين والعباسيين والعثمانيين ربما يختلفون في طبيعة الحكم ربما يختلفون في اخطاء بعض الحاكمين وربما يختلفون في الواقع الذي كان يعيش فيه الناس هل كان واقعاً اسلامياً يمثل الاسلام في كل تطلعاته أوليس واقعاً اسلامياً يمثل الاسلام في كل تطلعاته ولكنهم لا يختلفون أنه لم يكن للمسلمين طيلة هذه القرون لم يكن لهم دستور مكتوب غير الأحكام الشرعية التي يطلقها المجتهدون ، كان المسلمون يحاربون وكانوا عندما يبحثون عن أحكام الحرب يجدون أحكام الحرب بما لديهم من فقه اسلامي ممتد وكانوا عندما يعيشون حالة السلم في علاقاتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كانوا ينطلقون فيسألوا عن الحكم الشرعي هنا وعن الحكم الشرعي هناك والحكم هنا ويجدون الحكم هناك وإن اختلف المجتهدون في طبيعة الحكم ولكنهم يجدون الحكم مستمداً من المصادر الأصيلة

للتشريع لم يكن هناك أي فراغ تشريعي يشعر المسلمون أن عليهم أن يبحثوا عنه ، كيف يملؤوه في الدساتير الموجودة لدى الشرق والغرب كان الإسلام يغطي كل ذلك وقد يختلف المسلمون في طبيعة الحلول الإسلامية من خلال اجتهاداتهم وقد يختلفون في طبيعة الأحكام الشرعية ولكنها اختلافات في ضمن الفكرة التي تقول أنه ليس هناك فراغ في التشريع وليس هناك فراغ في الواقع على اساس الفراغ في التشريع .

الإسلام يملك حلولاً لكل مشاكل الحياة :

وقد يطرح الناس فكرة مقابل هذه ، هذا الذي نقول ان الإسلام يطرح نفسه على أساس ما يملك من حلول لكل مشاكل الحياة ، حلولٍ متحركة من موقع الفكرة الثابتة . وحلول عملية من موقع الفكر الواحد ، ليس معنى أن يكون الفكر ثابتاً أن تكون الحلول التي يتحرك فيها هذا الفكر ثابتة تتجمد أمام حالة زمنية معينة . قد يطرح البعض كما يطرح الآن في الساحة ، عندما يطرح قضية عودة الإسلام الى الحياة كما يسمونها الآن قد يقولون إن كل هذه التشريعات كانت تواجه مشاكل زمنية عاشها المسلمون آنذاك ، كانت هناك مشاكل المجتمع الزراعي ، ونحن نعيش مجتمعاً صناعياً كانت مشاكل الانسان المتخلف الذي لم يستطع أن يصل الى مجالات الفكر التي وصل إليها الانسان المعاصر ، فكيف يمكن أن نجعل الحلول التي جاءت من أجل أن تواجه مشاكل المجتع الزراعي ملتزمة مع واقع المجتمع الصناعي وكيف تريدون للفكر الذي جاء يملأ فراغ الإنسان المتخلف ليملأ فراغ الانسان الذي وصل بالعلم الى أبعد غاية وكيف تواجهون تطور الحياة ، وإن الحياة تطورت كثيراً ، تطورت في أساليبها وتطورت في نظمها وتطورت في الأهداف التي تريد أن تبلغها أصبح هناك تطوراً

للحياة يفرض نفسه على الواقع فكيف يمكن لكم أن تقفوا أمام هذا التطور . . كلمات تطلق في الساحة ، ولكن لا بد لنا أن نقف أمام هـذا الطرح ببسـاطة . إنهم يتحـدثون عن التـطور ، وهذه الحجـة الكبيرة . إنكم تريدون أن تطلقـوا بعض الأفكار التي تتعلق بـالمرأة والتطور انطلق بعيداً في هذا الاتجاه وأصبح هذا الفكر الـذي يراد طرحه لمواجهة قضايا المرأة يقف ضد التطور ، وكل شيء يقف ضد التطور فهو ضد الحياة .

الإسلام والتطور :

الواقع إنكم تريدون مثلاً أن تلغوا الربا من الساحة ، الإسلام يحرم الربا فالمجتمع أصبح اقتصاده مرتكزاً على الربا ، معنى أنكم تريدون الاسلام أن تهدموا قواعد الاقتصاد الاجتماعي وهكذا تتحرك هذه الكلمات وهو يخيل إليها أنها هزمت الفكر الاسلامي ، ما نريد أن نواجهه أيها الأخوة بكل بساطة أن خطوات التـطور في الحياة تتحرك بموقعين :

ـ هناك تطور في العلم في اكتشاف أسرار الكون وفي اكتشاف اسرار الحياة وفي مواجهة الظواهر الطبيعية والظواهر الكونية والتعامل معها من خلال فهم القوانين التي تحكم هذه الظواهر هناك تطور يصعد إلى القمر وتطور جعل الانسان ينزل الى أعماق البحار وتطورٌ جعل الإنسان يكتشف الكثير من أسرار ما حوله من ظواهر اجتماعية وتاريخية ونفسية وما إلى ذلك .

ـ وهناك موقع آخر للتطور : التطور في حركة الإنسان في الحياة التطور في مواجهة الإنسان للحياة وفي حركته على مستوى الاقتصاد وفي حركته على مستوى الواقع الاجتماعي ، وفي حركته على مستوى الواقع السياسي .

أما التطور في المواقع العلمية فهذا تطور يرحب الاسلام به ولا يكتفي الاسلام أن يرحب به بل نقول ان الاسلام يشارك في ولادة هذا التطور لأن الاسلام وجه الانسان أن لا يقف وقفة بلهاء ساذجة أمام الظواهر الطبيعية وأمام الظواهر الكونية وإن أراد الإسلام من الانسان أن يقف ليفهم ويتساءل ويشك ويتحير ويندفع في مواقع الحيرة ويفنّد حتى يستطيع أن يفهم ما يحفل به هذا الكون من أسرار وأغرى الاسلام الانسان بذلك عندما أوحى له أن الله سخر له كل ذلك ، ومعنى أن يسخر الله له شيئاً ، معناه أنه يجعله تحت ارادته وتحت قيادته وتحت رعايته انه يغريك أن لا تقف أمام الشمس وقفة الانسان الذي يعيش الدهشة والرعب منها وانما يريد لك أن تقف أمامها موقف الانسان الذي يقف أمام قوة مسخرة له ويريد الاسلام ان تتعامل مع هذه القوة على هذا الاساس . انه يغريك أن تقف بقوة أمام هذا الواقع وأمام هذه الظواهر الكونية ،وعندما حدثنا الاسلام عن التاريخ في القرآن الكريم لم يرد لنا ان نلهوا في التاريخ ، لكنه حدثنا عن سنن الله في التاريخ وعن سنن الله في الكون وارادنا ان نكتشف هذه السنن وارادنا ان نكتشف هذه القوانين التي تحكم التاريخ وتحكم المجتمع والتقدم الذي انطلق فيه المسلمون ، التقدم العلمي في اقل من مئة عام ، هذا التقدم لم يتم كما يقول البعض بفعل الثقافات التي جاءت من خارج بلاد المسلمين بل جاءت من خلال التوجه الإسلامي الذي كان يرعى الثقافة ويرعى كل جديد في العلم ، يرعاه تحت سمع الاسلام وتحت بصره ويشجعه في كل مجال يمكن أن يشجعه فيه ، ولعلنا نعرف ان الاسلوب التجريدي او الطريقة التجريدية في محاولة اخذ الفكرة من خلال التجربة هذا الذي انطلقت منه الحضارة الأوروبية. نحن نعلم انه كان مما نقله الإسلام الى اوروبا من خلال المفكرين المسلمين الذين كانوا يعيشون في الاندلس .

الإسلام يشجع التطور العلمي :

الاسلام لا يقف امام التطور العلمي بل يشجعه ويدفع الانسان إليه بكل قوة ويدفع الانسان إليه بكل قداسة . لأن الاسلام اعتبر طلب العلم عبادة ولا يريد العلم فقط علم الشريعة وإلا ما معنى ان نفسر قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ . هل العلماء في الشريعة فقط ، ام العلماء بالله من خلال أنهم عالمون باسرار خلق الله وكلما علم الانسان باسرار خلق الله اكثر كلما عرف الله أكثر .

هناك تطور وهذا التطور لا بد ان يتحرك الإسلام فيه ، هناك تطور آخر في حركة الانسان في المجتمع ، في العلاقات الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية التي تحكم المجتمع والعلاقات السياسية التي تحكم المجتمع ، هل هذا التطور مما تفرضه الحياة : حتى كان الانسان الذي يقف امامه يقف ضد الحياة ، او ان هذا التطور فرضته نظريات اناس عاشوا في الحياة واستطاعوا ان يأخذوا بأسباب القوة ففرضوا نظرياتهم على الواقع وتحرك الواقع على اساس النظرية التي تدعمها القوة ، لا على اساس النظرية التي تدعمها الحياة .

عندما نعيش في المجتمع الرأسمالي لا يمكن أن نتجمد أمام هذا المجتمع لنقول ان المجتمع الرأسمالي هو امر فرضته الحياة المتطورة ، كلا انما فرضه المفكرون الرأسماليون الذين استطاعوا من خلال وسائل القوة التي حصلوا عليها أن يخضعوا الواقع لها ، وهكذا مع المجتمع الماركسي ، الماركسية ليست شيئاً فرضه تطور الحياة ولكنه شيء فرضته ظروف موضوعية معينة افسحت المجال لهذا الاتجاه ان يفرض نفسه في هذه الساحة او في تلك الساحة .

لنطور الحياة على أساس الإسلام :

عندما نواجه الرأسمالية الفكرية او عندما نواجه الماركسية الفكرية ، لا نواجه الحياة في تطورها ولكننا نواجه نظرية معينة تتحرك في الحياة ويمكن لنا أن نكتشف كثيراً من سلبياتها في الواقع ، وقد نكتشف بعض الايجابيات على اساس الواقع . لا بد أن نفرّق بين التطور الذي تفرضه الحياة من خلال تطور طاقات ومن خلال تطور قدرات ومن خلال تطور الحياة في حركتها نحو التكامل وهناك نفرق بين التطور الذي تفرضه ظروف معينة ونظريات معينة . إنما نستطيع من خلال ذلك أن نقول اننا نطور الحياة على اساس الاسلام كما طورها الآخرون على اساس غير الإسلام ولن نكون بذلك غير واقعيين امام تقدم الحياة بل العكس ، نحن نقف مع تقدم الحياة ونموها وتطورها عندما نجعل الحياة تتحرك من موقع الانسان في جميع تطلعاته الروحية والمادية كما يقولها الإسلام في واقعه وفي حياته . وعندما نطلق الإسلام ونتحرك في الاسلام على هذا الاساس يمكن لنا ان نجد في الاصول الاجتهادية للاسلام ، ان نجد الكثير مما يمكن أن يواجه مشاكل الإنسان ويمكن لنا عندما لا يكون هناك مجتمع ربوي أن ننشىء اقتصاداً يتعامل مع مصلحة الانسان دون ان يكون هناك مجتمع ربوي او يكون هناك قانون الربا ، لأن هناك الكثيرون الذين يتحدثون عن موضوع ان تحريم الربا يخدم قواعد الاقتصاد في المجتمع ، يتحدثون كما لو كنا نريد ان نحرك التشريع وحده في ظل مجتمع رأسمالي ، والواقع ليس كذلك . ان التشريع وحدة متكاملة لا يمكن لأي تشريع أن يحل مشكلة الانسان إلا إذا ضممت إليه كل التشريعات الأخرى التي تمثل كيانا متكاملاً يضع الخل في هذا الجانب من خلال دراسته لهذا الجانب وفي ذاك الجانب من خلال دراسته للجانب الآخر حتى يمكن

أن يتكامل الحل من خلال مواقع المشكلة المتعددة والمتنوعة . عندما نتحدث عن تحريم الربا في ظل تشريع اقتصادي يتغير فيه الـنظام ، لا على اساس ان يكون تشريعاً محكماً في ظل نظام يحكمه الرأسمال . قد يقول البعض انكم تتحدثون عن الاسلام في مواقع متعددة وفي اديان متعددة والاستعمار يلعب لعبة الطائفية من خلال قضية الدين . فهـم يقولون اياكم ان تطرحوا الاسلام ، اياكم ان تطرحوا الدين في الساحة لان امريكا في خطتها الجديدة تريد أن تنفذ اطماعها وشهواتها على اساس الطائفية الدينية . اذا قلتم انتم اسلام فسيـقول الآخرون شيئاً آخر ، وعندما يقولون شيئاً آخر فسوف تحدث المشكلة التي لا نزال نعيش دوامتها ولذلك الحل هو العلمانية لأن العلمانية يمكن لها أن تصنع المجتمع كله على صعيد واحد وتقول لكل دين لا دخل لك في الحكم ولا دخل لك في الحياة ، ولا دخل لك في التشريع نحن نعطيك حرية ان تمارس العبادة في المسجد أو حرية أن تمارس العبادة في الكنيسة ، ولكنهم يقولون هذا من خلال اساليب الطرح الاسلامي الذي يتحرك في الساحة ، عندما يطرح الاسلام من قبل الأشخاص الذين يريدون ان يجعلوا من الاسلام اطاراً للصورة التي يريدونها . . . عند ذلك يتحول الاسلام الى مشكلة لأنك عندما ترسم اطاراً من دون ان تجعل ملامح الصورة الحقيقية في الاطار فإن الآخرين سيضعون اطاراً آخر . . . ومعنى ذلك ان الحقد هو الذي يتكلم وان التاريخ الزائف هو الذي يتكلم وان الآلاعيب السياسية هي التي تتكلم ولكننا لا نطرح كل شيء من هذا . اننا نقول ان الاسلام فكـر وشريعـة ومفاهيم عامة في الحياة نطرحه على اساس انه فكر نريد للآخرين ان يفهموه ، ان يناقشوه ان يعرضوه على الواقع . . وأنه شريعة يراد من الآخرين ان يلتزموا بها على اساس قناعاتهم بالفكرة التي تتحرك فيها هذه الشريعة .

ولا بد لنا في النهاية من ان نخلق مقدماً الجو الذي يسمح للانسان بأن يفكر ويسمح للانسان بأن يناقش وان نتخلص من فكرة وضع لبنان الخاص ووضع الشرق الخاص الذي يعتبر ان هناك اشياء محرمة لا يمكن ان تناقش وان هناك اشياء ممنوعة لا يمكن أن تطرح في الساحة ، اننا نقول عندما نعمل على ان تكون الساحة ساحة ينطلق فيها الانسان ليفكر حتى في الدين عند ذلك لا يمثل الدين مشكلة في الشارع السياسي ولكن يبحثها العلماء عندما يبحثون كل تلك المشاكل التي لا تثير فيهم الا التفكير ولا تثير فيهم الا التعامل والتدبر والبحث عن الحلول .

لسنا خياليين في طرحنا للإسلام :

وقد يعتبرنا البعض خياليين ومثاليين عندما نطرح هذا الطرح قد تكون الفكرة خيالية على صعيد الواقع ولكن الخيال الذي يبحث عنه صاحبه يمكن ان يتحول الى حقيقة اذا تابع اصحابه البحث عنه . ان كل فكرة علمية كانت خيالا في تصور العلماء ونظرهم ، ولكن العلماء لم يقفوا ليتخذوا هذه الفكرة في الخيال ويتجمدوا عندها ولكنهم قالوا ان الخيال يمكن أن يمثل الحقيقة في بعض الحالات . وافترضوا ان الخيال يحمل معه الحقيقة وساروا مع الخيال وتحول الخيال الى حقيقة والى واقع . ان الشعوب ربما تحفل بالكثير من العقائد وبالكثير من السلبيات وبالكثير من الواقع الذي لا يمكن للانسان من ان يفكر، ولكن العاملين اذا احسنوا الاسلوب الجيد في طبع افكارهم في تهيئة الأجواء لأفكارهم ممكن لهم ان يبلغوا ذلك ولو بعد حين ، لا بد لنا ان نتعامل مع القضايا الدينية ونقدم الاسلام في هذا الاتجاه وفي ذاك على ان نقول للآخرين كما قال لهم الإسلام : ﴿ **قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا**

بعضاً ارباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾ .

طرح مواضع اللقاء وطرح الفكرة التي نختلف فيها معهم على اساس الوقوف من منطلق اللقاء في مواقع الاختلاف . وهكذا طرح القضية مع الآخرين ممن لا يدينوا بالكتاب .

إن هذا الواقع لن نتخلص منه بالعلمانية ولكننا نتخلص منه بالعلمية بأن نجعل الذهنية الانسانية ذهنية علمية تواجه كل شيء يطرح أمامها من موقع العلم ومن موقع الفكر ومن موقع التأمل ومن موقع الحوار ، ولذلك لن نعطل الإسلام في حياة المسلمين على اساس اننا نريد أن نحل مشكلة غير المسلمين . ما الذي يطرحه الذين يقولون لا تطرحوا الاسلام ، انهم يقولون ان هناك اقليات ولكن فكروا في العالم كله ، اي نظام في العالم لم يكن فيه اقليات ، اقليات على مستوى الفرد واقليات على مستوى الفكر ، ما هي الديمقراطية ، الديمقراطية هي ان الاكثرية تحكم وعلى الاقلية ان ترضخ لحكم الاكثرية حتى لو كانت الاقلية تختلف عن الأكثرية في ٧٠٪ في روحها . ان على الاقلية ان تخضع ديموقراطياً للأكثرية .

أين هو النظام في العالم ، كل العالم النظام الذي يمكن أن يحل مشكلة كل الناس ، فكرة المساواة بالمعنى الذي يطرح في الشعارات هي فكرة لا واقعية . لا بد ان نطرح بدلا من المساواة فكرة العدالة عندما تكون هناك اكثرية تحكم إما على اساس الفكرة العامة التي تؤمن بها او على اساس ما يقولون ولكن علينا ألّا تطغى الأكثرية على الاقلية فتمنع الأقلية من الحقوق الطبيعية لها والتي تقوم على الكرامة وعلى العزة وعلى غيرها . . .

الإسلام تعايش مع الآخرين :

ومما يدلنا على ان الاسلام واجه الاقليات غير الاسلامية ، واجهها مواجهة عادلة حتى سمح لها أن تمارس كثيراً من مراسم العبادة . . .

ان غير المسلمين لا يزالون يعيشون في بلاد المسلمين بينما في الاسكيمو ليس هناك مسلم واحد ، ولكن البلاد الاسلامية عاش اليهود فيها اكثر مما استطاعوا ان يعيشوا في اوروبا وفي غير اوروبا وعاش المسيحيون فيها اكثر مما كانوا يعيشونه في نظام آخر لا يعترف بالمسيحية . لماذا كل هذا ؟ لأن الإسلام كان يريد ان يعطي الأقليات عدالة اذا لم يستطع ان يعطيها مساواة لأن المساواة هي خلاف الطبيعة والواقع وخلاف طبيعة الحياة . واذا كانت هناك حروب قد حدثت بين المسلمين والمسيحيين في داخل البلاد الاسلامية فاضطهد فيها المسيحيون واضطهد فيها المسلمون بعضهم البعض . قد يكون عن حق وقد لا يكون عن حق . ولكنها لا تدل على فشل التجربة . انها تدل على ان التجربة حفلت بالسلبيات مرات متعددة وأي تجربة لا يمكن أن تحفل بمثل هذه السلبيات في أي بلد من بلدان العالم . ان الاسلام طرح الحوار مع كل الأفكار المضادة وهو يريد من كل الأفكار ان تستجيب للحوار فاما أن تقنع المسلمين بما هي عليه فيسير المسلمون معها واما ان لا تقنعهم بل تقتنع بهم فتسير معهم . اما ان يعلب الانسان نفسه انا مسلم دخلت في العلبة ولا يمكن ان يخرجني منها احد . انا مسيحي دخلت في العلبة ولا يمكن ان اخرج منها . انا ملحد دخلت في العلبة ولا يمكن ان اخرج منها . ان الاسلام لا يريد من الانسان ان يكون معلباً على اساس صيغة فرضها الآخرون ، وهو يرفض الفرض الذي يقول : ﴿ **انا وجدنا آباءنا**

على امة ، وانا على آثارهم مهتدون ﴾ انه يطلب من المسلم نفسه ان يفكر في الاسلام ليعتنقه على اساس القناعة ولا يعتنقه على اساس التقليد لأن الانسان الذي يكون مسلماً تقليدياً لن يثبت امام التحديات التي تواجهه على صعيد الفكرة وعلى صعيد الواقع .

العلم بعيداً عن العلمانية :

لا بد لنا ان ننطلق في الجو العلمي من دون حاجة الى ان نطرح العلمانية ، لأن العلمانية اذا كانت تحل مشكلة الذين لا يؤ منون بالدين . فهي تخلق مشكلة كبيرة جداً لمن يؤ منون بالدين . كيف يمكن ان تحل مشكلة هذا الانسان الذي يؤ من بالدين . كيف يمكن ان تحل مشكلته على اساس العلمانية وهو يعتبر ان احكام الله الشرعية ملزمة له في زواجه وفي طلاقه وفي معاملاته . كيف تفرض عليه احكاماً من اوروبا او من امريكا او من روسيا اومن اي انسان آخر او موقع آخر . . .!؟ هل حللت مشكلة انسان ؟! انك هربت من مشكلة الاقلية ووقعت في انك صنعت من جديد مشكلة الأكثرية على حساب الأقلية . علينا ان نفكر اذا اردنا أن نحترم فكرنا وانفسنا وان لا نظل مشدودين الى الشعارات التي يمارس الآخرون من خلالها حرب اعصاب ويمارسونها سياسياً وثقافياً وفكرياً يريدون من ذلك ان يطرحوا فكرهم دون ان يناقشهم فيه الآخرون . قد يقول البعض انكم تطرحون الاسلام ولكن اي اسلام تطرحون ، ان الإسلام يمثل عندنا اجتهادات تشريعية . ويمثل عندنا اجتهادات كلامية ويمثل عندنا اجتهادات في فهم التاريخ واحداث التاريخ . اي اسلام تطرحون . هل هو الاسلام الذي يتعامل على اساس الحكم الواضح او الاسلام الذي يقوم على غير ذلك . . .

أي إسلام :

وبدأت كثير من الكتابات في هذه الايام تصب في هذه القناة لتحاول ان تقول ان هناك اسلاميين . اسلام يتعاطف مع الحكم كيفما كان واسلام يرفض الحكم اذا لم يكن مستقيماً. اننا نقول ان هناك اجتهادات اسلامية وهذه الاجتهادات الاسلامية عاشها المسلمون في حياتهم على اساس الواقع والتجربة ولم يجدوا هناك مشكلة كبيرة في هذه الحياة ربما يكون هناك بعض المشاكل التي يختلف فيها الاجتهاد من القضايا التي تمارس على اساس فردي وربما تكون هناك قضايا مما يختلف فيها الاجتهاد اذا كانت تمارس على اساس عام ، يمكن أن يلتقي فيها علماء المسلمين ليبحثوها على اساس القضايا الاجتهادية المشتركة فيما بينهم لتتعامل الساحة الاسلامية على اساس الفكر الاسلامي الحقيقي من خلال الحوار بين المسلمين الذي اذا توفر فيه الاخلاص واذا ابتعدت عنه السياسة التي تشحن الواقع فيمكن ان يصل المسلمون الى اكثر الجوانب في كل قضاياهم الفكرية والكلامية والتشريعية والتاريخية .

ان مشكلة الواقع الاسلامي أن هناك افكاراً عند هذه الجهة لا يمكن ان ترجع عنها وان هناك افكاراً عند هذه الجهة لا يمكن ان ترجع عنها . ان هذا الواقع انطلق من ان كل جهة وقفت في مواقعها ولم ترد ان تتقدم على اساس اللقاء بالجهة الاخرى من اجل ان تظل لها امتيازاتها وتظل لها اوضاعها . اما اذا انطلقنا في عمل اسلامي موحد او عمل اسلامي منسق، وعندنا ان الاسلام يفرض علينا ان نواجه الحقيقة الاسلامية من المواقع التي نتفق عليها حتى في القضايا التي نختلف فيها يمكن أن نتفق على مصادر الاجتهاد كما يمكن أن نتفق على نتائجه . ونحن نعرف ان بعض اللقاءات التي

انطلقت فيها مجمع الوفود الاسلامية وغيره من المؤ تمرات استطاعت ان تفرز لقاء في اكثر من حكم شرعي يختلف فيه المسلمون . ان القضية اننا لا نتعامل مع الطرح الاسلامي على اساس الامر الواقع ولكننا نتعامل مع الطرح الاسلامي على اساس تذليل الأمر الواقع لمصلحة الاسلام . وعند ذلك يمكن لكل فريق ان يقتنع ببعض وجهات نظر الفريق الآخر ويمكن ان تكون هذه القناعات طريقاً لعمل اسلامي متكامل ولواقع اسلامي متكامل .

قد يتهمنا البعض بالخيال ولكننا نقول اننا لا نتعامل مع الحاضر ولكننا نتعامل مع المستقبل ، والذي يتعامل مع المستقبل يحاول أن ينظر للمستقبل من خلال الجوانب المضيئة التي تظل تشده الى الامام . . .

تجربة الرسول القدوة (ص) :

لو كان رسول الله (ص) يتعامل مع الواقع الذي عاشه كما استطاع ان يتقدم خطوة للإمام . كان يفكر وحده ولم يكن معه احد . وكان العالم كله ضده وشعر بأن عليه ان يتحرك فجعل من حوله يشكون بعقائدهم ثم جعلهم يقتنعون بما دعا اليه ويأتون إليه ، ولو بعد حين ونحن نستطيع ان ننطلق من خلال هدى رسول الله في هذا الاتجاه ، نستطيع أن ننطلق من هداه لنسير على الطريق الذي سار ، يبدأ الانسان فرداً ولكنه يشعر بأن الأمة تنتظره عند مواقع المستقبل فيلتقي بالأمة وهي تتحرك على اساس الاسلام قد يكون الطريق طويلا وقد يكون الطريق متعباً وقد يحفل الطريق بكثير من حالات الجهاد والاستشهاد ولكن نتائج الطريق في الدنيا ونتائج الطريق في الآخرة ستخفف كل ذلك لأنها فوق ذلك وفوق ذلك رضوان من الله اكبر .

الاصرار على الطرح :

وعلينا ان لا نتنازل عن فكرة ان يطرح الاسلام نفسه ولكن قد يقول القائلون معنى ذلك انكم تتجمدون امام طرحكم هذا فتقولون اما الاسلام كله وإما لا حكم ؟ كما يقول الكثيرون عندما ينطلقون على اساس فكرة هل نحن مع الاصلاح ام نحن مع الثورة ؟ هل نحن مع الاصلاح ام نحن مع التغيير البعض يقول اننا لسنا اصلاحيين ، اننا ثوريون ولذلك لا نقبل بالحلول الجزئية . اما نحن كمسلمين فنقبل بالحلول الجزئية في الطريق الى الحلول الكلية كيف ؟ لاننا نعتقد ان الاسلام دين جاء من اجل ان يبني الانسان وبمقدار ما يبني الدين الانسان بمقدار ما يستطيع ان يصنع الانسان في الحياة حكمه وقوته . الدين يريد للانسان ان يعيش حكم الله في كل وقت بما يريد الاسلام للانسان ان يعيش حكم الله على أساس الدولة كذلك يريده أن يعيش حكم الله على أساس فردي . فالإسلام لا يبرر للمسلم أن يكون كاذباً حتى في مجتمع الكاذبين ولا يبرر له أن يكون خائناً حتى في مجتمع الخونة ولا يبرر له أن يكون مرابياً مهما أمكن حتى في مجتمع الربا لأن الإسلام يعتبر أن على الإنسان أن يحل مشكلته كإنسان في علاقته بالله وبالحياة بحجم ما يتفق له الحد الاسلامي حتى يتعامل الانسان مع الله ولو بصلاته وصومه ويبقى مع الله ولو في علاقاته الفردية ، يتطور هذا العيش مع الله سبحانه وتعالى الى الامة . فتتطور الامة وتتربى على حب الله لتظل تتطلع الى الحل الكبير . اننا نعتقد اسلامياً ان الحلول الصغيرة تشارك مشاركة كبيرة في الوصول الى الحل الكبير لأن الانسان كلما تقدم في طاعة الله اكثر وكلما عاش مع احكام الله اكثر كلما شعر بالحاجة الى ان يعيش الله

في احكامه الاخرى وان يعيش مع الناس في احكامهم اكثر . ان الاصلاح في الاسلام يبعث الانسان على الثورة على الواقع اللااسلامي لأنه يشعر ان قضية ان يكون المجتمع اسلامياً او يكون الحكم اسلامياً هي قضية ان يفسح المجال لطاعة الله التي هي هدف كل مسلم في الحياة . فالمسلم يتطلب حكم الله من اجل ان يحصل على رضا الله . ويتطلب المجتمع الاسلامي من اجل ان يطيع الله اكثر . ويتطلب العمل الاسلامي الفردي من اجل ان يطيع الله . لهذا نحن لا نسير مع ما يطرح من الأفكار. اننا لا يمكن ان نكون مع الاصلاح نحن مع الاصلاح ولكن على اساس ان يكون خطوة نحو التغيير . نحن نوافق ونعمل على ان يكون اذا استطعنا ان نطبق حكماً شرعياً واحداً فيجب ان نجاهد من اجل ان نطبق هذا الحكم الشرعي ولو واحد ولهذا نحن نرفض في لبنان كمسلمين نرفض ان يلغى قانون الاحوال الشخصية بالرغم مما فيه من بعض السلبيات في تطبيقه ، نرفض ذلك لأن قانون الأحوال الشخصية يتيح للمسلمين ولو من خلال بعض التجارب الناجحة يتيح لهم ان يمارسوا علاقاتهم الشخصية من موقع اسلامي ولا نوافق تحت أي شعار وتحت اي وضع لا نوافق ان يلغى هذا القانون لأن معنى إلغائه هو ان يلغى قسم من احكام الله التي نمارسها على صعيد الواقع مما يحرمنا تغيير هذا القانون ، يحرمنا من ممارساته وعلى هذا الاساس فنحن نعمل لتطبيق حكم الله على المستوى الفقهي وتطبيق حكم الله على المستوى الكلي .

ونعمل على ان تكون هناك مفاهيم اسلامية على مستوى حياة الناس ، ان نعيش المفاهيم الاسلامية والاخلاق الاسلامية على مستوى حياة الناس الفردية وعلى مستوى حياة الناس الاجتماعية او السياسية من اجل ان يعيش الناس مع المفاهيم الاسلامية ولو بنسبة محددة ولو بنسبة ضيقة .

ماذا يطرح الإسلام في هذا القرن :

ثم ماذا يطرح الإسلام في مطلع هذا القرن . انه يطرح للمسلمين ان يندفعوا من احل قضاياهم المصيرية الانسانية اكثر مما هم يندفعون به . لا يزال المسلمون لا يتعاملون مع قضية صراعهم مع الصهيونية تعاملاً بالمستوى الذي يجب أن يكون ولهذا فلن تتحرك البلاد الاسلامية لتذود عن نفسها لن تتحرك خطوة واحدة في هذا الاتجاه لن تتحرك إلا في المؤتمرات والتصريحات والاجتماعات . ولم يبق هناك إلا الكلمات الكثيرة التي تكتب وتبقى الصهيونية تخطط ويبقى الانسان المسلم يعيش المشكلة الكبيرة امام تخطيط اعدائه في مقابلة ما يترك اصدقائه او اهله او اخوانه اي تخطيط له في هذا الاتجاه . وكذلك عندما نقف مع القضايا الاسلامية الاخرى في العالم . عندما نقف مع القضية الافغانية ، اننا لا نجيد ان نتعامل مع القضية الافغانية كما تعامل معها الكثير من السياسيين العرب والمسلمين . انهم تعاملوا معها على خطين : قسم تعامل معها لمصلحة امريكا وقسم تعامل معها لمصلحة روسيا ، ولم يتعاملوا معها فيما انطلقوا من منطلقات لمصلحة شيء اسمه انسان مسلم في افغانستان أو اسمه إسلام يريد أن يتحرك في أفغانستان ما نريد أن نتعامل فيه مع القضية الافغانية بعيداً عن لعبة الأمم وبعيداً عن لعبة الدول الكبرى أن نشعر أن هناك شعباً مسلماً وان كل القوى تحاول أن تتصارع على أرضه لمصلحة سياساتها ونحن لا نريد أن ندخل في سياساتها ونحاول أن نظل مع الانسان المسلم في افغانستان ونظل مع الاسلام المتحرك في افغانستان وهكذا عندما نتحرك مع القضية الاسلامية من خلال الثورة الاسلامية في ايران . إننا نريد ان نظل معها كتجربة اسلامية رائدة تريد أن تتحرك في الساحة

من اجل ان تخطط لـلاسلام ومن أجـل أن تعيش الأمة الاسـلامية مفاهيمها على أساس من الوعي وعلى أساس من قوة . . .

الإنسان المسلم بين
الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين وعلى جميع انبياء الله المرسلين .

السلام عليكم ايها الاخوة المؤمنون والاخوات المؤمنات ورحمة الله وبركاته . الانسان المسلم بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي ، هو العنوان الذي يقف امام حديثنا معكم في هذه الندوة .

لماذا هذا الحديث ، الذي يحاول ان يتحرك من أجل انه يحرك موقع الانسان بقناعاته وتفكيره ، لأن المشكلة التي قد يعيشها الكثيرون منا هي اننا لا نستغرق في قناعاتنا لنتحرك معها بطريقة تفصيلية تعرفنا مواطىء اقدامنا على الأرض باتجاه هذه القناعات وبذلك يكون تحركنا في الواقع تحركاً يستسلم للواقع دون ان يحاول ان يحدد هويته وهوية الواقع من حوله ، وبذلك وقعنا في نوع من ازدواجية في الشخصية غير منظم . هناك ازدواجية للشخصية يعيشها الانسان فيشعر ان هناك شخصيتين في داخله تتنازعانه ولكنه

(١) ألقيت في الجامعة اللبنانية ـ كلية الحقوق ـ الفرع الأول بتاريخ ١٣ أيار ١٩٨٦ م .

يعرف تماماً طبيعة هذه الشخصية وطبيعة تلك الشخصية .

ولكن هناك نوعاً من ازدواجية الشخصية تغيب فيها كل من الشخصيتين في ضباب نفسي أو انفعالي يفقد معها الانسان وضوح الرؤية للاشياء ، وذلك هو اخطر ما نواجهه في حياتنا الثقافية وحياتنا السياسية . لهذا نحن في هذا الحديث نحاول ان نثير بعض الأفكار حول الشريعة الإسلامية في واقع تفكير الانسان المسلم مقارنة بدوره امام القانون الوضعي ومن خلال ذلك نحاول ان ننطلق في صعيد الاتجاه الفكري والسياسي الذي يتحرك فيه الانسان المسلم عندما يريد ان يتبنى اي اتجاه او عندما يريد أن يثير اي مشروع في حياته ، لاننا نعتقد ان الجانب السياسي مرتبط ارتباطاً سياسياً في الجانب الفكري الذي يمثل قناعات الانسان . ولذلك فنحن لسنا هنا في بحث من أجل ان نتلمس مفهوم الانسان المسلم لدى القانون الوضعي او لدى الشريعة الاسلامية في مجال تحديد هوية الانسان المسلم في هذين الاتجاهين ولكننا في مجال تلمس دور الانسان المسلم في واقع الحياة عندما يقف امام الشريعة التي تخاطبه من موقع عقيدته وأمام القانون الوضعي الذي يخاطبه من خلال واقعه . فكيف يواجه القضية وكيف يتحرك في حركته السياسية لمواجهة هذا الواقع .

هذا ما نحاول ان نثيره امامنا في هذا الحديث :

مفردات المصطلح في العنوان :

في البداية احب ان اتكلم عن مفردات المصطلح في العنوان : هناك كلمة الإنسان المسلم وهناك كلمة الشريعة الإسلامية وهناك كلمة القانون الوضعي كلمة الإنسان المسلم نريدها تعبيراً عن الإنسان الذي تمثل الصفة شيئاً عميقاً في فكره وفي شعوره وفي شخصيته في الحياة

وفي انتمائه . لا نريد من الإنسان المسلم ، هذا الإنسان الذي يحمل هوية طائفية تجعل الإسلام بالنسبة إليه صفة فيما هو النسب في التاريخ لا فيما هو الفكر والاتجاه في الحاضر وبذلك لسنا في حديث عن الإنسان المسلم الذي تعارفنا عليه في قاموسنا السياسي عندما نثير الأمور الطائفية فندخل في حساب العدد وفي حساب المواقع ، وما الى ذلك . نحن نريد من الإنسان المسلم ، الإنسان المتحرك فيما هو الإسلام فكراً في مواجهة فكر آخر وفيما هو الاسلام حركة في مواجهة حركة أخرى ، أو فيما هو الإسلام منهج تشريعي للحياة فيما هي المناهج التشريعية الاخرى .

الانسان المسلم هو الانسان الذي يؤمن بالموقع الانتماء وينتهي بالموقع الايمان لا الإنسان الذي يشعر ان الإسلام نسب ولذلك يبحث عن هوية أخرى تملأ هذا الفراغ الذي يحسه .

وكلمة الشريعة الإسلامية تعني في اصالتها الشريعة التي انزلها الله على رسوله محمد (ص) والتي انطلق المجتهدون منذ بداية الدعوة حتى الآن في سبيل فهمها وفي سبيل تحريك الاجتهاد من أجل أن تواجه من خلال قواعدها العامة كل المتغيرات وكل الحاجات المجددة للتغيير وتنطلق المسيرة على اساس القواعد التي تحمل في داخلها حركة مواجهة حاجات الانسان في الحياة وبذلك فإننا نقصد بالشريعة هي كل التراث القانوني في حركة التشريع الاسلامي الذي يتمثل في الفقه الاسلامي الذي تتنوع مذاهبه وتختلف اجتهاداته .

تعريف القانون الوضعي :

وعندما نتحدث عن القانون الوضعي فإننا نعرف ان القانون الوضعي هو القانون المدني او أي قانون تنطلق الهيئات او الاشخاص

من أجل ان تشرعه على أسس فكرية او على أسس حياتية عامة ، اذا صح التعبير ، وإننا نثير هذا التحفظ لأن كثيراً من الدول عندما يتحرك نوابها في حركة التشريع لا يتحركون من موقع فكرة ولكنهم يتحركون من موقع حالة طارئة تنفذ القانون وبذلك نجد كثيراً من القوانين لا تمثل وحدة فيما هي القاعدة في القانون ولكنها تمثل مزيجاً من اشياء متنوعة تختلف حسب اختلاف الظروف والاوقات .

ما نريده من القانون الوضعي هو كل قانون صنعه الانسان دون ان يكون له أي جذر في التشريع الذي أوحاه الله بشكل مباشر أو أوحى الله قاعدته .

أمام هذه المقدمة نريد أن نواجه المسألة ـ كما قلنا ـ من نقطة محددة . . فواقع الإنسان المسلم هو الإنسان المنتمي والانتماء يعني ان يلتزم بالإسلام عقيدة من خلال قناعاته وان يلتزم بالشريعة الإسلامية كقانون يحكم حياته الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وما إلى ذلك ، على أساس ان الفكر الإسلامي العام يقول ان الله سبحانه وتعالى لم يطلق الإسلام كدين ، كما هو المفهوم الغربي ، كعلاقة بين الانسان وبين خالقه في حركة الايمان والعبادة أو كحالة أخلاقية يعيش الإنسان فيها مع المثل العليا بعيداً عن حركة الواقع من حوله .

المفهوم الإسلامي العام الذي يمثله المسلم المنتمي هو أن عليه ان يواجه أية حالة من الحالات الفردية او الحالات الخاصة أو العامة ليسأل ما هو رأي الإسلام في ذلك ، وما هو الذي درج عليه المسلمون حتى في العصور المختلفة الذي لم يكن المسلمون يعيشون فيه هذه الصحوة الإسلامية التي تفتح روح المسلم وقلبه وفكره على الحياة من موقع حركة المسؤولية فيما مضى .

الفكر الاسلامي العام يحمله كثير من المسلمين :

عندما ندرس التاريخ نشعر ان المسلمين عندما يعيشون في أي مجتمع تحكمه أية دولة أنهم يبادرون الى سؤال المختصين في الدين عن حكمهم الإسلامي لا في القضايا العبادية بل حتى في قضايا البيع والشركة والإعارة وما إلى ذلك كما هو الحال في الأحوال الشخصية وحتى عندما نرى فيما عايشناه من شعبنا الذي لم يكن يحمل الكثير من الثقافة الواعية المنفتحة نجد أنه في أجواء الانتخابات بأنه مثلاً كان المتدينون من الشعب يواجهون في سؤال المختصين بالشريعة الإسلامية الذين يملكون اصدار الحكم من موقع العلم أو نقل الحكم من موقع العلم أيضاً ، يسألونهم عن شرعية أن ينتخبوا أو لا ينتخبوا ، يسألونهم عن حكمهم الشرعي فيما يتعلق بموضوع العبادات أو ببعض القضايا الشخصية كالزواج والطلاق وما إلى ذلك مما يوحي بأنه هناك وعياً لا شعورياً في كثير من انطلاقاته بأن الانسان يختزن الجواب عن كل حالة تتحرك في حياة الانسان ، كما أن هناك شعوراً لدى المسلم بأن هناك مسؤولية تخاطبه في أن يعرف حكمه الشرعي في هذه المسألة أو تلك وأن يسير على هذا الحكم في هذه المسألة وتلك ، على هذا الأساس نستطيع أن نقول أن الفكر الإسلامي العام يحمله كثير من المسلمين نتيجة حالة فكرية مثقفة واعية أو الذي يحمله الكثيرون من المسلمين نتيجة حالة لا شعورية يختزنها الانسان في أعماقه وان لم يستطع أن يعبّر عنها في طريقة فكرية أو قانونية . . .

لا فراغ في التشريع :

إن الإسلام في وعي الانسان المسلم ليس حالة خاصة بل هو حالة عامة تحدّد حياته في كل علاقاته ، وتحدد حياة الاخرين من خلال هذه الحاجة الواقعية في حياة الانسان المسلم ، رأينا أن الفقهاء

في كل مرحلة من مراحل التاريخ يواجهون هذه المسائل التي تحملها أوضاع التغيير في حركة المجتمع فيحاولون أن يجدوا في الإسلام على مستوى النصوص أو في الإسلام على مستوى الـوعي العام للحكم الشرعي الذي لا يجعل هناك فراغاً في حياة الناس من حكم شرعي في حالة جديدة حتى يتوجهوا إلى حالة أخرى أو مبدأ آخر .

من خلال هذه الفكرة نـرى أن الإنسان المسلم يجد أن طبيعة إسلامه تفرض عليه أن يتقيد بالحكم الشرعي في واقعه الخاص وفي علاقاته العامّة تماماً كما يجد الانسان المسلم المنتمي أن تركه للصلاة كعبادة أو للصوم كعبادة أو ممارسته لأي محرّمة من المحرمات يمثل خطيئة شرعية يحاسب فيها أمام الله يشعر الإنسان المسلم بنفس هذا المستوى أنه إذا أقدم على معاملة مالية غير شرعية أو إذا أقدم على أي معاهدة في أي شأن من الشؤون سواء كانت المعاهـدة شخصية أو عائلية أو سيـاسية اذا لم تكن المعـاهدة مـرتكزة في أصـولها على المبادىء الشرعية. فإنه يعتبر ممارستها خطيئة تماماً كأي خطيئة أخرى ، أنت عندما تدخل في معاملة فاسدة مثلاً إذا قمت بعملية بيع فاسدة ، تفتقد بعض الشروط الشرعية التي تشترط في صحة البيع ، لو قلنا مثلاً كما يقول بعض الفقهاء ان البيع لا بـد فيه من الايجـاب والقبول اللغويين ، أو قلنا ان الايجاب لا بد ان يتقدم على القبول مثلاً ، أو قلنا أن المواد لا بد ان تحكم علاقة الايجاب والقبول فلا بد ان يوجب الانسان البيع في وقت ويأتي القبول في وقت آخر . .

لو اشترطنا أي شرط من هذه الشروط وجاء انسان مؤمن وضرب بعملية بيع غير صحيحة فإن الحكم الشرعي في هذا المجال يقول لك ان تصرفك في المال الذي انتقل إليك حرام كما لو كنت سارقاً وكما لو كنت غاصباً لأن مال الآخرين لا بد ان ينتقل إليك بطريقة شرعية

فإذا نقلته بطريقة غير شرعية معنى ذلك ان المـال لـم ينتـقل إلَيكِ وإن أوحيت لنفسك انه انتقل وهكذا لو ان انساناً مسلماً قام بعقد زواج على غير الطريقة الشرعية ، كأن مثلا هناك كثيراً من الفقهاء يستفيدون في أن علاقة الزواج بالنسبة للفتاة التي لم يسبق لها الزواج ، لا بد فيها من إذن الأب أو اذن الجد للأب إذا لم يأذن الأب ولم يأذن الجدّ فإن العقد باطل ـ طبعاً هناك اجنهادات أخرى ـ ومعنى ذلك أن العقد الذي يجري بعيداً عن إذن الأب أو الجدّ هو عقد غير شرعي ، وتترتب عليه كل آثار العلاقة الغير شرعية ، إذا كان العاقدان واعيين للحكم الشرعي ، أما إذا لم يكونا واعيين فإن العلاقة تبقى غير شرعية ولكن هناك آثار بالنسبة للأولاد أخرى لسنا في مجال الحديث عنها ، ولكن اذا أردنا أن نركـز الحكم الشرعي في وعي الانسـان المسلم يعتبر العلاقة خطيئة كما يعتبر التصرف في المال على اساس البيع الفاسد خطيئة ايضاً ، وهكذا اذا كان هناك تشريع اسلامي يحاول ان يحدد للإنسان المسلم بعض الخطوط السياسية في علاقته بالآخـرين على مستوى حركته معهم او على مستوى علاقاته السياسية معهم او علاقاته الاقتصادية ، فإن المعاهدة او العلاقة في الاتجاه الذي لا يستجيب للشرط الشرعي تعتبر معاهدة لاغية اسلامياً ويعتبر التحرك نحوها خطيئة شرعية ، معنى ذلك ان مسألـة الخطيئة في الإسلام لـدى الانسان المنتمي لن تتوقف امام ان تترك واجباً عبادياً ، او أمام ان تفعل محرماً من المحرمات التي اعتاد الناس ان يتحدثوا عنها ، بل ان الانحراف الذي تعيشه في واقع حياتك من الاسلام يجعل اية معاملة مالية او شخصية او سياسية ، يجعلها معاملة خطيئة فيما تتحرك فيها من آثار او نتائج . على هذا الأساس ، المسلم لا يستطيع كمسلم من خـلال انتمائه الاسلامي ، لا يستطيع إلا أن يملأ حياته كلها بالاحكام الشرعية التي تنظم حياته بحيث يكون الابتعاد عن هذا ابتعاداً عن الإسلام لا

مجرد حالة سياسية خاصة او حالة اقتصادية خاصة بل يكون انحرافاً عن الاسلام ولعل مما يميز الاسلام عن غيره من القوانين الوضعية او من المبادىء الاخرى ، ان المبادىء الاخرى عندما تخاطب معتنقيها لا تخاطب فيهم انضباطهم الفردي بالتزامات المبدأ خارج نطاق الدولة . فمثلاً إذا كنت ماركسياً ، والماركسية تفرض عليك اشياء كثيرة تتعلق بطريقة التعامل وفيما يتعلق بالملكية وما إلى ذلك من امور . إذا كنت ماركسياً ، فإن الماركسية لا تمنعك من ناحية فكرية أن تكون رأسمالياً كأفظع ما يكون الرأسماليون ، وأن تكون إقطاعياً كأكبر ما يكون الإقطاعيون ، وأن تمارس الأساليب السياسية التي لا يجوز لك أن تمارسها في داخل المجتمع الماركسي . لماذا ؟ على أساس ان الماركسية جاءت من أجل ان تحل مشكلة الطبقة العاملة او مشكلة المجتمع العامل ، ولهذا فإنها لا يمكن ان تحل المشكلة إلا من خلال التطبيق الكامل للنظام .

إنك لو كنت بنفسك تمارس الملكية الفردية كشخص او انك لم تحاول ان تكون رأسمالياً إذا كنت اشتراكياً بمفردك او في نطاق عائلتك فإن اشتراكيتك لم تحل أية مشكلة لأحد حتى لك بالذات . لهذا ليس المطلوب منك من وجهة نظر ماركسية ان تكون اخلاقياً في هذا المجال من موقع الخطوط الماركسية للفكرة لأن الاخلاق هناك نسبية وليست هناك اخلاق مطلقاً والاخلاق تتحرك من خلال حركة التخطيط الاقتصادي والسياسي العام في دائرة المجتمع الماركسي ككل ، نعم ، ربما تكون لك بعض الاخلاقيات التي تفرض عليك بعض القيود في حركة الوصول للمجتمع الماركسي كمنهج في طريقة خط السير لا كخط ذاتي تختزنه من موقع ايمانك .

الإسلام غير ذلك :

بينما في الإسلام ، عندما انطلق في تشريعه لم ينطلق من حل المشكلة الاجتماعية فحسب بل انطلق في تشريعه من خلال اعتباره الانسان صانع التغيير واعتباره الانسان صانع كل وضع تطويري في الحياة . على هذا الاساس الاسلام يهتم بأن يكون الانسان مسلماً في حياته الاجتماعية وان يكون الانسان مسلماً في حركة الحكم في نطاق الدولة ، إن عدم وجود دولة اسلامية لا يبرر لك ان تكون مرابياً وإن عدم وجود تخطيط تشريعي اسلامي عام لا يبرر لك ان تنحرف عن الاسلام في مسائلك الفردية بل لا بد لك ان تظل مسلماً حتى في اكثر الدول كفراً وحتى في اكثر المجتمعات انحرافاً لأن قضية الاسلام لا تخاطب حركة الواقع الاقتصادي او حركة الواقع السياسي بل تبدأ بمخاطبة انسانية الانسان لتبلور انسانيته ولتركزها على اساس ثابت متين حتى ينطلق في الخط السياسي او الاجتماعي من موقع الثبات ومن موقع القاعدة ومن موقع الشمول .

الحكم الشرعي في كل مكان :

لهذا في الإسلام ، كما ذكرنا انت لا تستطيع ان تكون مرابياً في المجتمع الغير اسلامي ولا تستطيع ايضاً كمسلم ان تعطي شرعية لأي قانون أو لأي نظام تعيش في داخله ، قد تضطر الى ممارسته لكن عليك ان تواجه في تعاملك معه من موقع القدرات ومن موقع العناوين الثانوية ، كما يقول الفقهاء ، التي قد تبلور لك أن تأخذ بالرخصة في بعض مواضع الالزام كما في موضع الضرر او في مواضع العسر او في مواضع الحرج او في مواضع الأكراه او في مواضع الاضطراب او ما إلى ذلك من الأمور .

ربما كانت هنالك بعض القواعد الفقهية التي تقول عندما تعيش مع مجتمع آخر غير مسلم «ألزموهم بما الزموا به انفسهم » من خلال قاعدة الالزام مثلاً ، لكن انت كمسلم لا بد لك حتى وانت تريد ان تتحرك مع الواقع المنحرف في حالة ضرورة لا بد لك من ان تأخذ حكم الاسلام حتى في حركتك مع الانحراف لتعرف الى أي حد يمكن لك ان تماشي الواقع المنحرف والى اي حد يمكن لك ان تواجهه بأي طريقة من الطرق على هذا الاساس نفسه .

إن الانسان المسلم الذي يلتزم الشريعة الاسلامية من موقع انتمائه على الاساس الذي يقول لك ان انحرافك عن خط الشريعة في أية مادة قانونية شرعية يمثل خطيئة كما هي الخطيئة في المجالات الاخرى . هذه الحالة الايمانية او هذا الفهم الاسلامي يجعل الانسان المسلم يعيش المأساة في أي مجتمع يحكمه غير الاسلام على اساس ان اسلامه يطلب منه ان يجعل معاملاته وعلاقاته واعماله وكل اوضاعه السياسية وغيرها خاضعة للخط الاسلامي الشرعي بينما القانون الوضعي يرتكز على قاعدة غير اسلامية كما في القانون الفرنسي او البريطاني او القانون الروسي او الاميركي او أي قانون مأخوذ بعضه من هذا المصدر أو ذاك المصدر . يعتبر ان هذا الواقع هو واقع مأساوي لأنك تحار ، إن السلطة تفرض عليك ان تطبق هذا القانون وان الشريعة تفرض عليك ان تطبق غيره ولهذا يلجأ الكثيرون من المؤمنين الملتزمين الذين يشعرون بمسؤولية الالتزام بالخط الشرعي يشعرون بالحاجة امام أية معاملة قانونية على خط القانون الوضعي الى ان ينطلقوا خارج نطاق القانون في ان يرتبوا المسألة بعد ذلك ترتيباً شرعياً ولذلك قد يعانون الكثير من هذا الواقع وقد يعانون الكثير في هذه المسألة لا نقول ان الاسلام حاصر الانسان وجعله يختنق عندما يعيش

في مجالات غير اسلامية او الدول الغير اسلامية ربما جعل الاسلام للانسان متنفساً في بعض المجالات وجعل له مخارج في بعض المجالات ربما استحدث في الفقه الإسلامي باب يسمى باب « الحيل الشرعية » وهو الاسلوب الشرعي الذي يحتفظ بالشرعية ، يحتفظ لها بطبيعتها ولكن يحاول أن يصل إليها بطرق بعيدة ربما يناقش بعض الناس هذه الحيل وربما لا يناقشونها ولكن نقول هناك اجتهادات في هذا المجال لكن هذا لا يمنعنا من أن نشعر بأن مسألة الشريعة بالنسبة للانسان المسلم هي قضية تدخل في الايمان ، وليست هي شيئاً خارجاً عن الايمان لأن الايمان لدى الانسان المسلم يمثل وحدة بين العقيدة وبين الشعور وبين الممارسة في الحياة وليس مجرد حالة نفسية كما أن القرآن الكريم ركز في أكثر من آية على أن يحكم بما انزل الله وان لا يتبع اهواءهم وان لا يفقده الاخرون من بعض ما انزل الله إليه وما إلى ذلك من امور ، من خلال ذلك نريد ان نصل الى نتيجة اخرى وهي ان هذا الواقع القلق واقع الانسان المسلم الذي يعيش في مجتمع لا ينطلق قانونه من الاسلام في كل حياته الواقع القلق بين ما هي الشريعة وبين ما هو القانون ، هذا الواقع الذي يشعر فيه الانسان المسلم انه ليس ملتزماً بالقانون من موقع الايمان بل قد يلتزم بخلافه .

الدعوة للإسلام دعوة للحكم من خلاله :

أما الحديث عن الإسلام كدولة وعن الإسلام كمبدأ يحكم الحياة فقد انطلق من خلال أن لا تجعل للإنسان المسلم على الأقل في البلاد الإسلامية أن لا تجعله يعيش الازدواجية في حركة حياته بين ما هي الشريعة وبين ما هو القانون أو بين ما هو القانون الإسلامي وبين ما هو القانون الوضعي . أنه عندما يدعو إلى الإسلام أن يحكم حياة الناس انه لا يجد نفسه مبتعداً عن أية حالة سياسية يحمل فيها مجموعة من الناس فكراً سياسياً إنه لا يجد هناك فرقاً بين ان يدعو هو إلى حكم يرتكز على

أساس الاسلام وبين فريق يرتكز على حكم يرتكز على أساس اشتراكية أو على أساس الماركسية أو على أي أساس مما يستحدثه الناس ان الاسلام يقول للناس الذين قد ينكرون عليه في هذا الطرح أنه يقول لهم أولاً ان مشكلتكم إنكم عندما تفكرون في الاسلام فأنتم تفكرون بالدين على مستوى الطريقة الغربية وعنما تفكرون فأنتم تفكرون بالطائفة لكننا عندما نفكر بالإسلام نفكر بالإسلام الفكر والمنهج والشريعة والخط المتحرك في الحياة ، الإسلام الذي يتنفس الهواء الطلق والذي لا يحبس نفسه في أية زاوية طائفية او أية زاوية عبادية ، اخلاقية ضبابية مختنقة تخنق الانسان على ان ينطلق الى ساحة الحياة بقوة او عندما نريد ان ننطلق الى الاسلام في هذا الشكل ، ما هي المشكلة في ان تطلق الاسلام في الساحة كفكر تريده ان يتحرك في الساحة . ما هي المشكلة إذا كان الاسلام شريعة كاملة في كل المجالات على الاقل في اطار الفقه الاسلامي ، الفقه الاسلامي يخاطب كل الحالات اذا كان الاسلام شريعة اي فرق بين الشريعة الاسلامية وبين القانون الفرنسي مثلاً . او بين القانون البريطاني وإذا اردنا ان ندرس المسألة من ناحية المواد القانونية للاسلام أو طريقته في ايجاد القواعد للمعاملات المالية وللقوانين الاخرى طريقته الخاصة ، قد تختلف الطريقتان قد يخطِّىء الاسلام اولئك ولكنهم لا يستطيعون ان يقولوا لك ان لا تتدخل فيما لا يعنيك لأن الشريعة شيء اساسي في عمق تكوينك وفي حركتك السياسية التاريخية ، الاسلام شريعة ، وشريعة كاملة قد لا يرضى عنها بعض الناس وتلك مشكلتهم وقد يواجه الاسلام هذا الرضى او عدم الرضى بطريقة عملية وبطريقة فكرية لأن الاسلام عندما تحرك امام الآخرين تحرك من موقع ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ تحرك من موقع ، ﴿ **ها أنتم هؤلاء حاججتم بما لكم به علم فلما**

تحاجوني فيها ليس لكم به علم﴾ . ان تشك في توحيد الله ويناقشك في ذلك ان تشك في ان النبي عاقل او مجنون ، ان النبي ساحر او مجرد انسان طبيعي ، انه شاعر او لا . . القرآن حمل لك كل الاتهمات التي اثيرت حول النبي في التاريخ الأول ليقدمها إليك ليقول لك فكر كما كان الآخرون يفكرون واطلق اتهاماتك كما اطلق الآخرون اتهاماتهم والاسلام يستجيب لك . الاسلام يقول لك يمكن ان لا توافقني على هذا ولكن على أي اساس تمنعني من ان افكر او من ان أتحرك او من أن اطلق هذا الفكر ما دمت أطلقت القضية بطريقة حضارية تعتمد على العقل وعلى ذلك بعض الناس يقولون هناك أقليات في البلاد الاسلامية وهذه الاقليات قد ترفض ان ينطلق القانون الاسلامي ليؤكد سيطرته وسلطته ولكن اي مجتمع لا اقليات فيه ، اقليات تختلف عن القاعدة التي يتحرك فيها الحكم المجتمع القومي الذي يعيش على اساس قومية فارسية ايضاً يحتضن قوميات أخرى من عرب واكراد واتراك وما إلى ذلك ، وهكذا حتى المجتمعات الديمقراطية قد لا تكون فيها اقليات على مستوى عرقي او على مستوى ديني ولكن فيها اقليات على مستوى سياسي اذا صح التعبير .

إن الأكثرية تحكم الأقلية ولكن بالطريقة التي لا تشعر فيها الأقلية بالاضطهاد ، إذن مشكلة الأقلية كمشكلة أقليات لا تمنع أي فريق يمكن أن يدعو إلى حكم لا يستوعب الساحة كلها وإلا لو فرضنا كنا نطلب الإجماع في أية حركة سياسية أو في أية حركة فكرية لكان من الضروري ان لا ندعو إلى أية حركة لا يمكن أن تهيىء للإجماع لفكرها او لسياستها أو لأي وضع من أوضاعها ولهذا كانت الديمقراطية كما يقولون لا تمثل أحسن الاتجاهات أو المبادئ ولكنها كانت أقلها سوءا كما يقول بعض قادتها او بعض زعمائها ، إذاً الإجماع ليس مطلوباً في أية فكرة . . يقول بعض الناس مثلاً مشكلة الإسلام هي مشكلة وجود

الأقليات الدينية، في البلاد الإسلامية يهود وفي البلاد الإسلامية نصارى ، وربما يوجد هناك جهاتٌ أخرى أو فئات أخرى ولكن عندما نريد أن نفكر إسلامياً ومسيحياً ، انا أريد أن اتحدث مسيحياً ، أعتبر نفسي مسيحياً أفكر كما المسيحي لا أفكر بصفة بعيدة عن مسيحيتي ، فالمسيحية لا تطرح شريعة ، ولا تطرح نظام حكم ، المسيحية تطرح الإيمان ، ان يحفظ للإنسان المسيحي إيمانه ، أن تبقى له عقيدته ، ان تبقى له حقوقه وعباداته ، وتقاليده لا تخنق ، ان يعيش الجو الإيماني لأنها ترتكز على أساس أن المسيحية هي شأن السماء وليست شأن الأرض : « ما لله لله وما لقيصر لقيصر » ، إذاً كانت المسيحية كمسيحية تعني الإيمان فنواجه المسألة المسيحية عندما تعيش في نظام يحمل الإسلام كعنوان وعندما تعيش في نظام لا يحمل الإسلام كنظام مع الماركسية أو مع أي فكر آخر ، الإسلام يعترف بالمسيحية كدين منزل من الله سبحانه وتعالى ، ويعتبرهم أهل كتاب ، وإن كان يختلف معهم في بعض التفاصيل كما يختلفون هم مع بعضهم في بعض التفاصيل بعض ما يختلف الإسلام فيه مع المسيحية يختلف فيه المسيحيون مع بعضهم البعض .

الإسلام يحمي ايمان المسيحية :

لهذا الإسلام عندما يحكم في أية منطقة وينطلق من مواقعه الإسلامية لا أن ينطلق في عنوان اسمه الإسلام وفي واقع اسمه الكفر نحن نتحدث عن الإسلام في أصالته وفي حركته الأصيلة في هذا المجال ، الإسلام يحمي المسيحية إيماناً انه يعطيها كل الحرية في الإيمان في نطاق الواقع العام أو في نطاق المصلحة العامة كأي حكم آخر حتى المحرمات عند الإسلام هي مباحة أن يمارسها المسيحيون في داخل دائرتهم الخاصة اما الواقع التشريعي فإذا لم تشرع الدولة

الإسلام فإنها تشرع القانون الفرنسي مثلاً او تشرع قانوناً مزيجاً من القانون الفرنسي والقانون الإسلامي أو تشرع قانوناً آخر .

إذاً أي فرق لدى الإنسان المسيحي بين ان يواجه شريعة إسلامية لا تنفي المسيحية وبين ان يواجه قانوناً آخر لا علاقة له بالمسيحية .

إذاً خارج نطاق الإيمان المسيحي ليست هناك حالة قانونية مسيحية بالمعنى الديني للمسيحية حتى يكون الإسلام نقيضاً لها حتى تكون الدعوة إلى الاسلام دعوة مضادة للمسيحية ولهذا نحن نعتبر أن الدعوة إلى الإسلام بما هو الإسلام الفكر وبما هو الإسلام الشريعة وبما هو الإسلام المنهج في الحياة حلاً لمشكلة الإنسان المسلم الذي يعيش الإزدواجية في المجتمع الغير اسلامي بين ما هو القانون وبين ما هو الإسلام ولا يمثل مشكلة بالنسبة إلى الإنسان المسيحي في مواقع مسيحيته ربما يخلق له بعض المشاكل ولكن هذه المشاكل التي يخلقها أو يصنعها الإسلام في سلطته بالنسبة للإنسان المسيحي يعيشها الإنسان المسيحي أو الإنسان المسلم في كل دولة مواجهة لأن الدول على قسمين : هناك دول يحكمها النظام الديمقراطي بمعنى دول تحمل اطاراً تتبدل فيه الصورة وهناك دول تحمل إطاراً ومعها الصور هناك دول تحكمها فكرة كالدول الموجهة الملتزمة كالماركسية ، الدول الاشتراكية هذه تحمل الاطار كما تحمل الصورة ، من الطبيعي لأي حزب يحكم أو لأي جماعة تحكم على أساس خط ، من الطبيعي ان لا يمارس الآخرون الحكم معها في المواقع الكبيرة التي تمثل مواقع المصير إلا الذين يخلصون لهذا الخط ، ليس من الطبيعي في الدولة الماركسية ان يكون رئيس الدولة أو الذين يخططون لسياسة الدولة لا يحملون الفكر الماركسي او الذين يضادون الفكر الماركسي ، وهكذا لا يمكن من الدولة الديمقراطية أيضاً أن يكون الذين يحكمون الدولة

أشخاص يؤمنون بالنازية مثلاً ، لا يمكن لأن المطلوب من رئيس الدولة أن يبني منهج الدولة وفكر الدولة .

القضية هي عدم الازدواجية بين الطرح والحكم :

ليست القضية قضية المسيحيين حتى المسلمين الذين لا يعيشون الالتزام الاسلامي ولا يعيشون الفكر الاسلامي داخل الدولة الاسلامية لا يمكن ان يكونوا في موقع القيادة في الدولة الاسلامية بل يستفاد منهم في مجالات اخرى وقد تكون مجالات اخرى لا تمثل خطراً على قضية المصير ، اذاً في هذه المسألة هذه ليست مسألة ان يحكم الإسلام في مجتمع فيه مسيحيون بل هي مسألة ان يحكم فكر موجه يسيطر على الدولة فيه اناس لا يلتزمون بهذا الحكم فالمشكلة ليست هي مشكلة المسيحيين مع الإسلام ولكنها مشكلة المسيحيين مع أي فكر آخر ومع اي دولة اخرى تلتزم بمنهج لا يلتزمون به .

نظام أهل الذمة . . . النظام الحضاري :

ربما يثير بعض الناس في هذا المجال قضية ان المسلمين يعتبرون المسيحيين اهل ذمة وهذه كلمة دخلت في القاموس السياسي اللبناني كشتيمة في هذا المجال ولكن الواقع لو اننا درسنا المسألة دراسة موضوعية بعيداً عن كل هذه الشعارات التي نتناقلها بطريقة سطحية او بطريقة معقدة ، قصة الذمة تعني ان الدولة الإسلامية تعتبر المسيحيين او غير المسيحيين الذين لا يؤمنون بإيمانها تعتبرهم في حمايتها وفي عهدها وفي رعايتها تماماً كما تحترم المسلمين في عهدها ورعايتها وحمايتها انها تريد ان تعالج الجانب السلبي في هذه المسألة انها تريد ان تقول نظام الذمة يريد ان يقول للمسيحيين وحتى لليهود الذين لا يكونون صهاينة نريد ان نقول لهم بأنكم لا تخافوا من وجودكم في

داخل المسلمين انتم في رعاية المسلمين وعهدهم وان من يسيء اليكم فإنه اساء إلى الإسلام انتم آمنون على انفسكم ومصالحكم وأموالكم واعراضكم كما هو الحال أو حال المسلمين قصة ضريبة الذمة هي ضريبة في مقابل كثير من الخدمات التي تقدمها الدولة التي تعفي غير المسلمين من الضرائب التي يفرضها الإسلام كما في الزكاة وما إلى ذلك ، إذن فالمسألة فيها تخفيف عن المسيحيين او عن اليهودية او عن كل الذين يضعهم الإسلام في ذمته وفي عهده . . عملية التعاقد بين الدولة وبين الأقليات على اساس ان تتعهد الدولة ان تحميهم بما تحمي به افرادها الذين يلتزمون فكرها وأن ترعاهم وأن تصونهم من كل شيء وان عليهم ان يدفعوا ضريبة الدفاع لأن الدولة لا تُلزم المسيحيين مثلاً ان يتجندوا في جيش لا يؤمنون بفكره او يتجندوا في جيش قد يحارب مسيحيين آخرين إنها لا تريد أن تفرض عليهم أن يحاربوا أبناء دينهم في الوقت الذي يرفضون ذلك ؟؟ وهذا يعتبر من أعلى الأفكار الحضارية في احترام عقيدة الإنسان وفي احترام إرادة الإنسان ، المهم نحن لا نريد أن نعطي الأفكار التي نثيرها أمامكم ، لا نريد أن نعطيها طابع الأفكار التي لا تقبل النقاش ، لكن نقول أن الإسلام يقدم فكراً على هذا الأساس ولهذا فإنه لا يعتبر نفسه في هذا المجال معتدياً على أية فئة أخرى ، عندما يطرح نفسه كشريعة تريد أن تحكم وكحكم يريد أن يطرح نفسه على الساحة .

بين التطرف . . والواقعية :

قد يتحدث الناس في هذا المجال عن العنف من قبل المسلمين بأن يفرضوا أنفسهم على الواقع بعنف . . من قال ذلك، تقولون أن الإسلام انتشر من خلال الجهاد . الجهاد كان عملاً وقائياً ببعض المجالات وعملاً دفاعياً ببعض مجالاته الأخرى ، الإسلام يركز على

أساس الحكمة والموعظة الحسنة لا نقول اننا ندعو إلى الاسلام بطريقة تبشيرية لكن بطريقة فكرية وسياسية أحببت أن أثير أمامكم هذه النقطة للتفكير على أساس أن المسألة تطرح الآن أو في غير الآن كوسيلة من وسائل الإثارة كأسلوب من أساليب الحديث عن التطرف أوالحديث عن الإرهاب انني أريد أن أقول ان قضية أن تكون متطرفاً هي انك تواجه الواقع بطريقة غير واقعية أو أنك تريد أن تصدم الواقع بشكل غير معقول أو لا تتوازن إننا نقول أن كل فكر هو فكر متطرف أمام الأمر الواقع ائتوني بفكر يريد أن يقيّد الواقع لا يعتبر متطرفاً من خلال الحالة الواقعية ، قضية أن يكون الفكر متطرفاً لها وجهات هناك مسألة أن يكون متطرفاً بطريقة التفكير وذلك بأن يطلب من الواقع أكثر من حجمه وأكثر من امكانياته ولوعلى مستوى المستقبل إما ان يكون متطرفاً عندما يريد أن يغير الواقع فكل ثورة هي تطرف كل فكر يريد أن يتحرك بالواقع بطريقة ثورية لا بطريقة إصلاحية هو فكر متطرف على أساس نسبته إلى الأمر الواقع لأن الفكر يريد أن يغيره من الجذور ومن الطبيعي أن هذا يعتبر عملاً متطرفاً لأنه عمل لا يدخل في التسويات ولا يدخل في كل الوسائل التي تعتمد على حلول الوسط أو ما إلى ذلك . الإسلام ليس فكراً متطرفاً فيما هو الفكر ، هو فكر ملتزم يطرح فكره كما يطرح الآخرون أفكارهم ويمارس فكره بالطريقة التي يمارس فيها الآخرون أفكارهم ويدخل في المعارك التي تفرض عليه كما يدخل الآخرون في معاركهم نحن لا نعتبر اللاعنف هو الوسيلة التي يمكن أن نقيّد بها الحياة دائماً ، قد تحتاج الى اللاعنف في بعض مراحل حياتك وواقعك السياسي ولكنك قد تلجأ إلى العنف عندما يواجهك الذين لا يفهمون الحياة إلا بلغة العنف إن المسألة لا تكون عملية عنف أنت تبادر فيه ولكن تكون العملية عملية عنف تحاول أن ترد الذين يفرضون عليك العنف بالطريقة التي تحاول ان ترفض سيطرته عليك .

العنف المشروع :

الآن في المجتمع الغربي بشكل عام أو في غيره من المجتمعات يعتبروننا عندما نواجه اسرائيل ويعتبرون الشرق الذي يحارب إسرائيل هو ساحة تتحرك بعنف ويفهمون اللين والرفق والسلم هو ان تقبل بكل الشروط التي تفرضها عليك إسرائيل وهكذا يعتبرون الوقوف أمام المصالح الاستعمارية التي يعتبرها الاستعمار حقاً شرعياً له ، الاستعمار يعتبر أن ثرواتنا .التي تؤكد إقتصاده والتي تجعله يعيش حياة رخية يعتبر ان كل ثرواتنا الاقتصادية تمثل حقاً مشروعاً له ويعتبر أن كل مواقعنا الاستراتيجية تمثل حقاً مشروعاً له ، انه يعتبر انه عندما يملك القوة فإنه يملك كل شيء عندنا ولا يبقى لنا إلا الفتات ، إذن عندما نريد ان نواجه المصالح الاستعمارية أياً كانت سواء كانت أوروبية أو أميركية أم غير ذلك وعندما نريد أن نواجه هذه المصالح فإن هذا يعتبر هذه حالة عنف هل نرفض حالة العنف هذه ونتأدب أمام أمريكا لنقول انناحضاريون ولتقول عنا أمريكا إننا حضاريون ، لأننا لسنا مستعدين ان نواجه مصالحها في أي مكان عندما تحاصرنا في العالم كيف يمكن أن لا نحاصرها بالعالم كله وعندما تريد ان تفرض علينا الفقر كيف لا نحاول ان ندافع عن هذا الواقع الذي نعيش فيه ، وعندما تمنعنا ان نعيش سياسة الاكتفاء الذاتي بالنسبة الى مواردنا الاقتصادية كيف يمكن ان لا نواجه القضية بالعنف ، لهذا قد نكون نحن ـ أيها الأخوة والأخوات ـ في لبنان إستهلكنا الكلمة وأصبحت الكلمة تمثل بالنسبة إلينا غولاً بشعاً مخيفاً ، ونحن نتفق مع الكل بأن العنف هو غول بشع مخيف ولكن أكثر بشاعة منه هو ان تستريح وان تسترخي لكل القوى الظالمة التي تريد ان تسحق كل إرادتك وتريد ان تصادر كل واقعك وتريد ان تجعلك مجرد شخصية تابعة لا تحمل فكراً ولا تحمل أي نوع من انواع الحرية والاستقلال ، إن هذا أكثر بشاعة من العنف الذي نعيش

فيه ، ولهذا كنت أركز دائماً على النظرة الشاملة للواقع ان لا نتجمد أمام الزاوية التي يحصرنا فيها الواقع لأن الزاوية ليست هي كل الواقع ، الزاوية التي يحصرنا فيها الواقع هي حالة إلزامية يمكن ان نتجاوزها في حالة أخرى تتوسع فيها هذه الزاوية أو تخلق فيها زاوية جديدة او ننطلق إلى ساحة جديدة .

لا بد لنا ـ أيها الأخوة والأخوات ـ لا أقولها من موقع الموعظة ولا أقولها من موقع البعد عن خط المحاضرة بل أعتبر نفسي لا أزال في الخط ، إنما أريد ان اثيرها أفكاراً لتفكروا معي فيها لأننا قد نحتاج في هذه المرحلة الطويلة التي نضيناها بدون فكر ، قد نحتاج ان نعطي انفسنا نوعاً من حرية الفكر أمام ما نواجه في الساحة .

ما أريد أن أقوله عدة نقاط :

النقطة الأولى :

النقطة الأولى التي أحب أن أثيرها في مسألة الأفكار وهي مسألة المبادىء ، نحن نعتقد أن من حق أي انسان يحمل فكراً متكاملاً ، بما فيه الإسلام ، ان يطرحه على كل الناس أن يطرحه ليغير فكرهم وأن يطرحه ليغير واقعهم ، ولا يجوز أن نقول للإسلام ابتعد جانباً عن المسألة لأنك تريد ان تثير الطائفية وتعمقها ، إننا قلناها مراراً إننا نريد أن نخرج الإسلام من علبة الطائفية ، لندخله في ساحة الفكر والتشريع وحركة الحياة ، لهذا نحن ضد الإسلام الطائفة وضد كل من يتحرك إسلامياً على مستوى العقلية الطائفية التي لا تحمل إلا العداوات والأحقاد والبغضاء ولا تفكر إلا في المواقع الإدارية والسياسية بعيداً عن حركة الحياة كلها .

نحن لسنا طائفيين ولا نفكر بالطريقة الطائفية حتى على المستوى

السياسي ولكننا إسلاميون نـطلق الإسلام كفكـر وكشريعـة وكمذهب ونبحث عن مواطن اللقاء مع الآخرين ونمـارس حريتنـا فيما يؤكد الإسلام كقناعة في فكر الناس وكحركة سياسية في حياة الناس كما يملك الآخرون هذا الحق فيما يرونه لأنفسهم .

النقطة الثانية :

إن علينـا أمام هـذه الطروحـات ان لا ننهزم أمـام الأسـاليب الإعلامية وأمام حرب الأعصاب التي تحاول ان تهزم خطنا وفكرنا .

إنهم الآن يتحدثون عن الإسلام بهذه اللغة لأن الجو العام في المنطقة جو الصحوة الإسلامية وكانوا يتحدثون سابقاً ، عن الماركسية بهذه اللغة ثم كانوا يتحدثون عن القومية العربية في زمان عبد الناصر بهذه اللغة ، وهم يتحدثون عن أي عمل تغييري أنه حركة متطرفة وأنها تريد أن تهزم الواقع وأن تخرب الواقع وما إلى ذلك .

لهذا في حرب الأعصاب هذه قد نحتاج الى اعصاب قوية لا تتشنج ولكن أعصاب قوية تحاول أن تثبت وجودها في مواقعها لتبقي الفكر يتحرك يواجه حرب الأعصاب بطريقة فكرية تعرف كيف تميز بين الحق والباطل .

النقطة الثالثة :

انه ليس العنف شراً كله وليس اللين والسلم خيراً كله ، العنف قد يختزن الشر فيما اذا تحرك بطريقة لا هدف لها أو بطريقة الاهداف الشريرة والعنف يكون خيراً اذا تحرك من أجل ان يواجه القوى الغاشمة التي تتحدث بلغة العنف ، أو يواجه القوى التي تفرض عليك العنف أو تريد أن تحرك الشر من خلال العنف ، عند ذلك يكون العنف جهاداً ، ولا يكون العنف إرهاباً ونحن نفرق بين أن تكون حركتنا حركة

حرية وبين ان تكون حركتنا حركة إرهابية ، الإرهاب يعني إنك تواجه الحياة من موقع خاص بعيداً عن دراسة كل الوسائل التي يمكن أن تكون سلبية في مواجهة أهدافك ، أما حركة الحرية فهي الحركة التي تنطلق من خلال مصلحة القضايا العامة ، ولذلك نحن في جبل عامل ، نحن قوات حرية ومجاهدون ولسنا ارهابيين وحتى نحن في فلسطين لسنا إرهابيين عندما نتحرك امام اليهود الذين احتلوا أرضنا ، لسنا ارهابيين حتى عندما نواجه المصالح الاستعمارية في كل مكان في العالم بشرط أن نحترم الأبرياء نحن أيضاً لسنا إرهابيين ولكننا طلاب حرية ، إذا أحسنّا إستخدام الوسائل التي يمكن ان توصلنا إلى الهدف دون ان تسيء الى أهدافنا ، لهذا علينا ان لا نواجه المسألة بطريقة ثقافية تحاول ان توحي إلينا ان السلم دائماً أفضل وان الحرب دائماً سيئة ، نحن نعتبر ان الحرب سيئة فيما تواجه من آلالام ولكن مسألة الحرب والسلم يجب أن لا تواجه بقضية ما تثيره من آلالام بل ان تواجه من خلال ما تثيره من قضايا وما تحركه في طريق الأهداف الكبرى .

الحرب وسيلة لخدمة القضايا ، واسقاطها ، والسلم وسيلة لخدمة القضايا أو اسقاطها . لهذا علينا ان لا نستغرق في التفكير في مفهوم الحرب لنتشنج منه كله لنكون المسالمين الوديعين الذين تنطلق كل الدعاية الاستعمارية لتقول اننا شعب مسالم وديع حضاري . وقد جربنا هذه « الوداعة اللبنانية » امام اسرائيل ، وقد جربنا هذه الوداعة اللبنانية امام الاستعمار . . لقد عرف « اللبنانيون الودعاء » الطيبون الذين إذا ضربهم احد على خدهم الايمن كيف يديرون له خدهم الأيسر ، اللبنانيون جربوا هذه القوة في الضعف كيف تحولت هذه القوة في الضعف إلى إسحاق لوجودهم لا لمجرد ارادتهم، القضية هي أن تكون عندنا حالة ثقافية تفهم الحرب في المواقع التي تتحرك فيها

الحرب وتفهم السلم .من موقع الذي يتحرك فيه السلم حتى نستطيع ان نواجه المسألة في كل ما نتحرك فيه لخدمة قضايانا الكبيرة ولا ننفصل عن القضايا الكبيرة عندما تستدعينا او تحاصرنا الآلام والمشاكل .

قلتها مراراً ما دمنا سوقاً استهلاكياً للعالم المستكبر ، ما دمنا مواقع استراتيجية للآخرين ، ما دمنا مخزناً للثروات الطبيعية للآخرين ، لن نرتاح ابداً ، قد نفكر بهدنة بين حربين وبساعة نرتاح فيها بين هدفين ولكن سيبشرنا الاستعمار بكل ما عنده من طاقة وسيحاول ان يستنزفنا بكل ما عنده من امكانات وعلينا ان نواجه المسألة بهذا المستوى وبهذا الحجم . لهذا ارجو من كل الذين يتحركون في الشأن العام ان لا يتركوا الناس يعيشون في احلام الجنة في الأرض ، لأن الجنة في الأرض في اجواء الاستعمار على مستوى الحياة المادية لن تتحقق .

علينا ان نعطي الناس احلاماً حذرة وعلينا ان نجعل الناس تؤمن في الآلام، التفاؤل المطلق جريمة والتشاؤم المطلق يخلق في داخلنا اليأس والسقوط لهذا فلنستعد ان نكون مع التشاؤم الحذر ومع التفاؤل الحذر على هدى كلمة الإمام علي (ع) في العلاقات الإنسانية .

« أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » .

وفي كلمة أخرى له عليه السلام : « لا تثقن بأخيك كل الثقة فإن صرعة الاسترسال لا تستقال » .

المسؤولية والوعي أمام التحديات :

الحياة تتحمل مشاكل كبيرة أكبر مما نحن فيه الآن والمستقبل يحمل لنا تحديات كبيرة أكبر مما نحن فيه الآن ، إننا قد نفكر بحدث

نستطرد فيه ولكن هذا الحدث هو نقطة صغيرة في بحار المشاكل الكبرى التي علينا أن نواجهها بمسؤولية وبقوة وبإيمان وأن نعرف كيف نحفظ الساحة وكيف نتحرك في الساحة وكيف نبحث عن مواطن اللقاء في الساحة وكيف نبتعد كلبنانيين وكمسلمين عن طبيعة « الحرتقات » اللبنانية « والنكرزات » والتسويات اللبنانية وطريقة الغالب والمغلوب على الطريقة اللبنانية بعيداً عن كل القضايا الحاسمة في حركة الحياة ، قد تفرض عليك المرحلة أن تتجمد ولكن الجريمة أن تتجمد في حركة المستقبل كله لأن المستقبل سوف يلفظك لفظ النواة ، لأنه لا يستقبل إلا الأقوياء إلا الأذكياء إلا الذين يعرفون كيف يستعدون له في الحاضر في مواقع صنع القوة في الحاضر على أساس القوة في المستقبل ليكن جيل المستقبل وليكن وعد الله لنا في أننا ننتصر هو الوعد الذي ننطلق من أجل أن نتحرك فيه ومن أجل أن نعيش في آفاقه . .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإعلام والقضايا الاسلامية المعاصرة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين .

الحديث عن موضوع من موضوعات الاعلام في معهد للإعلام ، يعتبر مسؤولية لئلا يكون الإنسان الذي يعالج هذا الموضوع ، في معهد يتخصص في هذا الموضوع كما يقول المثل « كناقل التمر إلى هجر » . .

ولكن أشعر أنني أستوحي من الأجواء العملية لهذا المعهد ما يمكنني من أن أنطلق ولو خطوات في سبيل توضيح الصورة للواقع الاعلامي الذي نعيشه فيما يتعلق بالقضايا الاسلامية المعاصرة . وقضية الاعلام في الأساس هي قضية أن تكون الصورة واضحة للإنسان من أجل أن يحدد خطواته العملية سواء كانت خطوات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية على أساس وضوح الرؤية لأن الانسان الذي يخطط من دون أن يملك وضوح الرؤية للواقع الذي يخطط له هو إنسانٌ يظل يتخبط في

(١) محاضرة القيت في كلية الاعلام والتوثيق الفرع الأول في العام ١٩٨١ م .

المشاكل من خلال ما يتخبط فيه من حلول لأن قضية حل المشكلة أن تفهم مشكلتك جيداً من جميع جوانبها وأن تدرس من خلال ذلك، كيف يتطابق الحل مع الظروف الموضوعية للمشكلة . . .

وعندما نريد أن نتحدث عن القضايا الاسلامية المعاصرة نحاول أن نحدد جيداً ماذا نقصد بالقضايا الاسلامية المعاصرة، هل نقصد قضايا الفكر الاسلامي فيما يعيشه من صراعات مع الأفكار الاخرى التي تتحرك في الساحة وبذلك يكون الحديث عن موقف الاعلام إزاء صراع الإسلام الفكري مع الأفكار الأخرى، أو أن القضايا الإسلامية المعاصرة هي قضايا المسلمين عندما يعيشون ويتحركون في أي موقع من مواقع العالم، في حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية وعند ذلك ننطلق في الحديث على أساس موقف هذا الاعلام السلبي أو الايجابي تجاه قضايا الاسلام والمسلمين في العالم . .

حركية الصفة هي الأساس :

وإنني في هذا الموقف أحاول أن أركز على نقطة أساسية فيما يصف الواصفون به الأشياء والأشخاص باسم صفة الاسلام . . إنني أفهم من كلمة « الاسلامية » عندما نريد أن نصف بها بلاداً أو شعوباً أو نصف بها قضايا، أن معنى هذه هو أن الاسلام له مدخلية وله حركة وله تأثيرٌ وله بعدُ في اطار هذا البلد، أو في إطار هذه القضية، أو في إطار هذا المجتمع أو ذاك المجتمع .

لهذا عندما نريد أن نصف قضية بأنها قضية إسلامية لا بد لنا من أن نركز على دور الإسلام في هذه القضية، وأن لا يكون الإسلام مجرد صفة تقليدية نطلقها على هذا البلد أو على هذا الشخص، أو على هذا الحكم أو على هذا الواقع من دون أن يكون للإسلام أي بعد، أو أي

تأثير في هذا الجو . . .

أنا أفهم ، عندما تطلق صفة على شيء ، أو تطلق صفة على قضيةوتريد معالجة هذا الشيء بما هو متصفٌ بهذا الوصف ، فمعنى ذلك أن يكون لهذه الصفة مدخلية في حركة هذا الشيء أو في حركة هذا الإنسان ، أو في حركة هذا الواقع . .

لهذا نحن عندما نريد أن نتعامل مع المشاكل التي تمس الحياة الاسلامية ، لا بد لنا أن نظل في تركيز دائم على الصفة الاسلامية في هذه الحياة ، وإلا لو أبعدنا الصفة الاسلامية وجعلناها مجرد صفة تاريخية ، أو مجرد صفة تقليدية فإن الصفة عند ذلك لا تعود تمثل أي شيء ، بل بإمكاننا أن نصف هذا البلد ، أو هذا الشخص أو هذا الحكم بأية صفة أخرى من دون أن يكون للإسلام أي دخل .

لهذا نحن عندما نريد أن نركز على القضايا الاسلامية ، لا نريد أن نبتعد عن الاسلام من حيث أنه عنصرٌ مؤثر في هذه القضايا ، وعنصر مؤثر في الواقع الحياتي الذي تتحرك فيه هذه القضايا .

فعندما نريد أن نبحث واقع المسلمين ، وواقع أي بلد إسلامي أو واقع أي مجتمع إسلامي ، لا بد لنا أن نبحث عنه من خلال هذه الصفة ، ومن خلال تأثيرها فيه سلباً أو إيجاباً ، وكذلك عندما نريد أن نتحدث كما يتحدث الكثيرون عن شيء اسمه الدول الاسلامية ، أو عن شيء اسمه المؤسسات أو الهيئات الاسلامية في العالم ، علينا أن نظل مشدودين الى الصفة فيما نتحدث فيه عن هذه الدول لأن الصفة تظل هي المقياس الحقيقي لحركة هذه الدولة أو تلك ومدى ارتباطها بالاسلام أو انفصالها عنه . .

وعلى هذا الاساس ، نحن نعتبر ، من موقع تفكيرنا أن ما يسمى

بالحاكمين المسلمين ، أو ما يسمى بالبلاد الاسلامية أن مثل هـذه التسمية لا تنسجم تماماً مع طبيعة هذه الصفة ، لأن معنى أن تقول إن فلاناً حاكم مسلم ، معناه أنه ينطلق في حياته من موقع إسلامه ، تماماً كما تقول ان فلاناً حاكم ماركسي ، أو إن فلاناً حاكم ديمقراطي ، أو رأسمالي ، إن معنى أن تطلق عليه هذه الصفة هو أن تكون حياته منطلقة من خلال هذا الخط الذي تمثله هذه الصفة ، ولا تكون هذه الصفة مجرد شيء لا يرتبط بحياته من قريب أو من بعيد .

وعلى هذا الأساس فنحن لا نستطيع أن نتعامل مع مثل هذه الدول ، أو مع كثير من هذه المنظمات من خلال أنها تمثل الصفة التي تطلق عليها لأنها لا تعتبر الصفة الخط الذي تسير عليه في الحياة .

وعندما نريد أن نواجه الموضوع الذي نتحدث عنه بشكل شامل ينسجم مع طبيعة هذه الندوة ومع طبيعة هذا اللقاء . . لا بد لنا من أن نـواجه حـركة الاسـلام في الحيـاة ، ومـواقف الاعـلام تجـاه هـذا التحرك . . وفي هذا الاطار نبدأ بالاسلام كفكر ، والاسلام كدين ، والاسلام كأسلوب حياة ، فنحن نلاحظ ان الاعلام المعاصر سواء كان الاعلام الذي يصب في الاتجاهات السياسية المجردة ، أو الاعلام الذي يتحرك في المجال الـفكري ، نشعـر أن الاعلام لم يخلص للخط الموضوعي ، أو لم يخلص للأسلوب الموضوعي في مواجهته للفكر الاسلامي .

الاعلام والحملة المضادة على الاسلام:

إننا عندما نواجه موقف الاعلام بشكل عام حول الاسلام كفكر ، أو حول الاسلام كدين ، أو كأسلوب حياة ، نجد أن هـذا الاعلام يحاول أولاً : في بعض نماذجه يحاول أن يشوه صورة الاسلام في

مفاهيمه وفي شخصياته وفي أحكامه الشرعية فيأخذ مثلاً حكماً شرعياً من هذه الأحكام ، ويحاول أن يضع هـذا الحكم مجرداً عن كـل ظروفه ، ومجرداً عن كل الساحة التي يتحرك فيها ثم يدرسه دراسة مفصولة عن جذوره وعن جـوّه ، وأي قانون من القوانين ، وأي حكم من الأحكام عندما تفصله عن جذوره وتدرسه كحكم مستـقل أو كقانون مستقل ، فإنك لن تستطيع أن تفهمه جيداً من خلال إيجابياته ، وإنما تتجمع كل السلبيات لتحاول أن تعطي عنه صورة مشوهة .

وهذا ما نلاحظه مثلاً في كثير مما أثير ولا يزال يثار في العالم عن قضية قوانين الحدود في الإسلام ان الإسلام كما نطق القرآن يأمر بقطع يد السارق ، والاسلام ، كما نطق القـرآن والسنة يـأمر بجلد الزاني أو برجم الزاني والزانية في حالات مختلفة ، والاسلام يحكم بالاعدام في بعض المجالات ، وهكذا . . ونلاحظ أن هناك اتجاهاً لدراسة قضية هذه الأحكام دراسة مجـردة عن طبيعتها ومجـردة عن ظروفها ومجردة عن أدوارها . مثلاً : نلاحظ عندما يتحدثون عن قطع يد السارق ، إنهم يتحدثون عن قـطع يد السـارق في ظل الـواقع الاقتصادي المتخلف الذي نعيش فيه الآن ، إنهم يوجهون المجتمع

الى الواقع الموجود الآن ، ويقولون ان المجتمع الذي لا تحل مشكلته الاقتصادية والمجتمع الذي لا يستطيع أن يحصل على تكامل اقتصادي في حياته ، هو مجتمع يضطر أفراده الى السرقة ، وعلى هذا الاساس فإن السرقة ستكون ظاهرة عامة ، وإذا أصبحت السرقة ظاهرة عامة فإنها تؤدي إلى أن يصبح المجتمع كله بلا أيدي ، وبذلك نعطل على المجتمع كثيراً من الأيدي العاملة ونشارك في إيجاد مشاكل جديدة لأشخاصٍ لا يملكون العمل ويتحولون الى عبء على المجتمع .

العقاب بعد تأمين المطالب :

تلك هي الصورة التي يتحدثون فيها ، ولكن لو درسنا القضية دراسة موضوعية ووضعنا هذا التشريع ، فإننا نجد أن هذا التشريع وضع في ظل تنظيم اجتماعي واقتصادي للمجتمع تتحمل فيه الدولة مسؤولية تأمين الحياة الكريمة لكل إنسان في الدولة حتى يجد العمل الكامل . وهذا ما نلاحظه في دراساتنا ، للطريقة التي كانت توزع فيها الأموال في فترة حكم الخلفاء الراشدين ، فنجن نجد أن أغلب المسلمين كانوا يأخذون أعطياتهم من بيت المال ، كل الذين لا يملكون الحياة الكريمة ولا يملكون الحل لمشكلتهم المعيشية .

وإلى جانب ذلك هناك الأساليب الاسلامية في تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي تجعل من السرقة حالة مرضية وعقدة مرضية لدى السارق ، لأنها لا تمثل حاجة أساسية في ظل هذا المجتمع .

لهذا عندما نريد أن ندرس هذه القضية لا بد أن ندرسها في الاطار التشريعي العام الذي وضع فيه الاسلام هذا الحد إلى جانب بقية القضايا الاخرى .

وهكذا عندما ندرس قضية الزنا مثلاً : إننا نلاحظ أن الاسلام في هذا المجال وضع من الحلول الشرعية لحل هذه العقدة الكثير ، بحيث جعل من قضية الزواج قضية خاصة جداً بين الزوجين بعيدة عن كل التقاليد التي استحدثتها العصور المتخلفة واعتبرها شيئاً بسيطاً . يمكن أن يتحول بعقد شخصي بين الرجل والمرأة دون أي التزامات بالمستوى الذي تعارف عليه المجتمع . حتى أن رسول الله (ص) جاءته امرأة ذات يوم وطلبت منه أن يزوجها ، وعندما عرض الأمر على

المسلمين ، كان هناك شخص وافق على الاقتران بها ولكن لا يجد عنده أي شيء ، قال له : « أزوجّك إياها بما معك من القرآن » . . علمها فإن تعليمك القرآن لها هو مهرٌ يمكن أن يكون رمزاً لهذه العلاقة الزوجية .

وفي الوقت نفسه ، نلاحظ أن رسول الله (ص) لم يأخذ على هذه المرأة أنها طلبت من رسول الله أن يزوجها خلافاً للأوضاع التقليدية التي تمنع الفتاة أن تطلب من أهلها أن يزوجوها ، وإنما اعتبره طلباً طبيعياً كما لو أن الشاب طلب من أبيه أن يتزوج ، على أساس أن القضية من وجهة نظر الإسلام هي قضية شخصية جداً ليس لها أي طقوس وليس لها أي تقاليد وليس لها أي أوضاع .

وعندما يبسّط الإسلام القضية هذا التبسيط ولا يعطي الزواج تلك الهالة التي اعطيناها نحن لها ، وأصبحنا نعيش متاعب ما صنعناه نحن من عقد للحياة الزوجية ومن أوضاع معينة .

عندما نضع هذا التشريع ، تشريع حد الزاني وما إلى ذلك ، ونضع إلى جانبه الوسائل التي يشترطها الاسلام في إثبات هذا العمل ، نجد أنه تشريعٌ وقائي ، وليس تشريعاً منفصلاً عن جوه ، وإنما هو ينطلق من خلال الأجواء الطبيعية المعاشة . .

المشكلة في معالجات الحكام :

ونلاحظ في هذا المجال كثيراً من هذه المعالجات للتشريعات الاسلامية من خلال كثير من الذين يتحدثون عن الاسلام والمسلمين ، ولعل الذي شجع هذا الجو أننا وجدنا بعض الدول التي تقول عن نفسها انها إسلامية عندما تريد أن تمتص النقمة الموجودة لدى شعبها فتحاول

أن تقوم بما تسميه « الصرا   الإسلامية » فتحاول أن تصدر تشريعات بدون مناسبة وبدون أجواء في قطع يد السارق وفي رجم الزاني وغير ذلك كما نجده في باكستان أو بعض بلدان الخليج . . إنهم ينطلقون بهذه التشريعات دون أن يحلوا مشكلة الإنسان ودون أن يضعوها في الظرف المعين ، من أجل أن يعطوا دولهم أو أنظمتهم صفة إسلامية من خلال هذه التشريعات المفصولة عن جذورها ، ولكنهم في قضايا الحكم وفي قضايا العدالة الإجتماعية ، وفي قضايا توزيع الثروة ، وفي الخط السياسي الذي يتحركون فيه ، هذا شيء لا يتعرفون فيه على الاسلام لا من قريب ولا من بعيد .

ولعل هذا مما كان يشجع هذا الاتجاه في فهم الاسلام .

وفي بعض المفاهيم الشعبية :

وهكذا عندما نجد القضية تتحرك في إطار آخر ، فعندما يتحدثون عن الاسلام يتحدثون عنه من خلال الواقع الفكري الموجود لدى الكثيرين من المسلمين ، فيتحدثون عن الإسلام من خلال بعض أجواء الصوفية المنحرفة ، ويتحدثون عن الإسلام من خلال بعض الأجواء الشعبية المتخلفة التي تحمل أفكاراً غير إسلامية ولكنها تحسبها على الاسلام ليصوروا الاسلام بصورة الفكر المتخلف من خلال العقائد الشعبية التي حاول الشعب من خلال تخلفه أن يسبغ عليها صفة الاسلام ، ولكنها ليست إسلامية وإنما أنطلقت من جذور شعبية موضوعية من خلال تعايش هذا الشعب او ذاك مع الحضارات الاخرى أو مع الأمم الاخرى .

إننا نلاحظ أن هناك اتجاهاً لدراسة الإسلام من خلال طبيعة الواقع المتخلف الذي يعيشه المسلمون الذي لا يعتبر الاسلام مسؤولاً

عنه ، لأنه ليس مستمداً من الفكر الاسلامي والتشريع الاسلامي ، وإنما هو مستمدٌ من خلال أشياء أخرى وأسباب أخرى .

وعندما نتحرك في الاطار المعاصر الذي نواجه فيه نقداً للإسـلام من خلال التيارات الفكرية الحديثة ، التي فرضت نفسها على الساحة ، نجد هناك إسلوباً جديداً ووضعاً جـديداً ، وهو محاولة التقاط بعض السلبيات من التاريخ الاسلامي ، أو بعض السلبيات من الشخصيات الاسلامية ، أو بعض السلبيات من خلال الواقع الاسلامي والتركيـز عليها في سبيل التنديد بالاسلام والتشهير بالاسلام واعتباره ديناً رجعياً لا يرتبط بمصلحة الانسان من قريب ولا من بعيد .

وفي الاعلام العالمي :

وقد قرأت في كثير من المصادر الاساسية لبعض المصادر التي تعتبر مصادر أساسية للماركسية ، كدائرة المعارف السوفياتيـة انها تحاول أن تتحدث عن الاسلام بصورة مشوهة ، ثم تحاول أن تقول عن القرآن الكريم مثلاً : ان هذا الكتاب صنعه محمد (ص) ولكن ليس بكامله ، بل أنه صنع محمداً قسماً وصنع المسلمون من بعده قسماً آخر منه من دون أن يكون هناك أي بحث علمي ـ فيما رأينا ـ يحاول أن يدرس القصة على أساس المعطيات العلمية في هذا المجال .

وهكذا عندما يأتي عن محمد رسول الله (ص) سواء في المصادر الماركسية أو المصادر الرأسمالية ـ إذا صح التعبير ـ نجد هناك تشويهاً للصورة وليس هذا فحسب من خلال ما نعتقد من قداسة رسول الله ، بل تشويهاً للصورة من خلال عدم التركيز عـلى الصفات المـوضوعيـة والبحث الموضوعي للأشياء .

نحن لا نعتقد أن تقديسنا لرسول الله يمنعنـا من دراسة حيـاته

جيداً ، إننا نطلب من الآخرين أن يدرسوا حياة رسول الله كما كانت وكما انطلقت ، لا أن يحاولوا أن يدرسوا حياة رسول الله من خلال طريقة التفكير التي يفكرون بها ، ومن خلال منهج التفكير الذي ينطلقون فيه ، ويصدروا الأحكام بعد ذلك .

إن الحوار عندما يريد أن يتحرك في أية قضية وبين شخصين لا بد أن يتحرك من منهج مشترك بين الشخصين حتى يمكن لهما أن يقفا على أرض مشتركة ليصلا إلى القناعة المشتركة ، أما أن تكون القضية أن كل طرف يحاول أن يفترض افتراضات بعيدة عن الواقع الموضوعي ، ويحاول أن يدرس القضية من خلال افتراضاته ومنهجه ، فهذا ما لا يمكن أن يؤدي الى القناعة المشتركة والحوار المشترك في هذا المجال .

محاولات لدراسة التاريخ بطريقة خاطئة :

إننا نلاحظ أن هناك محاولة لدراسة التاريخ ، لا على أساس أن يؤخذ الواقع الموضوعي أساساً للدراسة ، بل على أساس أن نحمل التاريخ طريقتنا في التفكير ، بمعنى أن نخضع التاريخ لطريقتنا في التفكير ، ولا نحاول أن نخضع طريقتنا في التفكير للواقع الموضوعي الذي تتحرك فيه الأشياء على الطبيعة .

وقد وقع كثير من المفكرين في هذا الخطأ الكبير . فحاولوا أن يحملوا التاريخ غير ما يتحمل انطلاقاً من أنهم أعطوا العصمة لطريقتهم في التفكير ، ورأوا أن طريقتهم تمثل الحتمية الفكرية للفكر وللمنهج الفكري ، وإذن لا بد أن يخضع العالم كله للطريقة ، بينما هم يقولون إن التجربة هي أساس الفكر وإذا كانت التجربة هي أساس الفكر فليس هناك من وجهة نظرهم فكر حتمي وليس هناك فكر معصوم ما دامت التجربة تتغير ، وما دامت التجربة محكومة لظروفها ، وما دام

تفكير المفكر ـ من خلال وجهة نظرهم ـ محكوماً للظروف الموضوعية التي تحيط به وتؤثر في تفكيره .

الإسلام في مواجهة الإعلام الثقافي :

وهناك إتجاه أيضاً موجود في الساحة ، في مواجهة الاعلام الثقافي للاسلام وهو محاولة التركيز على الاسلام كدين غيبي ، دين يفسر الحياة بالغيب ويجعل كل ظاهرة اجتماعية واقتصادية وثقافية ، وكل ظاهرة كونية محكومة للغيب ، فهم يقولون إن الاسلام يلغي كل اتجاه لتركيز قانون السببية في الكون . . لا معنى لأن تفكر في الاسباب التي تنطلق منها الظواهر الكونية ،!! ولا معنى عندما تمر في حدث تاريخي أن تفكر في الجذور التاريخية لهذا الحدث ، أو في الظروف الموضوعية التي تحيط به ، أو عندما تفكر في قضية اقتصادية ، عندما يكون هناك فقر أو يكون هناك غنى ، عليك أن لا تفكر في أسبابه ، فكر إن الله أراد هذا . . ، هكذا أراد الله ، أراد الغنى لهذه الأمة والفقر لتلك او أراد الغنى لهذا الشخص والفقر لذاك وهكذا فسروا الاسلام أنه يقف ضد اي تفسير طبيعي لأية ظاهرة من ظواهر الكون ، ولكن عندما نقترب من الإسلام من خلال مصادره الأصيلة من خلال القرآن الذي يجمع المسلمون على أنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، نجد أن الاسلام يتحدث عن كثير من الظواهر الكونية والحياتية من خلال أسبابها في أكثر من آية . وليس هذا تفسيراً توفيقياً ـ كما يقول البعض أن المسلمين عندما حاصرتهم الاكتشافات العلمية ، وحاصرهم التقدم الفكري بدأوا يحاولون أن يوفقوا بين العلم وبين الدين ، وبين العقل والدين توفيقاً لم يوفقوا فيه !! ولكن القضية لا تحتاج الى فكر كبير من أجل ان نفهم قوله تعالى : **﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾** ، هذه الآية

التي تحاول أن تجد ربطاً عفوياً بين نتائج العمل وبين العمل ، انك عندما تتحرك في أي طريق وتواجه النتائج السلبية ، فالنتائج السلبية هي صنعك باعتبار أنك أنت الذي انطلقت في هذه المقدمات التي تؤدي الى هذه النتائج .

وهكذا عندما نجد قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ وغيرها من الآيات ومن الأحاديث ، ومن الواقع الفكري الذي عاشه المسلمون والذي استطاع المسلمون ـ من خلال اسلامهم ـ أن ينطلقوا في كل المجالات التي كانت متاحة لهم في ذلك التاريخ ، وقد قال قائل : ان الاسلام هو الذي نقل الاسلوب التجريبي العلمي الذي يعتبر التجربة أساساً من أسس المعرفة ، الى أوروبا من خلال المسلمين الذين كانوا موجودين في الاندلس .

إنهم يحاولون أن يقولوا ان الاسلام غيبي ، ويركزون على هذه الافكار ، وقد ينطلقون في هذا من بعض الأفكار المتخلفة المطروحة على الساحة الموجودة لدى بعض المسلمين سواء كانوا في مركز القاعدة أو كانوا في مركز التوجيه ، ولكن النصوص الاسلامية هي الحكم ، وهي تعبّر أن الاسلام يؤمن بالغيب كحقيقة ولكنه لا يعتبر الغيب عنصراً يشمل كل جوانب الحياة . بل يعتبر أن لله سنناً في كل ظاهرة من الظواهر وأن هذه السنن التي تمثل القوانين الطبيعية التي أودعها الله في الكون هي التي تحكم الكون وهي التي يتحرك الكون من خلالها .

هذا بعض من موقف الاعلام الثقافي من الاسلام ، وهذا تتمثل فيه كل الفئات التي تقف ضد الاسلام كعقيدة وكفكر وكدين وكأسلوب حياة .

الاعلام والواقع السياسي للمسلمين:

فإن انتقلنا بعد ذلك إلى الـواقع السيـاسي للمسلمين والـواقع الاجتمـاعي للمسلمين ، نجـد الاعلام يتخـذ موقفـاً سلبياً في أغلب مجالاته ، وعندما نتكلم عن الاعلام نضع في المقـدمة الاعـلام الذي يمارسه الاستعمار بالدرجة الأولى ، والاعـلام لدى الاستعمـار يتحرك كأسلوب من أساليب إيجاد الأرضية الصالحة من أجل أن يهيـىء لنفسه كل وسائل السيطرة على هذا البلد أو على ذاك لأن الاستعمار فهم من خلال تجربته الأولى عندما دخل البلاد الاسلامية أن الاسلام ما دام طاقة حية فاعلة في نفوس المسلمين فلن يستطيع أن يتحرك بالحرية التي يملك فيها الحركة ، وعلى هذا الاساس وضع الخطة من أجل أن يكون هناك إعلام متنوع حسب حاجة هذا البلد أو ذاك وحسب الظروف الموضوعية لهذا البلد أو ذاك .

الاعلام والافتراء على التاريخ :

فنجد أن هناك اسلوباً يمارسه هذا الاعلام يحاول أن يثير أمام الشعب كل السلبيات الموجودة في واقعه وفي تاريخه من أجل أن يفقده الثقة بنفسه ، فيحاول أن يصور كل التراث التاريخي ، ليتحدث بلغة السخرية أو الالغاء وغير ذلك . .

الفلسفة ، ليس هناك لدى المسلمين فلسفة ، وإنما هي الفلسفة اليونانية ترجمت الى اللغة العربية ، وليست هناك أي فلسفة إسلامية وليس هناك أي عطاء إسلامي للفلسفة . . !!

الثقافات التي عاشها المسلمون ، العلوم التي استطاع المسلمون أن يركزوها وأن يفتحوا أفكار العالم عليها من خلال بحوثهم ، هذه أشياء

كانت مسبوقة بتجارب سابقة وبأفكار سابقة ؟!.

الفتوحات التي انطلق فيها المسلمون ، وطريقتهم في حكم العالم ، هذه كلها فتوحات وحشية استعمارية بربرية ليس فيها أي شيء يمكن أن يمثل انسانية أو رحمة او ما إلى ذلك ؟!

وينطلق هذا الاتجاه في محاولة جعل المسلمين يخجلون بتاريخهم ، كما يحاولون أيضاً أن يجعلوهم يخجلون بواقعهم ، والأمة اذا انفصلت عن تاريخها وجذورها ، فمعنى ذلك أنها تتحرك في الحياة من دون قاعدة ، ومن دون تركيز وهذا ما يجعلها صالحة لأية صياغة ، من أية حضارة اخرى ومن أي أمة أخرى ، لأنك عندما تشعر أنك لا ترتبط بحضارة ولا ترتبط بتاريخ يحترم نفسه ، فمعنى ذلك أنك ستحاول أن ترتبط بتاريخ جديد ، وبحضارة جديدة تحترم نفسك وتحترم واقعك من خلالها .

هذا اسلوب درج عليه الكثيرون ، ولا نزال نجد نحن هنا ـ في لبنان ـ في كثير من المناهج ومن الكتب التي عالجت هذا الجو ، أو عالجت هذا التاريخ أن هناك كتباً كثيرة تتحرك في هذا الاتجاه .

ومحاولات تضخيم التاريخ !!:

وهناك اتجاه معاكس جداً لهذا الاتجاه وهو محاولة تضخيم التاريخ بالمستوى الذي يجعل الأمة تنام وتغفو على هدهدات التاريخ . .

انهم يحاولون أن يضخموا شخصية هذا التاريخ ويجعلوا الأمة تعيش دائماً مع التاريخ على أساس أن التاريخ هو الذي يمثل عظمتها وهو الذي يمثل قوتها في واقع لا تملك فيه القوة الآن ، وبذلك يمنعون الأمة عن عملية صنع القوة من جديد لأن هذه الأمة تظل مشدودة إلى

التاريخ والى قضايا التاريخ وتحاول أن تغطي واقعها بالتاريخ ، وتغطي طموحاتها بالتاريخ دون أن تتحرك خطوة واحدة من أجل صنع التاريخ الجديد . ومن خلال دراسة سلبيات التاريخ الى جانب إيجابيات التاريخ

هذا أيضاً أسلوب لا يزال الكثيرون يطرحونه لدى الشعوب الاسلامية التي تريد أن تصنع لنفسها تاريخاً جديداً وحياة جديدة

الاستعمار يركز مفهومه عن الدين في واقع المسلمين:

وهكذا انطلق الاستعمار في اطارات اخرى يحاول من خلالها أن يعطي الاسلام مفهومه عن الدين ، فنحن نعرف أن أوروبا عاشت مشكلة مع الدين ، أو مع الصيغة المطروحة للدين في ذلك الوقت . وعاشت افكاراً عن الصيغة المطروحة للدين آنذاك ، واعتبرت هذه الأفكار هي الحقائق الاساسية التي تحكم كل دين ، والتي يتحرك فيها كل تفكير ديني .

وعلى هذا جاءت الفكرة التي تقول إن الاسلام لا يتدخل في الحياة ، سواء كانت الحياة علماً ، فالإسلام هو نقيض العلم ، أو كانت الحياة سياسة فالاسلام لا يتدخل في السياسة ، أو كانت الحياة حكماً وتنظيماً للمجتمع ، فالإسلام مجرد طقوس وعبادات وأخلاقيات غائمة ، ولا شغل له بكل الحياة .

وانطلقت هذه الفكرة من خلال التوجيه الاستعماري الذي حاول أن يغلب الفكرة التي يحملها عن الدين ويضعها فيما يمثله الاسلام من أجل أن يمنع الاسلام من أن يتحرك في الحياة . لأن الاسلام عندما يتحرك في الحياة من خلال مفاهيمه ، ومن خلال قيمه ومن خلال

تشريعاته ، فإنه يمثل الخطر على الأطماع الاستعمارية باعتبار أنه سيعلق شعور الانسان المسلم باستقلاله وبعزته وبكرامته ، وبأنه هو الذي يجب أن يحكم الحياة ، وعمل بكل ما عنده من أجل تركيز هذه الفكرة . .

وتقبّل الكثيرون من المسلمين في عصور التخلف هذه الفكرة ، وذلك لأنهم مارسوا هذا الواقع في حياتهم ، وعندما جاء الاستعمار فلم يجدوا شيئاً غريباً وإنما وجدوا طرحاً يتمثل في ممارساتهم العملية .

مقولة الدين والسياسة !!:

وبهذا استطاع حكام المسلمين ، الذين وضعهم الاستعمار في مراكزهم من أجل أن يكونوا الواجهة التي يستطيع أن يختفي وراءها ، وتختفي مخططاته وراءها . . إذ تلقف هؤلاء الحكام هذه الفكرة وبدأوا من خلال ذلك يطرحون فكرة أنه لا يجوز أن يسيس الدين ولا يجوز أن يتحرك الدين في السياسة ، لعلماء الدين مساجدهم ، ولعلماء الدين أوضاعهم الخاصة التقليدية وليتركوا للآخرين أن ينظموا الحياة ، وليتركوا الآخرين ان يخططوا للحياة .

وبدأت هذه الفكرة تتحرك ، وبدأت تتحول الى عنصر ضاغط على كل صوت يريد أن يرتفع من أجل أن يواجه الاستعمار باسم الاسلام أو يواجه الظلم والطغيان باسم الاسلام ، على أساس أن علماء الدين ، أو أن كل من يحمل الصفة الدينية محكومون بالحرم السياسي أو بالحجر السياسي فهم مخلوقات لا بد لهم أن يعيشوا في اطار يبتعد عن الحياة ، ليعطوا البركة للناس ، ويعطوا النصائح التقليدية بشرط أن لا يكون لها عمق الروح وعمق المعنى ، تقليدية بأسلوبها وتقليدية بفكرها ، وتقليدية في أجوائها من أجل أن لا يتقدم الاسلام للحياة .

ولا نزال نواجه في واقعنا العملي الهجمة الكبيرة الشرسة ضد كل

صوت يرتفع للاسلام وعندما يكون الحاكم هو الخصم كيف تكون نتائج الدعوى وكيف تكون نتائج الاتهام ، إننا نجدها مزيداً من الاعدامات ، ولا نقول مزيداً من السجون ، لأن الوضع الذي نعيشه لا يتعامل مع السجون بل يتعامل مع الابادة بكل ما لكلمة الابادة من معنى .

هذا واقع بدأ من هناك وانتهى الى الواقع الذي لا نزال نمارسه ، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل القضايا . .

الاعلام وقضايا المسلمين

وعندما ننطلق في مجال آخر مع الاعلام المطروح في الساحة نجد كيف يتعامل الاعلام في الغرب بشكل أساسي ، وربما في الشرق أيضاً في أكثر من جانب ـ كيف يتعامل مع الواقع الذي يعيشه المسلمون وكيف يتعامل مع الجهاد الذي يمارسه المسلمون ضد الخطط الاستعمارية في هذا البلد أو ذاك .

يمكن ان نواجه أمامنا نموذجين :

ـ النموذج الأول : هو النموذج الايراني .

ـ والنموذج الثاني: هو النموذج الأفغاني .

وأحب أن أركز ، إننا لا نتحدث هنا من موقع شعارات تريد أن تثير الحرب ، ولكننا نريد أن نتحدث من موقع مواجهة موضوعية لهذا الواقع .

هذان النموذجان يتحركان في الساحة بحرارة ولا تزال مشاكلهما ، أو المشاكل التي تنطلق منهما تحكم الساحة السياسية في العالم على أي مستوى من المستويات .

الاعلام والنموذج الايراني :

اننا نواجه في النموذج الايراني أن الثورة الاسلامية في ايران عندما انطلقت كان الاعلام في الغرب يتخذ اسلوبين ، الاسلوب الذي يريد أن يعتبر هذه الثورة فرصة لتغيير الوجه الذي استهلك في إيران .

كان هناك اتجاه في الغرب يعتبر أن وجه الشاه قد استهلك وأنه لم يعد وجهاً نافعاً للاستعمار باعتبار أنه فقد الثقة الشعبية ، ولهذا كان يعتبر أن وجود تغيير في الوجه الحاكم في ايران يعتبر حلاً للمشكلة الاستعمارية في ايران .

ولهذا هللت كثير من وسائل الاعلام للثورة ، وبدأت كثير من وسائل الاعلام تتحدث عن ظلم الشاه وعن طغيان الشاه ، من أجل أن تبدأ الخطوة الأولى في احتواء الثورة على أساس ان الشرقيين يتعاملون بالعاطفة ، وبالمديح وبالثناء ، ويتعاملون بالشكليات ، لأنهم اعتادوا من بعض حكام المسلمين أن يعطوهم ما يشاؤون بشرط أن يهيئوا لهم بعض الأجواء التي ترضي مشاعرهم بالعظمة ، وترضي شعورهم بالأنانية ، وهكذا كانوا يعملون مع أي حاكم مسلم يزور أمريكا أو أوروبا . .

كانوا يتصورون أن الشرقيين ـ والسيد الخميني هو من الشرقيين أيضاً ـ ولا سيما أنه عالم دين وعلماء الدين يعيشون على أساليب المجاملة في المجتمع مع شعوبهم ، ويعيشون على اساس المجاملة مع الأغنياء ومع الطبقات على أساس الحفاظ على مواردهم المالية . . وكانوا يريدون أن يركبوا موجة الثورة ، ولهذا حاولوا أن يشيدوا بالثورة . .

وكان هناك أسلوب آخر تتخذه وسائل الاعلام في الغرب يتمثل بمقاومة الثورة ومواجهة الثورة ، إما انطلاقاً من شعور القائمين على

وسائل هذا الاعلام بقوة الثورة وحقيقتها وواقعيتها وأنها ليست انقلاباً عسكرياً كما يحدث في بلاد العالم الثالث ، وإنما هي ثورة حقيقية تنطلق من الجذور ، ولعل الجماعة التي كانت تقود هذا الاتجاه هي الصهيونية العالمية التي ظلت تقف مع نظام الشاه وضد الثورة الاسلامية ، منذ أن انطلقت وحتى الآن . . وسار الاعلام في هذا الاتجاه ، ونجحت الثورة ، وارتفعت حرارة الاعلام وبدأ الاعلام يشيد بالثورة ، وبدأ الحديث عن الاسلام يختلف حسب اختلاف الأجواء التي يراد له أن يتحرك فيها . .

وانطلقت الثورة وسقط نظام الشاه ، وشعروا أن هناك شيئاً جديداً يدور في الأفق وأنها ثورة بمعنى الثورة وليست مجرد تغيير انسان لمصلحة انسان آخر ، ورأوا أن يحاولوا ـ في البداية ـ المحاولة الأولى وهو أن يدفعوا كثيراً من الذين عاشوا في اطار الثقافة الغربية وحملوا طريقة الغرب في التفكير ، وطريقة الغرب في الحكم وفي تنظيم الحياة . . وكان لكل واحد من هؤلاء تنظيم سياسي معين ، وكان له في عصر الشاه تاريخ من الاضطهاد والسجون وما الى ذلك . .

وبدأت التنظيمات تتحرك في الساحة ، وبدأ الاعلام يركز على هذه التنظيمات الصغيرة التي لا تمثل شيئاً كبيراً في العمق الشعبي وفي الواقع الشعبي ، وبدأ الاستعمار يفكر بأن يعطي لهذه التنظيمات حجماً كبيراً ، ويحاول أن يحمل شعاراتها باعتبار أنها هي الشعارات التي يمكن أن تحمل إيران الى القرن العشرين والى واقع التقدم وتخلصها من واقع التخلف !!.

وبدأ في المقابل يتحرك في اتجاه تشويه الشعارات الموجودة في الثورة ، من خلال محاولة التركيز على كثير من الأوضاع التي لم تكن الثورة مسؤولة عنها ، كأوضاع البطالة أو الاقتصاد المنهار ، أو أوضاع

التخلف الثقافي والاجتماعي ، والسياسي ، بدأنا نقرأ في صحف الغرب أحاديث كثيرة عما صنعته الثورة في الشعب الايراني من دون أن يفسح المجال لدراسة موضوعية في هذا الاتجاه .

والواقع كما نعلم أن أية ثورة في العالم ، ما دامت تريد أن تركز قواعدها في مجتمعها ، انها لا تستطيع أن تحل المشكلة ، حتى لو تحولت الى الدولة لأن مشاكل الشعوب المتخلفة التي تنطلق من عشرات السنين أو من مئات السنين ، لا يمكن أن تحل في سنة أو سنتين .

إن معنى أن تغير الواقع ، أن تجعل الخطوات تبدأ في طريق تغيير هذا الواقع لمصلحة الأمة التي تحتاج بدورها الى ملايين الخطوات في سبيل ان تحل المشكلة .

لهذا ليس من الطبيعي أن تتحدث عن ثورة ناشئة ، تقف وحدها أمام التيارات الموجودة في العالم ، وتقف وحدها أمام الأطماع الاستعمارية الموجودة في العالم ، وأمام كثير من الأجواء المتخلفة والمضادة الموجودة في الداخل . . لا يمكن أن تنتظر منها أن تحل المشكلة في سنة او سنتين أو أكثر من ذلك . .

إثارة الجانب الانساني :

ومع ذلك أراد الاستعمار من خلال اعلامه ان يركز على هذه الجوانب السلبية التي لم تكن الثورة مسؤولة عنها . . ثم عمل بعد ذلك على ان يثير الجانب الانساني : حيث ان الثورة بدأت تعدم السياسيين السابقين وبدأت تعدم رجال الجيش السابقين . . وبدأ الاعلام يركز على أسلوب يلفت النظر ، وبدأت دوائر الاحصاء في الصحف تحاول أن تجعل لكل يوم رقماً جديداً في الاعدامات ، وهي لا تتحدث عن طبيعة

الاعدامات ، بل عن أنها كانت تتم بشكل عشوائي وبشكل ديكتاتوري . لأن طريقة القضاء التي مارستها الثورة الاسلامية في ايران ، ليست على الطريقة الغربية . أن تطرح القضية ويقف ممثل النيابة العامة ثم يقف محامي الدفاع ثم تنطلق القضايا وتؤجل المسألة بالوسائل التي ينطلق بها التشريع الغربي .

وبدأوا يقولون ان الحكم غير عادل ولكن اسلوب ممارسة العدالة في القضاء الاسلامي يختلف عن اسلوب ممارسة العدالة في القضاء الغربي . . الاسلام يقف ليقول ان الحدود تدرأ بالشبهات ، لو كان هناك حد ثابت بنسبة ٨٠٪ وكانت هناك شبهة بنسبة ٢٠٪ ، إن الحدود تدرأ بالشبهات ، ولكن للاسلام طريقته المباشرة ، إنه يتعامل بالبينات ، على أساس إثبات القضايا . . عندما تكون البينة واضحة بحيث تمثل الحقيقة الحاسمة ، فكيف يمكن أن يتوقف الحاكم المسلم ويؤجلها الى سنين وما إلى ذلك . .

مثلاً عندما يقال ان شخصاً عذب إنساناً ما في سجن حتى مات ، فيستدعى كل من له شهادة في هذا المجال ، ويدقق في شخصيات الشهود ، من حيث الايمان وغير ذلك ، ويدقق في افادات الشهود ، وعندما تكون القضية واضحة تماماً لتنفيذ مفروض في هذه الحالة ، فماذا ننتظر .

إنهم لم يحاولوا أن يدرسوا كل الأساليب التي كانت تتبع ، ولكنهم كانوا يحاولون أن يدرسوا الأرقام !! في هذا اليوم أعدم مئة شخص مثلاً . . ولكن من بين هؤلاء من قتل على أساس جرائم أخلاقية ، ومن قتل نتيجة اوضاع معينة تستحق القتل وهكذا . . إنهم يجمعون كل هؤلاء ويضيفونهم الى الرقم ولكنهم لا يحاولون أن يدرسوا في كل

الثـورات التي قامت في العـالم ، الثورات التقـدميـة في العـالم ، كم استطاعت تلك الثورات أن تقتل وكم استطاعت ان تعدم ، هناك قتل جماعي لا يخضع للاحصاءات ، وهناك إعدام أيضاً لا يمكن الآخرين من الاحصاء . .

لو أردنا أن نضع كل من اعدموا في اطار الثورة الاسلامية في ايران ، في مقابل التمرد في كردستان ، أو الذين أعدمتهم ، أنهم لا يساوون عشر أعشار من قتلوا في الثورة الفرنسية ، أو من قتلوا في الثورة الروسية ، أو من قتلوا في أي أنقلاب بسيط يراد منه تغيير حاكم . . ومع ذلك إن اجهزة الاعلام تقول عن هذه الدول وعن هؤلاء الحكام ، انهم تقدميون ومتحضرون ولكن خمسمـائة شخص . جـرحوا وقتلوا عشـرات الألوف من الشعب الايـراني المسلم ، هذا يمثـل الـوحشيـة والتخلف ، والأمة التي تريد أن تشرب دماء الشعب . !!

إنه اعلام موجه لمصلحة الخطط الاستعمارية ، وعندما يركزون على هذا الاعلام ينسجمون مع أنفسهم ، ولكن نحن الذين نواجه هذا الاعلام لا بد لنا أن ندرسه بموضوعية . لا أن ندرس القضية بحماس . لنعتبر أن الثورة الاسلامية في ايران معصومة عن الخطأ ، أو تعتبر قيادتها معصومة عن الخطأ ، إن قيادتها ليست معصومة عن الخطأ ، وهي ليست معصومة عن الخطأ ، وربما كانت قد أخطأت في بعض ما مارسته من أحكام ، كما يخطىء الكثيرون في العالم .

ولكن أن ندرسها بموضوعية من أجل أن نتعلم في مستقبلنا أن نواجه التخطيط الاعلامي المضاد لقضايانا في أي موقع بموضوعيـة لئلا نكون نحن الحربة التي يستعملها الاستعمار في ضرب أية أمة من الأمم تريد أن تقف في وجه مخططاتها .

القضية ليست قضية الثورة الاسلامية في ايران وقضية الاسلوب الاستعماري ، القضية هي قضية تركيبتنا الذهنية ، وقضية شخصيتنا ، المجتمع لا يتعامل في الحياة من خلال الاحداث الطارئة وانما يتعامل في الحياة من خلال طريقته في التفكير . .

إنما أريد أن أركز على ذلك لنغيّر طريقتنا في التفكير ، وأن نغيّر ذهنيتنا ومواجهتنا للقضايا وللواقع ، لأن كل هذا الحماس السلبي أو الايجابي سيزول ويبقى المستقبل يطالب كل أمة بأن تدرس حياتها بأمانة وصدق وموضوعية وأن لا تقع تحت تأثير المخططات المضادة لها .

الحرية السياسية:

وبعد ذلك طرح الاعلام الغربي مسألة الحرية ، ان الثورة الاسلامية تريد أن تحرم الشعب من الحرية ، كل الفئات السياسية قاومت واضطهدت فلماذا تريد الثورة الاسلامية أن تحتكر الدور لنفسها والحرية لنفسها ، ـ هكذا قالوا ـ وبدأ الحديث عن الديكتاتورية ، ديكتاتورية السيد الخميني !! وديكتاتورية الحكم في ايران . . !!

ولكن لا أريد أن أدخل في كثير من التحليل للقضية ، بل لننطلق في القضية انطلاقة ميدانية على الطبيعة ، دلوني على أي حكم عربي ـ لا نريد أن ندخل في العالم الثالث وفي غيره ـ يعطي الاتجاهات السياسية في داخله الحرية كما أعطت الثورة الاسلامية في ايران الحرية . الحزب الشيوعي مثلاً عمل وكانت له صحيفة ، وإذا كان هناك نوعٌ من الاضطهاد فإنما ينطلق من خلال الأوضاع الشعبية التي تجعل جماعة تقف ضد جماعة كما يحدث في أي بلدٍ آخر . . لا يحاول الحكم أن يصدر الحكم بالمنع ، وإنما الحكم يوجه والشعب يتحرك في اتجاه قناعاته التي قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية .

وكثير من الفئات تحركت ولا تزال تتحرك في الساحة ، دلوني أي نظام عربي تقدمي أو رجعي أو وسط بين هذا وذاك يملك فيه الانسان أن ينتقد رئيس الجمهورية بكل صراحة وبكل حرية ، ويملك فيه الحكم من داخله أن ينتقد رئيس الجمهورية ، كما حدث مثلاً في ايران من خلال الصحف ،؟!! إن الموظف في البلاد العربية لا يجرؤ أن ينتقد رئيس دائرته لأن ذلك يمكن أن يطرده من الوظيفة . . .

أية حرية هي التي نعيشها مقارنة بالحرية الموجودة في ايران التي لا تزال تعيش في اجواء الثورة ، التي يملك فيها قادة الثورة كل امكانيات الضغط ولكنهم لا يحركونها . .

ان طريقة النقد الاعلامي هذه تفتقد الى الموضوعية ، لا نقولها من موقع انتمائنا لهذه الثورة أو حماسنا نحوها ، ولكننا نقولها من موقع دراستنا للواقع . ونريد للعاملين في الاعلام أن يتحركوا على الطبيعة ويدرسوا القضية دراسة ميدانية دون ان يكون هناك أية خلفية تحاول أن تغير الواقع عن صورته الحقيقية .

النموذج الأفغاني :

الحركة الاسلامية في افغانستان ، نجد أن القضية تختلف معها ، فالاميركان الذين يتحدثون عن الثورة الاسلامية باحتقار ، نجدهم يباركون الاسلام في افغانستان لماذا ؟! لأن الاسلام الذي تطرحه فئة من الأنظمة أو من الناس لأن هذا الاسلام يمكن أن يفيد امريكا في صراعها مع الاتحاد السوفياتي .

هنا ! إسلام لا يراد له أن يعيش عمق القضايا الكبيرة في العالم ، ولكنه إسلام يراد تحريكه في اتجاه الانطلاقة الاميركية ضد الانطلاقة السوفياتية في صراعهم حول العالم .

وهكذا نجد الاتحاد السوفياتي الذي بارك الثورة الاسلامية في ايران ، ضد الشاه وضد الرجعية وضد الامبريالية ، يحاول في الوقت نفسه ان يتصرف تصرفاً مضاداً باعتبار أن قضية الشعوب لا بد أن تطرح من خلال ارادة الشعوب ـ كما يطرحونها ـ ان قضية ان يترك للشعوب مجال تقرير مصيرها هذه التي يتبناها الاتحاد السوفياتي يتعامل فيها مع القضية الافغانية تعاملاً عكسياً .

وهكذا نجد أن الاعلام يتحرك في اتجاهين مضادين ، في نفس الموقع لأن هذا البلد يمثل مصلحة لهذه الدولة ولهذا الاعلام وذاك البلد يمثل مصلحة لتلك الدولة ولذلك الاعلام .

وهكذا عندما نواجه موقف الاستعمار في مجالات كثيرة في العالم . . المجالات التي يتحرك فيها المسلمون لمواجهة قوى الظلم والطغيان في الداخل ، ولكن هذا الاستعمار يستفيد اقتصادياً في هذه الدولة ، وهذا الاستعمار يستفيد سياسياً في تلك الدولة ، وعلى هذا الأساس يضع هذا حمايته لهذه الدولة . . ويحاول أن يمهد للاعلام سبيلاً لتشويه اية ثورة تنطلق من الداخل ، ولتشويه وتزييف الواقع الذي يعيشه هذا الحاكم أو ذاك .

وما نريد أن نواجهه في هذا الواقع ليس موقف البكاء وليس موقف الاشفاق على واقعنا ، وليس موقف الناس الذين يريدون أن يقفوا لينظموا القصائد التي يهجون فيها الاستعمار ، أو الكلمات التي يشتمون فيها الاستعمار ، لأن كل هذه الاساليب ، اسلوب البكاء على ضعفنا وقوة الطرف الآخر اسلوب المهاجمات الانفعالية ، والسباب والشتائم ، هذا الاسلوب لن يفيد شيئاً فيما نريده ، إنه سيحاول أن يفجر الثورة في نفوسنا الى كلمات سباب وشتائم لا تحل المشكلة .

إن اتجاه حل المشكلة هو أن نحرك القضايا على أساس سياسة النفس الطويل ، وهو أن الاستعمار سيظل يزيف الحقيقة ، وأن كل الأنظمة المقاومة معه ستظل تزيف الحقيقة ، وأن بإمكاننا مع ذلك أن ننفذ الى داخل البلدان التي يسيطر عليها الاستعمار لننشىء بحسب ما عندنا من طاقة وقوة مؤسسات اعلامية ، سواء كانت على مستوى الصحف او الراديو أو التلفزيون أو غيرها . . تحاول أن تخاطب تلك الشعوب بلغتها وعقليتها وبطريقة فهمها للأشياء ، وتخاطبها من خلال نقاط الضعف والقوة التي تعيش فيها .

إن علينا ان ننطلق في هذا الخط لنكون رأياً عاماً ضاغطاً لمصلحة قضايانا حتى نستطيع من خلال هذا الرأي العام أن نخفف ولو شيئاً قليلاً من هذه الحرب الشرسة .

اما الحديث عن الامكانات ، والوسائل ، والاساليب فإن الشعوب لا تعدم طريقاً وأسلوباً يمكّنها من الوصول الى النتائج المرجوة ، ونحن نعرف أن هنالك كثيراً من الناس يعرفون أموالهم وطاقاتهم بغير معنى ، وبإمكاننا أن نوجه هذه الطاقات لان تتحرك في هذا الاتجاه الذي يدعّم الموقف من الناحية الاعلامية التوجيهية .

جيل من الإعلاميين :

ولا بد لنا في الاتجاه الآخر ، أن نعمل بكل ما عندنا من قوة لنخرج جيلاً من الاعلاميين ، الذين يعيشون اخلاقية الاعلام من خلال شعورهم بالمسؤولية ، وأن يتحركوا في هذا الاتجاه من خلال مبادئهم ، لأن هناك الاعلام كمهنة وهناك الاعلام كرسالة ، إن الاعلام كمهنة ينطلق كأية مسألة يراد منها الربح . . وينطلق هؤلاء الذين يفهمون الاعلام كمهنة ليبيعوا الكلمة والصورة والصوت لأن القضية قضية مهنة

والمهنة تتعامل مع السوق ومع الحاضر ولا تتعامل مع المستقبل .

ونحن نجد ملامح المهنة هنا في لبنان ، البلد الوحيد في العالم العربي الذي يملك حرية صحفية إننا نجد أن الحرية التي تملكها الصحافة في لبنان هي حرية تحكمها الأنظمة وتملكها الأنظمة من خلال المال الذي تمول به الصحف ، ومن خلال التفجيرات والتهديد الذي يوجه الى الصحف .

لهذا فنحن لا نجد في كل وسائل الاعلام الموجودة على الساحة اللبنانية ـ بشكل عام ـ تحليلاً موضوعياً في أغلب الحالات ، ولا نجد أجهزة اعلام تنطلق لتواجه الواقع الذي يعيشه العالم العربي بحرية وإنما تحاول أن تقفز على سياسة هذا النظام لمصلحة ذلك النظام ، والعكس بالعكس ، لأن هذا النظام يمولها وذاك يهددها ، ويشتري بعض أشخاصها .

وقد استطاع هذا الواقع ان يخمد كثيراً من الأحداث الحرة في عالمنا هذا ، وأن يجعل من الأنظمة مسلطة تسليطاً اعلامياً الى جانب التسلط بالقوة في الداخل . .

إن علينا أن نحدد هل نحن نتحرك بوحي المهنة أو بوحي الرسالة ، إننا اذا ظللنا نبيع مستقبلنا ، ونبيع كلماتنا ، وفكرنا ، وتحليلنا للواقع ، وطاقاتنا فسنظل نحن في السوق يمكن أن يبيعنا الذين يشترون اذا دفع هناك ثمن أكثر . إنك عندما تبيع كلمتك لمن يشتريها فسيأتي من يبيع كلمتك لانسان آخر ، ربما يتحول الى عنصر من عناصر إبادتك وإبادة المجتمع كله من حولك .

قد تكون ساحة العمل الرسالي صعبة ومكلفة ومؤدية للاستشهاد في اكثر من موقع ولكن ماذا نفعل اذا كان المستقبل لا يأتي إلا على يد

الرساليين ، هل نقـول للمستقبل ان عليـك ان تظل امتـداداً للواقع الحاضر السيء ، أو نقول للمستقبل أن عليك أن تتغير بمستقبل أكثر اشراقاً . .

ان المستقبل ينتظر الذين يجوعون من أجل أن يشبـع الناس ، والذين يهددون حياتهم ليأمن الناس وينتظر الذين يطلقون كلمة الحق ليتحرك الحق في المستقبل من خلال الحاضر .

ان المستقبل في الانتظار فهـل نكون نحن الخـطوات الأولى في الطريق نحو المستقبل ؟!!

الانسان بين التربية الطائفية والتربية الرسالية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين .

ربما كانت كثير من الموضوعات التي يعيش الناس كثيراً من علامات الاستفهام امامها بحاجة الى اكثر مما نمارسه في مواجهتها،لأننا فيما يبدو نتحرك أمام المشاكل الفكرية التي تصدم واقعنا أو تطبعه بطابع معين بطريقة انفعالية ، أن تـواجه المشكلة لتحكم على المشكلة ، ولتصدر الحكم بالجريمة عليها دون أن تفسح المجال للذين يتبنون ذلك أن يحركوا فكرهم في اتجاه أن يصدم فكرك أو يحرك فكرك . .

الهدوء في مواجهة القضايا:

ما نريده ، ولو على مستوى الاحلام ، هو أن نواجه قضايـانا بعقلية هادئة تحاول أن تفهَم قبل أن تحاول أن تُفهِم . لأن مشكلتنا أن الكثيرين منا يتهمون الآخرين بسوء الفهم ، ولهذا ينطلقون من الايحاء

(١) محاضرة ألقيت في كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ الفرع الأول ـ بتاريخ ٢٧ / ٧ / ١٩٨٤ .

لانفسهم بالعبقرية الكبيرة التي تعلّم الآخرين .

ربما كان علينا أن نوحي لأنفسنا بأن الانسان لن يستطيع أن يعلم حتى يتعلم ـ ربما في بعض الحالات ـ ممن يعلمه .

هذا الموضوع : « الانسان بين التربية الطائفية والتربية الرسالية » ينطلق من حالة واقعية ، لا تتحرك في لبنان فحسب ، ربما كانت تتحرك في لبنان على أساس سياسي يطبع النظام بطابعه ، ولكنها تتحرك على أساس المنطقة كلها ، وربما على مستوى العالم الثالث ، وقد نقترب فنجد لها بعض المظاهر فيما يسمونه العالم المتقدم .

وربما كانت قيمة هذه المسألة أنها أصبحت تتحرك لتتداخل فيها المسائل الفكرية مع المسألة السياسية والاجتماعية فعندما تريد أن تحركها في الساحة فقد تجد نفسك مدفوعاً بشكل ربما لا شعوري يجعلك تواجه الموقف الحاد ليكون موقفك حاداً ، لأنها في مشاكلها التي تتناول الاحساس والشعور ، وفي مشاكلها التي تتناول خطواتك في الحياة ، ربما تجعلك تصرخ في بعض الحالات من دون ان تنتبه الى معنى صراخك ، وعندما يبدأ الصراخ ينعزل الفكر ناحيةً . .

لهذا ، من الصعب أن تلامس هذه القضايا لتكون حيادياً في ملامستها ، ربما تجرب ولكن أن تنجح في التجربة ذلك هو السؤال الكبير . .

تعريف الطائفية :

الطائفية تبدأ رسالة ، الطائفية هي في نتاجها الاجتماعي والسياسي حالة بشرية اجتماعية ، هي حالة في المجتمع يشعر فيها المجتمع بالتكتل الذي ينطلق في البداية من موقع فكر ، ويتحرك في

بدايات الدعوة وفي بدايات الحركة الأولى من أفق واسع ، ثم يبدأ ليتحول تقليدياً في فهم الفكرة ، وتقليدياً في ممارسة الفكرة في الواقع ، وتقليدياً في العلاقات الاجتماعية التي تحكم كل هؤلاء الذين يتحركون مع الفكرة .

وهكذا يبدأ القوم ، أو تبدأ الطائفة التي هي تكتل بشري حول فكرة ، يجتمع حول فكرة ، ويلتقي حول فكرة من موقع الفكرة فتعطيه الفكرة قوة الدفع ، وتعطيه الفكرة صلابة الاطار ، ثم بعد ذلك تهرب الفكرة ليبقى الاطار يحتضن كثيراً من الحالات الذاتية التي كانت في خدمة الفكرة فأصبحت في خدمة الاطار .

الطائفية تتحول لحالة غرائزية

وبهذا فالطائفية اطار يعتبر الفكرة واجهة ولكن الذات هي التي تمثل الصورة التي تحكم الاطار او التي تعيش في داخل الاطار .

ولهذا فإن الطائفية قد تلتقي مع الفكرة المضادة لتحتضنها ، على أساس أن الفكرة كانت تمثل تاريخاً في البداية ، والفكرة المضادة إنما تواجه ذلك التاريخ ولكنها تغني ـ من خلال ذاتيات هؤلاء الناس الذين يمثلون الفكرة المضادة ـ تجربة الطائفة ، وتغني زهو الطائفة ، وهكذا نجد أن الطائفة تحتضن مختلف الأفكار لتكون معرضاً لكل الأفكار ، معرضاً يلامس السطح ولكنه لا ينفذ الى العمق ليحولها الى فكرٍ جديد .

ولهذا فالطائفية تتحول الى أن تكون حالة إنسانية غرائزية تجمع كل ما في الذات من السلبيات ، ومن ايجابيات . الذات التي اعطاها التاريخ نقطة الابتداء ولكنها تحركت في مسارٍ آخر مع تحفظ على زهو البداية فقط .

الرسالة انتماء من خلال الفكر :

أما الرسالة ، فهي فكر كما هو الفكر وخطٌ كما هو الخط ، وانفتاح على الحياة من موقع الانتماء ، الرسالة ليست شيئـاً يتجاوز إنتماءك ، الرسالة شيءٌ يحاول أن يجسد انتماءك ، ويحقق انتماءك قضية توسّع أفقك وتوسع مجال حياتك . . فأنت عندما تفكر تشعر أن من واجبـك ومن مسؤوليتك أن تجعـل حياتـك صورة لانتمـائـك ، لانتمائك الفكري ولانتمائك الذي يمثل قضية أو مبدأً دينياً أو أي شيء من هذه القضايا التي تمثل الفكر . .

لهذا أن تكون رسالياً ليس معنى ذلك أن تكون مائعاً مع الأفكار التي تعيش حولك ، أن تؤكد فكرك ولكن أن تشعر أن تأكيد فكرك لا يتحقق الا من خلال تأكيد فكر الآخرين ، لماذا ؟؟ لأن فكرك انما يمكن أن يتركز في الحياة اذا استطاع أن يواجه فكر الآخرين من موقع اعطاء فكر الآخرين الحرية في أن يناقش هذا الفكر ليكون هناك فكر يناقش الفكر وعلم يناقش العلم ، لتفرض فكرك على الحياة من خلال انه الذي ربح معركة الفكر ، وربح قضية الفكر . . وبذلـك يتعمق فكرك في حياة الناس وهـو يؤكد نفسـه دون أن يخاف من فكـر الآخرين .

الطائفية خوف دائم والرسالة طمأنينة دائمة ، الطائفية عشائرية ، لما بيّنا هي شيء في عمق الذات . . أنت عندما تكون طائفياً مسلماً أو طائفياً مسيحيّاً ، إن الإسلام لا يعني لـك شيئاً بـل ربّما تنقص الإسلام ، تهاجمه ، تسخر منه ، تهزأ منه . . ربّما تهاجم المسيحيّة ، تضحك منها ، تعتبرها شيئاً خارج نطاق الفكر الذي يحترم الانسان فيه

نفسه ، ومع ذلك أنت تؤكد مسيحيتك لأن مسيحيتك ليست هي المسيح وليست هي الانجيل ، مسيحيتك ، المسيح يقف امامها مصلوباً ، فكره لا ينفتح ، فكره مصلوب وروحيته مصلوبة ، وكل انطلاقاته مصلوبة ، يراد للمسيح أن يتجمَّد على الصليب ولا يخطو خطوة واحدة الى حياة الناس .. وهكذا أنت عندما تريد أن تكون طائفياً مسلماً انك بذلك تجعل محمداً شخصية يسجنها التاريخ ، هو عظيم كبير نبيٌّ ولكن بشرط أن لا يأتي إلينا .. نبي في التاريخ نزهو به ، نعطيه الصلوات نعطيه كل شيء من التكريم ، نؤلّف فيه الكتب ولكن بشرط أن لا يخطو خطوة واحدة من أجل أن يأخذ امتيازاً سياسياً في الواقع أو أن يأخذ امتيازاً فكريّاً في الواقع .

لهذا أن تكون طائفياً أن تشعر أن هناك عشيرة اسمها المسيحيّة وأن هناك عشيرة اسمها الاسلام ، تماماً كما تتجمع العشيرة أمام الشخصيّة الكبيرة التي يرتقي إليها النسب فكذلك تتجمع الطائفة أمام الشخصية المقدّسة التي يرتفع إليها الانتماء ، انتماء النسب الآباء والأجداد الذين يشيرون إلى الأحفاد أن يحافظوا على الاطار ، ذلك هو ما نواجهه عندما نريد أن نضع الطائفية في نطاقها ونضع الرسالية في نطاقها .

وربما نعيش الآن مثل هذه الحالة بشكل عميق جداً لأن الطائفية أصبحت تواجه في المجتمع وضعاً سياسياً ضاغطاً ، لا يتحرك في الداخل من خلال علاقات الداخل ، ولكنها أصبحت تمثل وضعاً سياسياً ضاغطاً يتحرك في الداخل من خلال حركة العلاقات الخارجية .

وبهذا أصبحت الطائفية شيئاً يشكل خطورة المصير في حياتنا

وفي واقعنا . لهذا لا بد من مواجهتها بهدوء ولكن بقوة .

ماذا يمثل التاريخ بالنسبة إلينا:

لا نريد أن نستغرق في المفاهيم ، ولكن نريد أن نوجه الى أنفسنا سؤالاً ونحن نعيش هذه التربية التي تتحرك في حياتنا ، ماذا يمثل تاريخ الطائفة بالنسبة إلينا ؟ نريد أن نمسك القضية من وسطها لا من بدايتها ، من خلال انسان لا من خلال الطريقة المنهجية في معالجة القضايا ؟ لأننا نريد أن نواجهها من خلال الواقع ، لا من خلال التحليل الفكري المجرد ، والسبب أن القضية ليست مشكلة فكرية بمعنى أن الطائفيين عندما تحدثهم عن المعنى الطائفي يحدثونك عن الرسالة في الطائفة ، وكأنهم بذلك يعتذرون سلفاً عن كل ما تحمله الطائفة من سلبيات في أفكارهم وفي حياتهم .

وفي هذا الجو ، إذن ليست القضية أن نثبت أن اتجاه الطائفية أفضل أو أن اتجاه الرسالية أفضل ، لأن القضية في تفكير الطائفيين تحاول أن تأخذ معنى الرسالة ، ونحن في موقفنا هذا نحاول أن نضع بعض العلامات على الطريق ، لئلا تلتبس الخطوات ولئلا ترتبك الرؤية .

نريد لكل الناس الذين ينتمون طائفياً أن يعلنوا أمام أنفسهم قبل الآخرين ماذا يمثل التاريخ بالنسبة إلينا ، عندما يثار اسم القرآن أو إسم الانجيل ، وحتى إسم التوراة وهو قضية غير مطروحة في ساحتنا الآن على مستوى مجتمعنا . . وبالتالي ماذا يمثل اسم النبي محمد (ص) ، واسم السيد المسيح (ع) . ماذا يمثلان بالنسبة إلينا ؟ . . نشعر أننا في حركتنا التربوية نحتاج أن نعمق الاحساس بالرموز التي تتخذ لنفسها الواجهة في تفكيرنا وفي شخصيتنا وفي حياتنا ، أن

نحركها في أنفسنا لنناقش ما معنى القرآن، وما معنى الانجيل ، وما معنى محمد (ص) ، وما معنى المسيح (ع) .

الازدواجية بين الفكر والممارسة:

في هذا المجال عندما نواجه الجواب ، بعض الناس قد يواجه هذه الاسماء مواجهة من خلال واقع التاريخ ، بمعنى أنها لا تمثل شيئاً بالنسبة إليه فيما يمثله الفكر وفيما تمثله الحياة . قد يعتبر شيئاً يزهو به ، ولكن لا يمثل له شيئاً في هذا المجال .

في هذا الاتجاه نتوقف أمام هؤلاء الذين لا يمثل هذا الرمز أي شيء بالنسبة اليهم ، لنناقشهم ان كان هناك مجال للنقاش ، أو إذا لم يكن هناك مجال للنقاش ، لنقتحم عليهم انسانيتهم فنبين لهم زيف هذا الانتماء في مجالهم الانساني الذي يعيشون فيه .

الانسان لا يعيش حياته مرتين ، الزيف ليس حالة انسانية يحترم فيها الانسان نفسه ، اذا كنت لا تؤمن بما هو القرآن أو بما هو الإنجيل ، أو بما هو محمد (ص) أو بما هو المسيح (ع) ، حاول أن تصارح نفسك وتصارح الآخرين ، أن لا تعيش الزيف أن لا تختبىء خلف أي قناع وخلف أي عنوان ، لأنك بذلك تربك نفسك وتربك الحياة من حولك وتناقض نفسك .

بعض الناس ، ـ وهذه ظاهرة ـ يعيشون فكر الالحاد ، ملحدون بكل ما للالحاد من معنى يفلسفون الالحاد ، يسخرون من كل شيء اسمه الدين فكراً وشريعة ويتضاحكون ، عندما يتحدثون عن الطقوس ، ولكنهم عندما يتحركون في الواقع يتعصبون للطقوس اكثر مما يتعصب لها المتدين .

فكر لو أن شيخاً امتنع عن أن يعقد عقد زواج لبعض هؤلاء؟ ماذا

كون النتيجة ؟!.

ما معنى أن تكون ملحداً وتواجه مثل هذه الشكليات الشرعية ؟.

لو امتنع شيخ ما عن أن يصلي على جنازة ، ما معنى أن تعتبر لمسجد شيئاً لا معنى له ، والكنيسة شيئاً لا معنى له ، ولا بد أن يقام حتفالك الجنائزي في المسجد أو في الكنيسة؟!.

طائفياً تتزوج ، وطائفياً تموت ، ولكنك في الوقت نفسه ترفع راية الالحاد في العالم .

هذا شيء معناه أن الانسان يعيش الارباك في حياته وفي حياة الآخرين ، ومعناه أنه لا يحترم انتماءه ؟!. معناه أنه يعيش حياةً من خلال إنتماءات يحتقرها . .

هل نفهم من ذلك أن الرواسب أعمق من الفكر ، وأن الانسان لا يزال يعيش ينابيع الايمان في الوقت الذي يتحرك فيه بخط الفكر الالحادي ؟!.

ربما يفهم بعض الناس ذلك ولكن هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً أن هذا الانسان هو طائفي في الموقع الذي يحتقر فيه الفكر الذي انطلقت منه الطائفة .

الطائفية تعني مثل هذا .

نريد أن نثير في هذا الانسان كل فكره ولن نتعقد . ربما كان بعض الناس يرتاح . الطائفيـون أو بعض الناس السـاذجين ، الذين يفكرون في أن يجمعوا الناس حولهم يقبل أن يدخل انسان في دائرته وإن لم يكن يحمل فكره ، ولكننا نقول ان مثل هذا يجعل الطائفية حالة جذرية في حياة المجتمع ، ونحن نريد أن نطردها من حياتنا ونقول :

للانسان الملحد قف مع الحادك وناقش الايمان من موقع فكر إذا كنت تحترم فكرك في هذا المجال . نقول له اننا نحترمك عندما نقول لك انك لست بمسلم ولست بمسيحي ، نحن نحترمك ، لا نسبك لاننا نحترم قرارك في أنك لست مسلماً ولست مسيحياً ، نحن نحترم قرارك ولسنا في مجال أن نسبك أو نشتمك ، انت تحتقر نفسك وتحتقر قرارك عندما تؤكد لنفسك صفة الاسلام أو صفة المسيحية وأنت لا تؤمن بالاسلام والمسيحية ، نحن نريد أن نوحي لهؤلاء الناس بأن يتحرروا من ضغط الواقع ليواجهوا الحقيقة من خلال فكرهم ومن خلال تثبيت فكرهم على الأرض .

مع الأنبياء في مسيرتهم :

أما مع الذين يعيشون عاطفة الرمز أو يعيشون عقيدة الرمز : القرآن ، محمد ، الانجيل ، المسيح ، كل هذه . . . نحاول أن نثير أمامهم فكر كل هذه الرموز . محمد (ص) في شخصيته الرسالية فيما تمثله كل شخصيته من امتداد الانسان في الحياة .

المسيح كذلك في كل شخصيته الروحية التي تتحرك في الحياة . ننقذ المسيح من خشبة الصلب لنجعله إنساناً يتحرك معنا في الحياة ، يعيش معنا عندما نعيش حياتنا العائلية ويعيش معنا عندما نعيش حياتنا الاجتماعية معه انساناً مستضعفاً عادياً يعيش فكراً ، ويعيش روحاً نجعله انساناً يختلط بنا . . ويعيش في داخل مجتمعاتنا لنشاهده . . نشاهده في الصالون ، ونشاهده في غرفة النوم ، ونشاهده في المجتمع ، ونشاهده في كل النوادي التي نعيش فيها ، نشاهده ونحدق به كيف يتحرك وكيف يمارس بساطة الحياة وعفوية الحياة من خلال قيمها .

مشكلتنا الكبيرة أننا جعلنا الأنبياء يعيشون في الابراج العاجية ونحن نتطلع إليهم تماماً كما يتطلع الانسان الى الكـواكب والنجوم ليتغزل بها شعراً اذا كان شاعراً وليكتب فيها قطعةً فنية اذا كان انساناً ناثراً ، أو ليعيش الأجواء العاطفية الضبابية إذا كان انساناً يحب أن يعيش في الليالي ضوء القمر وحياة الخدر .

مشكلتنا أننا جعلنا الأنبياء يعيشون في الأبراج العاجية وقلنا ان الانسان لا يستطيع ان يصل اليهم ، ولذا كف الأنبياء عن أن يضعوا لنا قيمهم في حياتنا لأن قيمهم أصبحت قيم النخبة وقيم النخبة لا يمكن أن تقترب من المستضعفين . .

وهكذا نفعل ، نجعل محمداً (ص) الذي كان يعيش بساطة الحياة بين اصحابه ، والذي كان يتوقف أمام امرأة أخذت بهيبته ليقول لها : « لا عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القـديد » . لنجعـل محمداً بسيطاً بساطة الانسان الطيب في الحياة ، أن لا نمكن كل الملوك ، وكل الرؤساء ، وكل الأغنياء الكبار الذين يمتصون دماء الناس أن يحتفلوا بمحمد ، لأن محمداً هذا الذي يحتفلون به ليس هو محمدنا ، محمدٌ لا ينطلق في بلاطات الملوك والرؤساء والأمراء ، ولا يمكن أن يدخل في أجواء البروتوكول الـرسمي ، وإنما يعيش مـع المستضعفين والطيبين .

إنا علينا في مجال التربية الرسالية ان لا نسجن محمـداً في المواليد بالطريقة التقليدية ، ولا نسكنه في كل هذا اللغو الفارغ الذي ينطلق فيه المتصوفون في حالات هزّة شعورية عاطفية لا تعني شيئاً .

محمد الذي يـأكل ويمشي في الأسـواق ويعيش مع الانسـان ويتكلم بلغة بسيطة ، هذا هو محمد الرسول القدوة الذي دعانا الله ان

نعمل بسيرته ﴿ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ﴾ .

من خلال ذلك يمكن لنا أن نعيش مع محمد ومع المسيح وسنكتشف بعد ذلك من خلال هذا الجو الرسالي : محمدٌ الانسان النبي والمسيح الانسان النبي عندما نجعلهما يعيشان معنا سنكتشف على الطبيعة أنهما ليسا مختلفين ، وسنكتشف على الطبيعة أن أخلاقهما واحدة أو متقاربة .

إذا كان هناك خلاف فهو خلاف المرحلة ، أو خلاف الجو أو خلاف الزمان ، أي شيء كان مما تختلف فيه الخصوصيات . .

يمكننا من خلال ذلك أن نكتشف وحدة الأرض التي يقف عليها محمدٌ والمسيح وبذلك ـ إذا اكتشفنا ذلك ـ يمكننا عندما نصل الى مفترق الطرق أن نعرف كيف نستطيع أن نعمل على توحيد الطريق لنعرف أن افتراق الطرق إنما كان من خلال أوضاع معينة تعيش في الزمان والمكان ، وإلا فالطريق واحد يمثل بعضه مرحلة ، ويمثل بعضه الامتداد الآخر للمرحلة الأخيرة .

التربية الرسالية من خلال القرآن والانجيل :

وعندما نريد أن ننطلق أيضاً في الحياة على أساس أن نستحضر الانجيل والقرآن ، علينا أن نكف عن هذا الاسلوب الذي يعتبر القرآن كتاباً للبركة ، ويعتبر الانجيل كتاباً للبركة ، أو يعتبر القرآن طابعاً للشخصية أن يوضع في الصدر أو يوضع الصليب في الصدر ، أو ما الى ذلك . . أن يتفاءل المتفائلون في القرآن . . ليس شغل القرآن هذا وليس شغل الانجيل ذاك ، أن نخرج القرآن من غلافه ومن كل ما اعتمده فنيو التجليد والتذهيب والزخرفة ، نحن لا نريد للقرآن أن

يدخل هيكل الفن ، ليس للقرآن شغل بأي جو فني يراد من خلاله أن يعيش القرآن كقطعة فنية من خلال حروفه أو من خلال زخرفته أو من خلال أي شيء فيه . .

لنحرك القرآن كما أراده الله في حياتنا ، كلمات بسيطة لا تعقيد فيها ولنرفض كل لون من ألوان تعقيد القرآن واعتبار القرآن رمزاً تعيش فيه أسرار الكون كله . وأن نعتبر القرآن كتاباً تختبىء فيه هذه الفرقة وتلك الفرقة ، القرآن كان يخاطب أناساً مثلنا لم يدخلوا الجامعات ولم يقرأوا الفلسفات ، كان القرآن يتجه الى فكرهم وإلى قلوبهم وإلى حياتهم من موقعٍ واحد ، الفكر فيه يمتزج بالعاطفة ، والعاطفة تمتزج بالحياة . ليس هناك جانب فكري ينعزل عن الجانب العاطفي ، وليس هناك جانبٌ نظريٌ ينعزل عن الجانب العملي ولهذا تجد أسلوب القرآن هو الاسلوب الذي تتداخل فيه كل العناصر المؤثرة في شخصية الانسان بكل بساطة وبكل عفوية .

ربما كان لنا أن نثير التربية في هذا المجال لنجعل الانسان يقرأ القرآن بكل بساطة وبكل عفوية وليجد في القرآن حياته . كما أننا نواجه الآخرين أن يقرأوا الانجيل حتى وإن كنا نناقش الانجيل في بعض مضامينه لاننا قد نعتبر أنه قد سقط منه شيء أو زيد فيه شيء ولكن الانجيل في أكثره يمثل القيمة التي جاء بها السيد المسيح (ع) لنحرك الانجيل ونبعث فيه الحياة .

من خلال ذلك ـ ولسنا في مجال الافاضة في هذا المجال ـ نستطيع أن نخرج المسيحي ونخرج المسلم من علبة الطائفية التي يختنق بها ليشعر أن المسيحية تمثل له شيئاً ، وأن الاسلام يمثل له شيئاً ، وأن المسيحية بالنسبة إليه لا تمثل نسباً وتاريخاً بقدر ما تمثل

فكراً وخط حياة وكذلك الاسلام لا يمثل بالنسبة إليه تاريخاً ونسباً بل يمثل خط فكرٍ وحياة .

لو استطعنا أن نعيش مثل هذا الجو لاستطعنا أن نحرك في هذا الانسان فكره ، وأن نحرك في هذا الانسان قيمه ، وان نجعله يتطلع الى الواقع من موقع القيمة لا من موقع الاطار ، ومن موقع الصورة الحقيقية لا من موقع الاطار .

اثارة القيم في الثقافة العامة :

ربما أمكننا أن نجر هذا الانسان الى الرسالية تدريجياً بعد أن اختنق في أجواء الطائفية وبعد أن ابتعد عن الرسالة وعن الفكر الذي يحكم الرسالة . ولا بد أن نثير هذا كخط عام في ثقافتنا العامة سواء كانت ثقافة مسجدية ، أو كانت ثقافة معبدية ، أو كانت ثقافة في الاطار العام الذي يعيش في النوادي وفي غيرها .

أن نعيد الانسان الى قيمه لنربطه بالحياة ولنربطه بالعلاقات من خلال هذه القيم . واعتقد أن هذا سيكون خطوة متقدمة في طريق تحريك الانسان من الجمود ولست أتفاءل كثيراً أن هذا ربما ينقذه رأساً من ذلك لأن الانسان تحجرت فيه الطائفية مدى مئات السنين أو آلاف السنين من الصعب جداً أن تهزمها مجرد خطة تربوية تعيش في نطاق سنةٍ أو سنتين ، ولكننا نحاول أن نثير التربية في هذا الاتجاه .

وعندما نريد أن نثير التربية في الاتجاه الرسالي الذي يجعل الانسان يفكر في الواقع من خلال خط الفكر ومن خلال منهج الرسالة . عند ذلك يمكن لنا أن نجعله ينفتح على الآخرين لأنك عندما تكون مسلماً في فكرك وأنت تنطلق من خلال الاسلام لتشعر بأن الآخرين الذين يختلفون معك ليسوا أعداءك وليسوا خصومك ، إنما

هم أناسٌ مثلك ربما لم تتح لهم الفكرة ان يفهموا ما فهمت وأن ينطلقوا من حيث انطلقت .

من أين نفهم هذا ؟؟! .

نفهم هذا من خلال التعبير القرآني عن الكافرين بأنهم لا يعلمون ، لا يفقهون ، من خلال أنهم لا يفكرون ، من خلال أنهم لا يركزون النظر فيما ينظرون ، لا يركزون السمع فيما يسمعون ، ﴿**لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها**. . ﴾ وهكذا تجد في الناس الذين من حولك أناساً لم يركزوا فكرهم فيما تعتقد أنه الفكر العميق ، ولم يقرأوا الثقافة التي تعتقد أنها الثقافة العميقة ، ولهذا يكون دورك دور رسالتك ، دور انسانيتك ان تقود هؤلاء الناس ليفكروا معك ، وليبصروا معك ، وليسمعوا معك ، وليقرأوا معك ، وليتناقشوا معك . .

روحية الحوار في خط الرسالية :

القرآن يوحي إليك بهذا ، يوحي إليك بأن عليك أن تحترم فكر الناس الآخرين ، لأن الناس الآخرين يمكن أن يكونوا خاضعين لشبهة ولمشكلة ، كما يمكن أن تكون أنت خاضعٌ لشبهة ولمشكلة . .

عندما تعيش الرسالية ، فأنت تعيش الفكر كمسلم القرآن يقول لك فيما علمه الله لرسوله أن تقول للناس الذين يختلفون معك : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين** ﴾ . فالطرح القرآني متقدم على كل طرح الحياد الفكري في العالم . لأن الطرح العلمي يقول لك رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب ، ولكن القرآن يقول لك رأيي ورأي غيري يحتمل الصواب والخطأ . . لا يعطي رأيه الصواب نسبة تسعين بالمئة في مجال

الحوار ، هو يعتقد برأيه مئة بالمئة ولكنه عندما يحاور الآخـرين لا يوحي لهم بامتهان فكرهم ولا يوحي لهـم بأنه يرى أرجحية فكره على فكرهم وإنما يوحي إليهم بأن هناك خمسين بالمئة في هذا الجانب ، وخمسين بالمئة في الجانب الآخر ، ولهذا فإن المسلم عندما يعي ذلك من موقع قراءته الواعية للقرآن فإنه سيعرف كيف يحترم الآخرين في مجال الكلمة وفي مجـال الحوار وفي مجـال الصراع الفكـري في الحياة . .

الصراع الفكري في الاسلام لا يمثل حالة تسجيل النقاط على خصمـك . . ربما كـان من أخـطاء البـاحثين المسلمين في عصـور التخلف أنهم ارتبطوا بالجدل اليوناني على أساس أن القضية عندهم أن يهـزموا خصمهـم لا أن يقنعـوه ولكن الاسلام يقـول لك ليست المشكلة أن تسكت خصمك ، إن عليك أن تفتح فكر خصمك وقلب خصمك ، وحياة خصمك على فكرك . تلك هي القضية ، أما الجدل فهـو شيء مرفـوض لأن الجدل يعتمـد على اللعب على الالفاظ ، ويعتمد على اللعب على المواقف وعلى كثير من الأوضاع .

في بعض كلمات الإمام جعفر الصادق (ع) ، وهو يقول لبعض تلامذته الذي كان يجادل بعض خصومه الفكريين أمام الإمام الصادق ، كان يجادله بالحق والباطل ، يلزمه بأشياء يعتقد بها وأشياء لا يعتقد بها ولكنها تلزم الطرف المقابل كان يقول له انك اخذته بالحق والباطل وقليل الحق يغني عن كثير من الباطل ، إنك عندما تهزم خصمك بطريق الباطل فقد اعطيت الباطل شرعية وبهذا انت دافعت عن حق هنا وتبنيت باطلاً هناك وليس هناك فرق بين أن تتبنى الباطل في النهاية وان تتبنى الباطل في الطريق من مواقع الفكر ، في الإسلام ليس هناك مجال للجدل الا في الحالات التي لا يكون الموضوع موضوع حوار ،

وإنما يكون الموضوع معركة تريد أن تتخلص فيها من الضغط ، لأن الآخر يضغط عليك ولا يريد ان يفسح مجالاً للحرية ، في هذا المجال قد تكون الكلمة كلمة تنطلق في المعركة ولا تنطلق في حالة الصراع الفكري .

في هذا المجال يمكن للمسلم ان ينفتح ويمكن له ان يحتوي كل الناس الذين يختلف معهم في الفكر . وهكذا يتحرك في الخط الذي لا يجعله يتعقد من خصومه ، ان يرحم خصمه ، أن يبارك لاعنيه أن يتحرك بالقلب المفتوح مع الآخرين ، وإذا استطعنا أن نفتح قلباً هنا ينفتح فكر هنا ، وإذا استطعنا ان نفتح فكراً هنا ينفتح قلبٌ هنا أيضاً .

القضية هي ان نرتبط بالقيمة وأن نرتبط بالفكرة وان نعتبر انفسنا من مواقع انتمائنا أن كل الناس يمثلون رسالتنا ، ان نهديهم سواء السبيل أو أن نهتدي بهم الى سواء السبيل .

نزع العقدة من الذات :

وهناك مثل في هذه الروحية لعالم متخصص في الدعاء واسمه ابن طاووس ، عاش قبل الف سنة تقريباً ، هذا الانسان يحدثنا في أعمال ليلة القدر . يقول : في هذه الليلة فكرت ما هي أفضل الأعمال عند الله ، . . ان أدعو لمن يكون أكثر حاجة للدعاء ؟ . من أشد الناس حاجة للدعاء ؟ . أبي ، أمي ، اخواني ، كلهم مؤمنون يتعلقون برحمة الله من أكثر طريق . . فكرت بالكافرين ، أخذتني الرحمة بهم ، هؤلاء لا يتعلقون بشيء من رحمة الله ، العلاقات مقطوعة بينهم وبين الله ، كيف يمكن أن يتعذب هؤلاء في النار ، كيف يمكن أن يواجهوا المصير ، انكسر قلبي لهم فرأيت ان من واجبي أن اقضي ليلة القدر

في الدعاء للكافرين با لهداية . . .

هذه الروحية رسالة

بعضنا عندما تحدثه عن الكافرين عندما يلعنهم وعندما يسبهم ، قل له اهدهم يقول الله لا يهديهم ، لماذا ! لأننا نعيش مع الكافرين عقلية الطائفة لا عقلية الرسالة ، عقلية الرسالة لا تتعقد من الآخرين ابداً ، عقلية الرسالة لا تربط مشاعرك المضادة او مشاعرك الايجابية بالذات ، إنما تربطك بفكر الذات وبعمل الذات .

جاء في بعض الأحاديث : « ان الله يحب العبد ويبغض بدنه » ، في التعبير القرآني ﴿ **انتم بريئون مما اعمل وأنا بريء مما تعملون** ﴾ لم يقل أنا بريء منكم وأنتم بريئون مني ، معناه ان الذات لا تحب او تبغض ، الذي يحب او يبغض إنما هو العمل ، الفكر ، معناه أنك لا تحاول أن تثأر من الذات ، الإسلام يقول لك اقتل كفر الكافر قبل أن تفكر في قتل الكافر ، اقتل شر الشرير قبل أن تفكر في قتل الشرير حتى إذا وصلت إلى مرحلة لا يمكنك ان تقتل الشر إلا من خلال قتل الشرير ، اقتل الشرير لا من موقع حقد ، ولكن من موقع خطة تريد أن تلغي الشر . بإلغاء وجوده عندما يتوقف إلغاء الشر على إلغاء وجوده . .

وليس معنى أن تنفتح على انسان من خلال رسالتك أن تخجل من انتمائك ، كما يفهم بعض الناس أنني عندما أكون رسالياً أن أنسحب من انتمائي ، أن أفكر مع الآخرين كمسلم ، ليس الأمر كذلك ، ان افكر مع الآخرين بانفتاح من موقع الاسلام لأؤكد بممارستي انفتاح الاسلام على الانسان الآخر وعلى الفكر الآخر . .

الذين يلغون انتماءهم ويخجلون بانتمائهم أمام الآخرين ، هؤلاء

لا يعيشون انفتاح الانتماء ورسالية الانتماء ، ولذلك سوف يغرقون في الرمال المتحركة التي لا يمكن أن يثبت الانسان هو على أرض فضلاً عن أن يثبت مع الآخرين . الاخلاص للانتماء من موقع الانتفاح ، ان نشعر أن الآخرين من حقهم أن يفكروا كما يشاؤون ومن حقنا ان نفكر كما نشاء وبذلك يمكننا أن نتفاهم .

القرآن يعتبر ذلك حالة انسانية ، يعني أن يعتبر الانسان رأيه هو الرأي الصواب ، هذا حالة إنسانية طبيعية : **﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ﴾** والشاهد كلمة « زينّا » وهذه الكلمة تعطي معنى الحالة الطبيعية التي رُكّبت في الانسان .

معنى ذلك أن الانسان طبع على هذا ، طبع على أن يرى ما ينتمي اليه وما يعمله حسناً وعلى هذا فالقرآن يؤكد هذا الحق من ناحية ذاتية ويريد لك أن تستنفره من خلال الحوار ومن خلال الوسائل المألوفة في هذا المجال .

لا بد أن نثير كل هذه الأمور في حياتنا ، ان لا نهرب من انتمائنا على أساس أنه يخلق حالة معقدة ، بل ان نحاول أن نجعل من انتمائنا شيئاً يمكن أن يزيل العقد وأن يحقق الانفتاح .

دور الجامعة والمسجد :

من هنا نعتبر أن دور المساجد المنفتحة ودور الجامعات المنفتحة ؛ أن دور هذين الموقعين من مواقع فكر الأمة ومن مواقع حياة الأمة يمثل الدور الكبير في هذا المجال لأن المسجد يمثل الانفتاح على الله ، وعندما ينفتح الانسان على الله فإنه ينفتح على الناس كلهم من خلال الله باعتبار أنهم عباد الله .

وفي الجامعة ينفتح الانسان على الفكر ، وعندما ينفتح الانسان على الفكر بأوسع مداه فإنه يجعل الحياة مفتوحة لكل فكر ومفتوحة لكل حوار .

من خلال ذلك ، من الروحية المنفتحة ومن العقلانية المنفتحة يمكن لنا أن نفتح المجال للرسالية المنفتحة في حياة الناس ، وبهذا فإننا نعتبر أن دور المسجد ودور الجامعة هو دور أساسي في حل المشكلة الواقعية التي ابتعد فيها الانسان عن رساليته ، فإذا تعلّب المسجد طائفياً وأصبحت المساجد منطقة مقفلة لا يدخلها الا الذين ينغلقون على الحياة ، أو إذا تحولت الجامعات أيضاً الى مواقع للطائفة ـ كما نعيش الآن ـ هناك جامعة طائفية هنا ، وجامعة طائفية هناك ، حتى الاميركان غرقوا في الطائفية أيضاً فأصبحت لهم « جامعة أميركية اسلامية »؟! و « جامعة اميركية مسيحية » . أغرقناهم في الطائفية لأنهم يريدون أن يلعبوا معنا ويؤكدوا هذه اللعبة الطائفية .

إنا علينا نحن الجيل الذي يريد أن ينطلق . أن نرتفع الى مستوى الرسالة ، وعلينا أيضاً أن لا نتعقد من المشاكل التي تواجهنا ، أن لا نعتبر أن الفكرة خطأ لمجرد أن هناك مشكلة تتحرك في طريق الفكر ، بل علينا أن نعتبر أن هذه المشاكل طبيعية جداً وأن علينا أن نواجهها بانفتاح كما نواجه الفكرة بانفتاح .

في المجال العملي :

هذا في المجال الفكري اما في المجال العملي والواقعي فهناك شيء آخر .

بعض الناس ينطلق في الواقع ليؤكد أن الطائفية هي خشبة الخلاص في المجتمع الذي نعيش فيه ، فهو قول نحن لا نريد ان

نعيش في المثاليات ولسنا نعيش في الفضاء، نحن نعيش على الأرض، والأرض عندنا هي أرضٌ طائفية، المناطق طائفية والزعامات طائفية، والمحاكم طائفية والمساجد والكنائس كلها تعيش هذا الجو المنغلق.

فعندما تريد أن تفكر رسالياً في هذا المجتمع الطائفي فإن معنى ذلك أن تكون القضية على حسابك، أن تكون رسالياً يحاول الآخرون أن يخدروك برساليتك ليتم إلغاء الطائفية على حسابك، لحسابهم.

بعض الناس قد يفكرون هكذا؟. ولكن نحن عندما نريد أن نفكر علينا أن لا نفكر من خلال الزاوية التي يحشرنا الواقع فيها، بل لا بد لنا أن نفكر في المستقبل. الواقع الذي نعيشه واقع ينهزم فيه الجميع، ويلعب فيه كل واحدٍ منا لعبة اللف والدوران التي تحاول أن تأخذ موقعاً هنا وموقعاً هناكِ. ولكن لا بد لنا أن نتعامل مع الواقع بالطريقة التي تتحرك فيها الرسالة من مواقع الواقع ـ اذا صح التعبير ـ بمعنى ان لا نكون نحن ضد الطائفية تماماً ونحاول أن نلغي الواقع الطائفي بموعظة أو بقرار رسمي أو بقرار من المجلس النيابي أو بغير ذلك.. ليس هذا. أن نعتبر تحريك الواقع من أجل إلغاء الطائفية هدفنا الكبير الذي نعمل على أن نخطو فيه خطوات متقدمة تجعل للهدف الكبير مراحل لتستطيع أن تقطع الطريق الى الهدف في ضمن مراحل تدرس كل الامكانات الواقعية التي يمكن أن تعطي الفكرة خطوة متقدمة إلى الأمام بدلاً من أن تعقدها.

نحن لا نؤمن بأن الأهداف الكبيرة المستقبلية يمكن أن تتحرك من موعظة أو قرار او من كتاب يؤلف، القضايا الكبيرة تماماً كالانسان، كالشجر ككل شيء في الحياة لا بد أن ينمو بواقعية، نحن نقرر المبدأ، ولهذا نقول ان علينا ان نعيش هذه الروح ولكن

كيف نحركها في الواقع ؟ بأن نفسح المجال لها في الواقع بطريقة وبأخرى حتى نستطيع أن نصل الى تأسيس مجتمع صغير يحتضن هذا أو تكوين زوايا في داخل المجتمع تحتضن هذا ثم تظل لتتوسع وتستفيد من كثير من الثغرات ومن كثير من السلبيات في الواقع لتصل الى النتائج السعيدة في نهاية المطاف . المهم أن لا ترجعنا الأوضاع السلبية والمشاكل التي نعيش فيها ونتخبط فيها الى القبو الطائفي الذي نعيش فيه .

لأن بعض الناس عندما يتحرك الجو في اللعبة الطائفية ليعقد حياة الناس ، يجدون ان الطائفية هي الملاذ ولهذا فإنهم يتراجعون ألف خطوة الى الوراء بعد أن يكونوا قد تقدموا عشرة خطوات .

العقلية الواقعية في مواجهة الواقع الطائفي :

اننا لا نعتبر أن المشاكل دليلاً على أن الطائفية تمثل الصح وان علينا أن نتصارع طائفياً لأن الطائفيين يؤكدون طائفيتهم ، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نقف أمامهم الا اذا اكدنا طائفيتنا ، هذا خطأ ، لأن الطائفية قد تفيدك الآن ولكنها تهزمك في حسابات المصير وفي حسابات المستقبل ، لهذا لا بد لنا ان نواجه القضية من موقع الفعل لا من موقع رد الفعل ؟. ولهذا كنا ضد كل عمليات رد الفعل المضاد ، هم يريدون منك ان تخرج من مواقعك ليحققوا خطوة لأهدافهم من خلال ذلك .

لهذا علينا أن نواجه الواقع الطائفي بعقلية واقعية ولكنها لا تتجمد في الواقع وإنما تبحث في الواقع عن أدوات التغيير بطريقة تستفيد منها لصنع المستقبل .

وهكذا يجب علينا أن نواجه القضية على مستوى الاسلام

والمسيحية ، ولذا طرحنا الفكرة التي تقول ان علينا عندما نريد ان نثير الحوار في لبنان على أساس اسلامي أو مسيحي ان تكون قيم الأسلام والمسيحية هـي قاعدة الحوار ، وإلا فلنطرد الاسلام والمسيحية من طاولة الحوار اذا كنا نريد ان نتحاور على أساس غرائزي أو على أي اساس آخر ، لا بدَ لنا ان نثير قيم الاسلام وقيم المسيحية لتكون هي الاساس للتعايش في لبنان ولتكن هي الاساس للحوار في لبنان ولتكون هي الاساس في كل ما نريد أن نبنيه في هذا البلد ، ونحن نعتقد انهم يرفضون ذلك لأن قيم الاسلام والمسيحية لا تبرر كل اشكال الواقع هذا ، ولا تبرر أي معنى للامتيازات أو للخوف والخوف المضاد ، الى آخر المعزوفة اللبنانية التي تتكرر بأكثر من تصريح سياسي .

لنكن الرواد :

انا نحتاج الى أن نكون الرواد في هذا ، قد تقولون ان صوتنا يضيع في كل هـذا الضجيج ، صحيح انه يضيع ولكن كم من الأصوات الكبيرة ضاعت في التاريخ ولكننا اكتشفنا انها تمثل الدوي الهادر في حياتنا واستطاعت ان تغير حياتنا .

كيف كان صوت محمد (ص) يتحرك في مكة ، كان الصوت يتحرك وكان اللغو يمنع الآخرين ان يسمعوه ولكن اللغو انهزم عندما أكد الصوت نفسه وأكد اصراره على أن يظل منطلقاً وجاءت الآذان التي تبحث عن الصوت . .

لهذا ، لن نقف مهزومين أمام كل ضغط الواقع ، بل نحاول أن ننطلق من خلال الاشراقات الصغيرة هنا وهناك لنعرف أن الفجر الكبير يولد منها . . كيف يولد الفجر ؟! . هل تطلعتم في السحر كيف يولد الفجر . . . الظلام مطبق ولكن تأتي لمعات لا تكاد تُرى ، لمعة هنا

وأخرى هناك ، وتنطلق اللمعات في الجو الكبير ثم تنطلق الشمس لتملأ الجو باشراقها .

لهذا القضية في واقع الانسان كما هي في واقع الفجر ، قصة الظلام والنور في الكون هي قصة الظلام وقصة النور في حياة الانسان ، قد يكون هذا شعراً وقد يكون هذا أدباً ولكن كم من الشعر ما يمثل صورة الواقع وحركة الحياة .

لا إلغاء للآخرين :

لا بد لنا من أن نؤكد مصداقيتنا وفكرنا كرساليين ، لا نريد ان نلغي الاسلام والمسيحية حتى نحل المشكلة كما قد تطرح في هذا المجال كثير من الأصوات ، ولا نريد حتى في النطاق الاسلامي ان نلغي السنة والشيعة حتى نؤكد الوحدة الاسلامية ، هذا كلام ارتجالي ، يعيش مع السطح من منطق ان يعالج الانفعال بانفعال . المشكلة لم تبدأ من هنا ، المشكلة بدأت من خلال أننا حولنا الفكر ، والخلاف الفكري الى شيء ذاتي ، عندما يكف الفكر عن أن يكون حركة في الذات لتؤكد الذات يمكن لنا أن نجعل من هذا الخلاف غنى للتجربة بدلاً من أن يكون اسقاطاً للتجربة .

عندما نفهم أن المسيحية والاسلام هما رسالتان لهما أبعاد معينة يمكن أن يعتقد أي انسان أن هذه الرسالة لها حدٌ معين ، أو لها حدٌ ممتد ، عند ذلك . عندما نفكر بهما كرسالتين ونناقشهما كما نناقش أي فكر عند ذلك لا يمثل الاسلام والمسيحية مشكلة لنا .

وهكذا عندما نواجه خلافاتنا الاسلامية لا من مواقع طائفية ، ولكن من مواقع مذهبية ، ـ ولا اقصد بالمذهبية هذا اللون الرسمي في المذهبية بل اقصد مذهبية الفكر ـ عندما أكون أنا على هذا المذهب

من موقع أنه وجهة نظر في فهم الاسلام ، وأنت تأخذ وجهة نظرك من خلال مصادر أساسية. وأنا ألتزم وجهة نظري من خلال مصادر أساسية وأننا يمكن ان نناقش في وجهات النظر هذه من خلال الرجوع للمصادر . عند ذلك لا تكون هناك مشكلة في الذات ولا في الحياة . انها مشكلة فكر يمكن أن تحل من طريق الفكر وبهذا لن نقع في الميوعة ولكننا نقف مع الفكر في هذا المجال .

ربما كان واقعنا هو واقع المجاملة ، ولكن لا بأس اتركوا المجاملة تؤكد نفسها في الشكل فلعلنا نلغي الحقد من مجال الشكل كمقدمة لالغائه من مجال المضمون ، لعلنا نعيش المجاملة لأن للطائفية مواقع سياسية متقدمة . بعض الناس من رجال السياسة يفقد موقعه المميز اذا فقد موقعه الطائفي في الساحة لأن قيمته في الواقع أنه زعيم الطائفة وأنه يحمل شخصية الطائفية وانتصارات الطائفة، ولهذا تتجمع حوله كل غرائز الطائفة ، وكل معاني الحقد في الطائفة ، فإذا عاش الناس الروح التي تلتقي بالآخرين فأين يكون موقعه ؟! .

حتى على مستوى علماء الدين الرسميين ، هناك مواقع دينية مميزة ، هذا رئيس هذه الطائفة وذاك رئيس هذه الطائفة ، وهذا وجه هذه الطائفة ، فإذا لم يبق لنا طائفة وإنما بقي لنا واقع اسلامي ممتد كبير فربما لا يكون له دورٌ في هذا .

بعض الناس يحاربون كل عمل وحدوي من خلال الدفاع عن امتيازاتهم الرسمية سواء كانت سياسية او دينية او اجتماعية ، ولهذا فسوف نلتقي بهؤلاء في أي طريق ولكن لن يمنعنا هؤلاء من أن نتلمس الفجر في نهاية الأفق .

علينا أن نصر على الفكرة ، لأن القضية هي قضية مصيرنا في

العمق وفي الامتداد .

ان الطائفية استطاعت ان تخلق لنا شخصيات ضيقة محدودة منعتنا من أي عمل تنسيقي فضلاً عن أي عمل وحدوي .

فكروا في الهواء الطلق ، انكم تظلون تفكرون في الكهوف والمغارات ، انكم تتحدثون عن الجبال ، اصعدوا الى القمم وفكروا من مواقع القمم .. ولكن مشكلتكم أنكم تفكرون في الكهوف والمغارات ولكن تفكير الكهوف سيظل يحبس الانسان في الكهف يحبس فكره .. ويحبس روحه ويحبس مشاعره ..

ولهذا علينا أن نعمل بكل جهد في سبيل الوصول الى هذه النتائج ، وعلينا في الوقت نفسه أن لا نؤكد كل هؤلاء الذين يريدون أن يتحركوا في المجتمع من خلال عقلية الطائفة وتأكيد شخصية الطائفة لأنهم بهذا يمكن أن يهزموا الانسان في داخل الطائفة من خلال سجنهم الطائفي هذا .

نحن نريد ان ندافع عن الانسان في كل طائفة ولكن لا من خلال الاقنعة الطائفية بل من خلال الروح الانسانية . وبهذا نستطيع أن نتجاوز كثيراً من مشكلتنا التي تمثل عقدة في المشاعر وعقدة في الفكر والحياة .

لا نريد ان نغرق الساحة في مزيد من الشعارات فإن في الساحة ما يكفيها من شعارات وانفعاليات ، ولكنني أريد أن أقول لكم عندما تريدون أن تواجهوا قضية المصير فكروا فيها بعقلية المستقبل ، وعندما يضيق عليكم الواقع ويضيّق عليكم الخناق ، فكروا من خلال المستقبل .

اننا لن نستطيع ان نحل كل مشاكلنا في الحاضر لأن الحاضر محكوم لقوى شيطانية ضاغطة كبيرة ، قد نستطيع أن نرمم بعض الساحة وقد نستطيع أن نرقع بعض الحلول ولكننا لن نستطيع أن نبني البناء الجديد .

لهذا لا يجمدكم الواقع ولا يدفعكم لليأس فكروا في الهواء والمستقبل وفي الله عندما تضيق عليكم كل زوايا الحياة وكل أغلال الحياة وتذكروا قول الله : ﴿ **من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ وتذكروا قول الله عندما يخوفكم الناس بكل سلبيات الواقع وبكل ضغوط الواقع : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ .

ليس حديثاً عن الغيب ولكنه حديث عن الواقع الذي يجد في الغيب انفتاحاً كبيراً يؤكد له خطواته في الواقع ويثبت له أقدامه . والحمد لله رب العالمين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

دروس من الحديث

عاشوراء

من وحي الرسالة

الاسلام وقضايا العصر